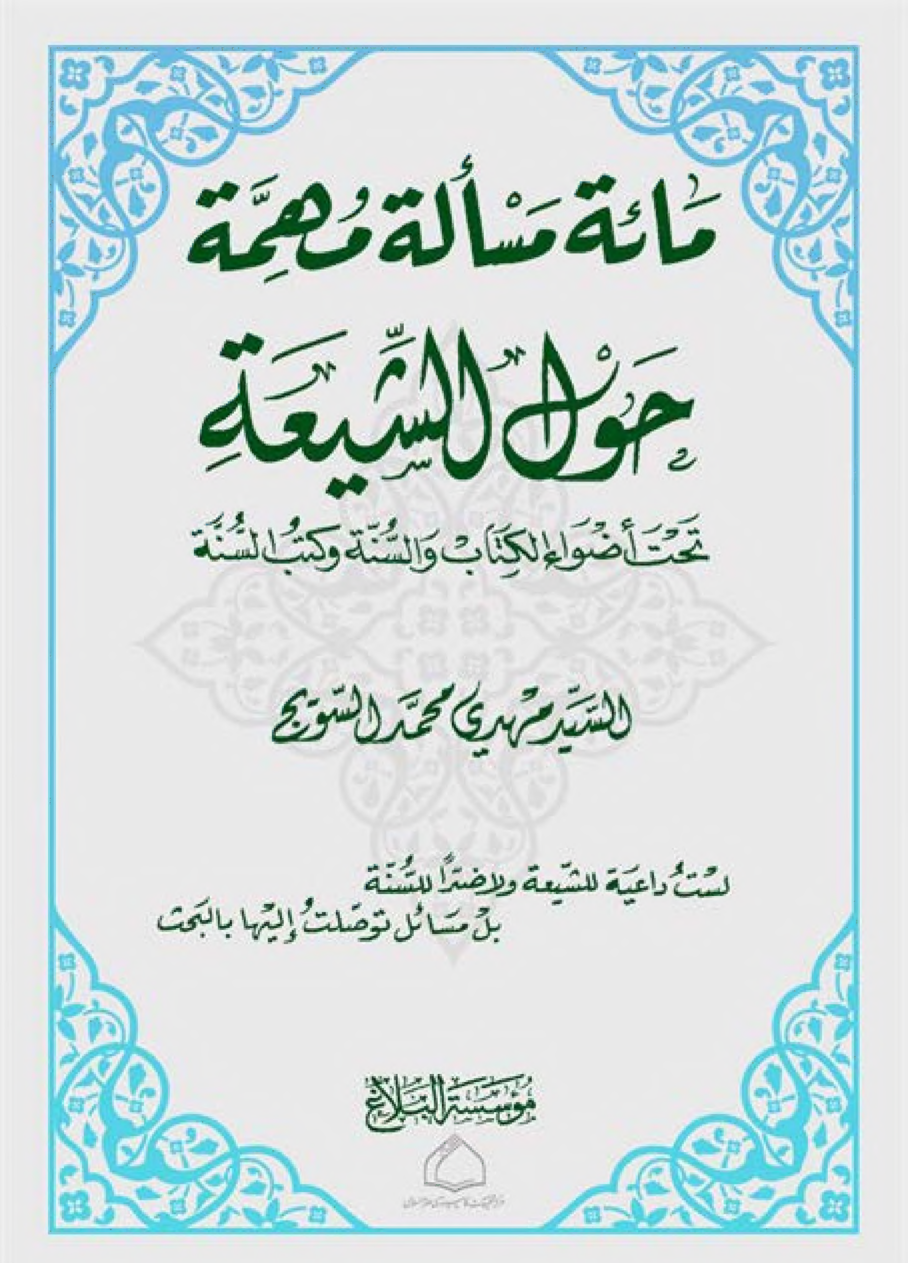


مائة مسألة مهمة حول الشيعة

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

السيد مهدي محمد السويج

لست داعية للشيعة ولا ضداً للسنة
بل مسائل توصلت إليها بالبحث

مؤسسة البلاغ

مائة مسألة مهمة

حول الشيعة

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

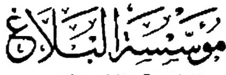
السيد مهدي محمد السويج

لست داعية للشيعة ولا ضداً للسنة
بل مسائل توصلت إليها بالبحث

مؤسسة البلاغ

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م





المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ ـ ط٣ ـ المستودع : حارة حريك ـ شارع الشيخ راغب حرب ـ مقابل نادي السلطان
ص.ب : ١١ ـ ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ ـ ١١٠٧ ـ هاتف : (٠١/٥٤١٨٥٤) ـ (٠٣/٥١٤٩٠٥) ـ فاكس : ٠١/٥٥٢١١٩ لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق ـ السيدة زينب (ع) ـ مكتبة دار الحسنين (ع) ـ هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤
الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com





مقدمة مهمة مجملة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وخيرة آله وصحبه ومن والاه .

قبل كل شيء . أنا لست داعية إلى هذا المذهب ضد غيره من المذاهب الإسلامية بل إلى الإسلام ككل -كما عرفت بذلك منذ نشأت- وأخذي بمذهب الشيعة الإمامية مذهب أهل البيت ، ليس إلا لما يلي :

١- لأنه طريق إسلامي كل ما فيه تحت أضواء الكتاب والسنة وما إلى ذلك . . الخ -كما ترى- وأعني بكلمة (كل ما فيه) ما هو ذات المذهب لا ما يعده بعضهم منه وليس منه . وهذا مما ابتلي به بعض المذاهب الأخرى أيضاً .

٢- لأن القرآن الذي عندهم عند جميع المسلمين . جمع وكتب في حياة النبي(ﷺ) .

٣- لأن السنة (ما حدث به النبي وما عمله . وما أقره من قول أو عمل) مكتوب عندهم في حياة النبي(ﷺ) . وما الصحيفة والجامعة والجفر وما إلى ذلك إلا منها . - في حين أن ما عند غيرهم لم يجمع إلا في حياة عمر بن عبد العزيز المتوفى عام ١٠١هـ كما سيأتي في بابه أيضاً -فهو مما بعد وفاة الرسول(ﷺ) بـ٩٠ سنة . ولم تؤلف فيها كتب يرجع إليها إلا بعد حوالي ١٥٠ سنة من وفاة عمر بن عبد العزيز حيث برز كتاب صحيح البخاري المتوفى عام ٢٦٠هـ وكتب مماثلة . مع احترامنا للجميع .

٤- لأن الشيعة هؤلاء لا يمنعون أي كتاب يدخل في جماعاتهم ولو كان ضدهم وأكثر من ضدهم . وهذا من الأدلة على قوة صحة ما عندهم . ومنع الآخرين كتب الشيعة - والإنسان حريص على ما منع - جعلها تطلب أكثر . وفيما

وجدوا فيها أن الشيعة منذ حياة النبي (ﷺ) مؤيدون بآيات من القرآن وأحاديث نبوية معترف بها عند السنة - كما سيأتي أيضاً - وهم غالباً متعاونون مع أهل المذاهب الإسلامية الأخرى متحملين الأذى في سبيل الصالح العام مما جعل عددهم في تزايد رغم ما يجري ضدهم. بما في ذلك عدد ممن كان ضدهم فصار إليهم وألف كتاباً كقاضي القضاة بحلب الأنطاكي وكتابه لماذا اخترت مذهب الشيعة وكالدكتور التيجاني وكتابه ثم اهتديت و. . و. . الخ.

٥- لأنهم لا يكفرون أحداً من المذاهب الإسلامية الأخرى. وما صدر من بعضهم من ذلك فليس إلا كرد على مهاجم كفرهم كما جاء في الحديث ما حاصله من كفر أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد كفر.

أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة أنا لا أدعو السني ليكون شيعياً ولا الشيعي ليكون سنياً فلكل منهما الخيار وكلهم مسلمون. كل ما في الأمر أن الشيعي أكثر أخذه عن طريق أهل البيت وشيء من الصحابة (رض) والسني أكثر أخذه عن الصحابة وشيء عن أهل البيت والطريقان من منطلق واحد هو: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ووجود هذين الطريقين مع بعض التفاوت - وليس كل التفاوت - عن المنطلق الواحد لا بد أن يكون أحدهما أتقن تعبيداً وأكثر إضاءة وأقل تعباً للسالك وأقرب مسافة وأضمن سعادة دنيا وآخرة.

أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة. كما يطلب أن لا يؤخذ بالتأويلات الواهمة والدعايات الظالمة والمدسوسات والموضوعات من بعض ضد بعض: يطلب هذا من أهل كل مذهب من المسلمين وغير المسلمين. كذلك تطلب الشيعة الإمامية هذا كما يطلب منها - فالمطلوب طلب الحقيقة بلا اتباع الهوى فإنه مضل - كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وبلا تحيز تعصبي، أو تقليد أعمى كما نهى القرآن عن ذلك أيضاً ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ كما أمر سبحانه.

وبعد فهذا جزء من كتابي المتواضع كلمات وأجوبة سبق أن نشرت عنه على بعض أغلفة مؤلفاتي المطبوعة وهذا الجزء مما حول الشيعة منها . يحتوي على مئة (١٠٠) مسألة مهمة كما ترى. وجزء آخر مما حول المسلمين عامة وغير المسلمين . . الخ ويحتوي على مئة أيضاً. والمجموع منه مما وقفت إليه نتيجة دراساتي ومنها مما وفق إليه غيري فأدخلت عليه بعض (الرتوش) والله المستعان. ومنه الهداية والتوفيق والقبول والإقبال.

مهدي السويج

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن معنى كلمة شيعة وإطلاقها

مما جاء في القرآن الكريم في موسى (ع) ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ..﴾ الخ.

ومما جاء في صحيح البخاري (ره) باب ذكر الإمام علي (ع) قول النبي (ﷺ) له أنت مني بمنزلة هارون من موسى، مما يترتب عليه أن أتباع علي كأتباع شيعة موسى وهارون.. الخ. ومما في القرآن أيضاً ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ جاء في تاريخ الخطيب البغدادي لما نزلت هذه الآية قال النبي (ﷺ) لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

ونحو هذا مما جاء في ص ٩٣ من الصواعق لابن حجر وفي ينابيع المودة للحقي بسنده أيضاً عنه (ﷺ) أنه قال لعلي أنت وشيعتك في الجنة. وأورد الطبراني نحو هذا وأكثر.

وفي مجمع الزوائد لابن حجر وج٩ ص١٧٣ عن أبي هريرة (رض) أنه قال (ﷺ) لعلي أنت معي وشيعتك في الجنة ثم قرأ: إخواناً على سرر متقابلين، وفي كنوز الحقائق للديلمي أيضاً بسنده عن النبي (ﷺ) أنه قال شيعة علي هم الفائزون.. إلى نحو هذه الآيات والأحاديث وهي كثيرة ومما يلاحظ هنا أن جملة الفائزون جاءت في أربع آيات ١ - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ آية ٢٠ سورة التوبة. ٢- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ آية ١١١ سورة المؤمنون. ٣- ﴿وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ آية ٥٢ سورة النور. ٤- ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ آية ٢٠ سورة الحشر.

ومما يذكر هنا. ما جاء في المستدرك على الصحيحين البخاري ومسلم ج٢ وفي مسند الإمام أحمد (ره) ج والسيرة الحصبية وج٣ تاريخ الطبري وج٢ تاريخ ابن الأثير وحياة محمد لهيكل وغيرهم أنه لما أنزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ جمعهم رسول الله(ﷺ) وأطعمهم وقال لهم من يؤازرني يكن الأمير بعدي فلم يجبه إلا علي، وعندها قال(ﷺ): «هذا وصيي وخليفتي فاسمعوا له وأطيعوا».

وكان ممن أورد هذا وعلق عليه الأستاذ محمد عنان المصري في كتابه تاريخ الجمعيات وفي مقال للأستاذ المصري أحمد عباس صالح بعنوان اليمين والثورة نشرت مجلة الكاتب المصري في القاهرة عدد يناير ١٩٦٥م ما نصه (أن غالبية المسلمين حين توفي النبي(ﷺ) كانوا مع الاتجاه الذي يمثله علي بن أبي طالب وأصحابه - يقصد وشيعته - لأن النبي نفسه كان زعيم هذا الاتجاه وواضع مبادئه الأساسية).

وفي عدد شباط من السنة نفسها قال (كان حزب كبير من المسلمين يعتقدون أن علياً أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر (رض). . إلى آخر ما قال مما لسنا بصدد ذكره الآن وحاصله أن بدء الشيعة كان حين بدأ عصر النبوة الأول.

وفي خطط الشام لكرد علي رئيس المجمع الثقافي بدمشق مسنداً عن سلمان الفارسي وحذيفة اليماني (رض) قالا بايعنا رسول الله على النصح للمسلين والائتمام بعلي بن أبي طالب وهذا مما يؤيد ما جاء في كتب الشيعة عن الإمام العسكري(ع) (شيعتنا سلم لمن سالموا بركة على من جاوروا. .) الخ.

جاء في اللغة في تعريف كلمة شيعة ما ذكره صاحب القاموس والصحاح ولسان العرب والتاج والمصباح ونحوهم. . الخ أنها مأخوذة من المشايعة والمتابعة على الطريقة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾.

وقد تقدم في تعريف السنة: الطريقة أيضاً. مما يصدق عليه قول القائل ويختلف التعبير والشيء واحد، فالسنة تابعوا الصحابة ثم أهل البيت.

والشيعة تابعوا أهل البيت ثم الصحابة حتى جمعت لأهل البيت البيتية والصحبة في آن واحد وكان علي (ع) على رأس البيتية والصحبة من البداية حتى النهاية. وأتباعه سموا – شيعة – بمشايعتهم ومتابعتهم له ولمن يليه من أهل البيت على نفس الطريق. أو الطريقة. وهي كتاب الله وسنة نبيه جدهم المصطفى محمد(ﷺ) وكلهم من رسول الله مقتبس وأهل البيت أدرى بالذي فيه كما هو معلوم وعليه ففي الحقيقة الشيعة سنة والسنة شيعة في الأصل وما دام الأصل واحد، فإن نبت فرع ما على الأصل فهو لا يغير في الأصل مهما بلغ الفرع في تعاهد ذي هوى به سواء كان من الشيعة أم من السنة.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن معنى كلمة سنة وإطلاقها

مما جاء في القرآن الكريم قوله ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ آية ٧٧ الإسراء.

هذه الآية ونحوها مما يستدل به على السنة المأمور باتباعها هي المشدودة بالأنبياء أهل الوحي الإلهي لا غيرهم وكان خاتمهم نبينا محمد(ﷺ).

وفي الحديث: لا نبي بعدي ولا سنة كسنتي. من رغب عن سنتي فليس مني. ونحو ذلك.. إلخ.. وفي تفسير ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يهديكم إلى التعرف على سنن من مضوا من الرسل لتعلموا بأن لا كتاب ككتابه ولا نبي بعده ولا سنة كسنته، اللهم إلا ما كان موافقاً للكتاب والسنة مثلاً على أساس قوله تعالى ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ كإطالة التلاوة أو الركوع والسجود والتبرع في فعل الخير ونحو ذلك.. الخ.

وكلمة سنة لغة هي الطريق أو الطريقة. وأطلق اسم سنة على من تابع الصحابة (رض) ثم أهل البيت(ﷺ) كما أطلق اسم شيعة على من شايع - أي تابع - أهل البيت(ﷺ) ثم الصحابة (رض) في طريق كتاب الله وسنة نبيه محمد(ﷺ) أيضاً.

والمتابعة عند هؤلاء وهؤلاء على أساسين هما: القرآن، والسنة وهي ما تحدث به أو عمله أو أمر به أو أقره رسول الله(ﷺ).

أما الأساس الأول: القرآن فمجمع على صيانته وحفظه كما أنزل وحتى اليوم وإلى الأبد.

وأما الثاني السنة فهي على جمعين ١ - ما جمع عند أهل البيت(ﷺ) منذ بدء حياته إلى وفاته وعلى رأسهم الإمام علي(ﷺ). ومما جاء فيه على هذا

الأساس ونحوه حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها . وحديث علي أعلمكم ونحو ذلك . . الخ .

٢- هو ما لم يجمع بشكل مدون متفق على جمعه إلا بعد وفاة رسول الله(ﷺ) بحوالي تسعين سنة وذلك في عصر عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١هـ ولم يطلق على ما جمع منها عنوان صحيح إلا بعد ظهور الصحاح الستة وعلى رأسها صحيح الإمام البخاري (ره) المتوفى سنة ٢٦٠هـ.

كما جاء هذا في كتب الأخوة السنة أنفسهم فاليك منها ما يلي :

١- جاء في كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وفي المختصر ص٣٣ وأخرجه ابن سعد في الطبقات كما في ج٥ ص٢٣٩ كنز العمال عن الزهري عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب (رض) أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله(ﷺ) فأشاروا عليه بأن يكتبها فطفق يستخير الله شهراً ثم أصبح يوماً وقال : إني أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت أن قوماً قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني لا والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً .

٢- في كنز العمال أيضاً ج٥ وجامع بيان العلم ص٣٤ بسند عن أبي خيثمة وابن جعدة أن عمر بن الخطاب (رض) كان يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها وكتب إلى الأمصار من كان عنده شيء فليمحه .

٣- في طبقات ابن سعد ج٥ ص١٤٠ في ترجمة محمد بن أبي بكر (رض) أن الأحاديث كثرت على عهد عمر (رض) فأنشد الناس أن يأتوا إليه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها .

وفي كنز العمال حديث رقم ٤٨٦٥ جمع عمر (رض) من الآفاق عبد الله بن حذيفة وأبا ذر وأبا الدرداء وعقبة بن عامر واستنكر عليهم إفشاء تلك الأحاديث واحتبسهم عنده حتى موته (رض).

وهكذا فمن الحديث (السنة) ما أحرقه . ومنه ما أوقف إفشاءه ومنه ما نهي عن كتابته .

واستمر ذلك الحال إلى عصر عمر بن عبد العزيز، حيث أمر بجمعه من هنا وهناك وكتابته وأطلق على من أخذوا بذلك الجمع بعد حوالي تسعين عاماً - كما تقدم - ثم ما تلاه من الصحاح الستة. أطلق عليهم اسم: سنة. كما أطلق على الذين أخذوا بالجمع الذي سبق عن أهل البيت في عصر رسول الله(ﷺ) نفسه وبعد وفاته مباشرة: باسم شيعة. وقد سبق للنبي(ﷺ) كما في كتب السنة نفسها حديث الثقلين ومنه قوله(ﷺ): ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.. الخ.

والميزان الصحيح للجمع الأول عن أهل البيت ثم الصحابة (رض) والجمع الثاني عن الصحابة ثم أهل البيت(ﷺ) الذي كتب في عصر عمر بن عبد العزيز وما يليه.. الخ. الميزان الصحيح هو موافقته للقرآن. للأخذ والعمل به أو يقرأ ولا يعمل به كالمنسوخ مثلاً.

وعليه فعند القرآن يلتقي الطرفان ولا داعي للخصام والتفرقة والله المستعان.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

القرآن واحد محفوظ لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل

ما أجمل وأشمل كلمة (موحد) هذه هنا فهي بفتح الحاء مع تشديدها، تفيد حقيقة من الحقائق الثابتة وهي كون القرآن واحداً عند جميع المسلمين، وموحد بكسر الحاء مع التشديد تفيد فيما تفيد كونه وحّد بين المسلمين في الماضي، وهو موحدهم في الحاضر والمستقبل -كما وحدهم من قبل- إن هم عملوا به، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا..﴾، ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ..﴾، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً..﴾ الخ.

وهو، أعني القرآن المحفوظ إلى اليوم وإلى ما شاء الله كما أنزل على محمد(ﷺ) ومن شذ في قوله أو شبه قول غيره هذه الحقيقة فذلك إما أن يكون آخذاً بما هو مدسوس، أو بما هو ضعيف متروك عند الشيعة والسنة، على حد سواء.. ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ..﴾.

وقد ذكرت هذا بشكل أوسع في كتابي بين الجدران في تفسير القرآن من القرآن ويكفي هنا أن أذكر لك مما لم أذكره هناك:

مثلاً مما جاء في كتاب مدخل القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن للدكتور محمد عبد الله دراز، ترجمة محمد عبد العظيم بكالوريوس في التجارة وليسانس في الآداب، مراجعة الدكتور سيد محمد بدوي طبع الكويت وهو كتاب - كما جاء في ص٥ - يمثل إحدى رسالتين باللغة الفرنسية نوقشتا في ١٥ كانون الأول ١٩٤٧م بجامعة باريس وبفضلهما نال المؤلف درجة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف الأولى.

جاء فيه في ص٣٥ خلال عرض عن كون القرآن واحد ما نصه «فإن هذا المصحف هو الوحيد المتداول في العالم الإسلامي بما فيه فرق الشيعة منذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان ونذكر هنا رأي الشيعة الإمامية أهم فرق الشيعة». كما ورد بكتاب أبي جعفر الأم أن اعتقادنا في جملة القرآن الذي أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد(ﷺ) هو كل ما يحتويه هذا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر، وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو ١١٤ سورة، أما عندنا فسورة الضحى والانشراح تكونان سورة واحدة. وكذلك سورتا الفيل وقريش. وأيضاً سورة الأنفال والتوبة. أما ما ينسب إلينا الاعتقاد في أن القرآن أكثر من هذا فهو كاذب كفار.

وعلى هذا تقارير كل علماء الشيعة الأعلام قديماً وحديثاً ومنهم على سبيل المثال لا الحصر من ذكرهم الفاضل الكشميري في كتابه البرهان، الصدوق والمفيد وعلم الهدى والطوسي والطبرسي والفيض والجناجي والاشتياني والأمين وشرف الدين والبروجردي وكاشف الغطاء والحكيم والميلاني والكلبايكاني والطباطبائي والخوئي والصافي وحسين مكي وعبد الرحيم المدرس التبريزي ومغنيه و. . و. . الخ.

وما نقل عن شواذ ممن يدعون بعلماء الشيعة وممن يدعون بعلماء السنة عن مدسوسات أو روايات ضعيفة أو متروكة لقد تلاشت أمام إجماع العلماء الأعلام قديماً وحديثاً وعدم وجود غير القرآن الواحد هذا المتداول عند الجميع منذ أنزل على محمد(ﷺ) حتى اليوم وإلى ما شاء الله محفوظاً كما قال سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن وبال الدعاية الكاذبة بين السنة والشيعة وما يتخذ ضدها

ما ترك القرآن ناحية من نواحي حياتنا الخاصة والعامة إلا ذكرها جملة وتفصيلاً أو تعريضاً أو تلميحاً أو إلماماً أو إشارة.. ثم وضع لها التقارير والعلاجات.. الخ. وصدق الله سبحانه إذ قال ﴿ما فَرَّطْنا في الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

من تلكم النواحي: الدعايات

ولنبدأ بالكاذبة منها فهي أكثر ففيما جاء فيه آيات عديدة في النهي عن الأخذ أو الاعتماد على الأمور بمجرد السماع فقط دون التأمل ويعني التأمل والتحقق.

وفي ذلك مثلاً ما جاء في الآية ٦ سورة الحجرات ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾.

ولم يقتصر على نبأ الفاسق فقط بل مطلق الأنباء من أي مصدر كان. وإنما ذكر نبأ الفاسق للتنبيه على ذلك أكثر. ومما قاله سبحانه في تبين مطلق الأنباء ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ في سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ..﴾ الخ. آية ٩٤ النساء.

ويكرر سبحانه في هذه الآية نفسها كلمة فتبينوا، إذ يقول بعدما تقدم: ﴿كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

وطالب فيما طالب بالسلطان البين (الحجة الوثيقة) إذ قال تعالى: ﴿لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ آية ١٥

الكهف. وإن ذلك من حق الآخرين كما في الآية ١٠ سورة إبراهيم: ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾.

وفيما نصحهم سبحانه ما جاء في الآية ١٩ الدخان: ﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾.

فالمقصود بهذه الآيات ونحوها هو الحجة الوثيقة وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ﴾ ١٤٩ سورة الأنعام.

ونحو هذا كثير وعليه فمجرد السماع وحده لا يغني من الحق شيئاً.

كم وكم أوقع الوهن والفساد والويلات في بعض الأمم بما فيها أمتنا الإسلامية مجرد السماع. وأغلبه كذب في كذب كما شاهدنا ونشاهد.. الخ.

ومما جاء في توبيخ وتأنيب تلك الأمم التي يأخذ بعضها بالسماع فقط وعلى الأخص الكذب كاليهود مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ آية ٤١ المائدة.

كما وفي أهل النفاق وفي عامة المسلمين من الذين يأخذون بالقول على مجرد السماع فقط وما أكثر هذا القسم فينا اليوم ويا للأسف. وما أقل المتبينين ففيما قاله فيهم سبحانه: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاَّ خَبالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾ آية ٤٧ سورة التوبة.

وفي آخر هذه الآية - كما يلمس - لون من التهديد، كما وفي آيات أخرى ألوان من التهديد على الانحراف عن الحق. في ذلك من الطرفين. طرف المسمعين وطرف السماعين إضافة إلى ما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي تنهى عن ذلك مع تحذير، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ﴾ - إلى قوله - ﴿كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ آية ٣٦ سورة الإسراء.

فالمطلوب هو: أن تقف - أي تتبع - ما يحصل لك به علم لا بمجرد السماع.

وعاب على الذين يتسرعون إلى إذاعة الشيء دون تأمل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ..﴾ الخ. آية ٨٣ سورة النساء. كما مدح وشجع الذين لا يتخاذلون أمام الدعايات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آية ١٧٣ سورة آل عمران.

وفي هذا كفاية. فلننتقل إلى ذكر نماذج مما قالوه ضد الحق. وقاموا ببثه دعاية لإسماع الآخرين ثم الحديث عن التأثر به وما هو الموقف أمام ذلك.

لقد قالوا فيما قالوا من الأباطيل قديماً وحديثاً ما لم يستند إلى حجة وفيما بين القرآن من حالهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ آية ١١٦ سورة الأنعام.

وقد توالت وما زالت تتوالى آياته وحججه بالحق حتى اليوم وإلى الأبد، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..﴾ الخ. آية ٥٣ فصلت.

ونحو ذلك وغيره في هذا الباب كما وفي أبواب أخرى من أقوالهم وقد حكاها القرآن عنهم نحو ما جاء في آية ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً..﴾ الخ. فرد عليهم فيما رد عليهم بقوله سبحانه مخاطباً رسوله الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾.

وقد اجترأ على الله فيمن اجترأ إلى درجة التنظير فرعون كما حكى القرآن عنه بقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

وهذا التنظير أكثر مما يعبر عنه المنطق بعبارة قياس مع الفارق.

وعليه: إذا كان هكذا بلغ الاجتراء على الله سبحانه فكيف بمن دونه كالنبي ومن إليه. الخ.

ومن ذلك ما تحدث به القرآن بقوله: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا..﴾ الخ آية ٥ الفرقان.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ..﴾ الخ.

وقد كذبهم الله بقوله: ﴿فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ وقد جاءت هذه الآية مرتين في سورة الشعراء آية ١٥٣ و ١٨٥ وهذا من جملة أقوالهم فيه وفي بعض من كان قبله من الأنبياء(ﷺ) ممن كان قبلهم من الأمم.

ومن أقوال أعداء النبي(ﷺ) ما حكاه القرآن عنهم في أنه ساحر ومجنون وكذاب وأنه ضل وغوى وزاغ بصره و.. الخ. ومن ذلك ما حكاه القرآن في الآية: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ آية ٥٢ سورة الذاريات.

وفي آية: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ آية ٤ سورة ص ونحو ذلك.. الخ.

وقد رد عليهم فيما رد بقوله مستنكراً: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ آية ٧٧ سورة يونس. وتحداهم في أن يكون حسب ادعائهم أن ما جاء به كذب وافتراء بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ وإلى حد ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ..﴾ الخ.

وفي نفي الضلال والغواية والزيغ قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى..﴾ الخ. وقدم البرهان إثر البرهان والحجة بعد الحجة ومع ذلك فقد أصر بعضهم على ما قال. فلم يغلب إصرارهم الحقيقة إلى ما قالوه فما هو خلاف الحقيقة ولم يعقب غير الخزي والندامة.

ولقد قالوا في علي (ع): إنه لا يصلي ولا يصوم ولا يغتسل عن الجنابة ونحو ذلك وغيره من دعايات معاوية وأتباعه الكاذبة، وقالوا في الحسين سبط رسول الله الإمام بنص جده قام أو قعد قالوا إنه خارجي خرج عن حده فقتل بسيف جده. وقالوا في غيره من آل النبي وصحابته المخلصين ما قالوا ثم بالأمثل فالأمثل من التابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا بما فيهم من العلماء المخلصين والقادة المصلحين والأدباء الملتزمين والمربين الموجهين قالوا وما زالوا يقولون فيهم ما ليس فيهم وإلى درجة حدث العاقل بما لا يليق.. هكذا كانوا وما زالوا يحدثون ويشيعون من دعايات كاذبة.. الخ.

فإذا ما نصحهم ناصح عابوا عليه كلامه وهذا لا يضر الحقيقة.

فقد قيل إن القرآن سحر وما يقوله النبي زور

نعم إن هذا لا يضر الحقيقة ولكن يضر بأهلها وطلابها. إذا فما هو العلاج؟.

الجواب: هاكه من القرآن الكريم باختصار واختصار فيما يلي:

١- بعد التعرف على أصحاب الدعاية الكاذبة أهم من أهل الأغراض الخاصة أم عملاء لآخرين؟ وهل هم جهال مغفلون أو عقلاء مخدوعون؟ وبعد هذا تذكرة الموجهة ضده تلك الدعاية ما علم من الحق. وإن أولئك ليس لهم بما أخفوه من الحق ما توهموه أو تعمدوه من دعوى الغلبة لهم والعكس الطرف المقابل وأنه لا محاسب لهم بعدها.. و.. الخ.

وعليه عند نفاذ الوسائل التي أمر الله بها من الرد الجميل أو الهجر الجميل أن يدع الأمر له فهو كفيل بنصره لتحليه بالتقوى والإحسان وأن يمضي في طريقه قدماً.

كل ذلك وما إليه تجمعه الآيات الآتية وما يجري مجراها ونحوه.. الخ.

١- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ الآية ٣٣ الأنعام.

٢- ﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾ آية ٦٥ سورة الأنعام.

٣- ﴿فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾ آية ٧٦ يس.

٤- ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾ آية ٢٣ لقمان.

٥- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.. الخ آية ٩٧ الحجر.

٦- ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ونحوها في سورة النحل آية ١٢٧. لفت النظر إلى سوء عاقبة من كان قبلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.. إلى نحوها من الآيات.

وفيما في هذه الآيات تهديد بالعقاب ووصفهم بالمجرمين كما وفيما في القرآن آيات تضع فيما تضع تقريراً عن كيف يجب أن تكون الدعوة والدعاية الحقة. وأكتفي بهذا الخصوص بالآية: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ونحوها والآيات.. الخ.

وأذكر بهذه المناسبة مما في النهي عن الانصياع لتلك الدعايات أو التأثر بها ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آية ٨ القلم و ﴿قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ آية ٥٦ الأنعام. ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً..﴾ الخ، آية ٥٧ المائدة. ولتطمئن أهل الحق أن لا يتأثروا بتلك الدعايات ولا تهنوا ولا تفشلوا والله معكم ولكم.

.. وأعود وإياك إلى الآية: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ..﴾ الخ فهي تأتي قبل الآية: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

فبطبيعة الحال أن الدعايات الكاذبة يراها أصحابها عقاباً أو وسيلة لإنزال العقاب - ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ - وهذا مرجح على المقابلة بالمثل.

وعودة أخرى إلى سورة الحجر والآية ٩٧ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾. لنشر إلى ما تقدم خلال تقرير الموقف أمام الدعاية الكاذبة من المضي قدماً. فقد جاء فيما جاء قبلها قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ آية ٩٤. فهو(ﷺ) مأمور في ظروف مختلفة بكل ما تقدم في الآيات من أعلام وصبر، وتأمل وتقوى وإحسان. فالمضي قدماً إلى الأمام وعدم الالتفات.

وعلى هذا الأساس قلت فيما قلت في كتابي المطبوع قيم وذكريات عابرة في ثنائيات بالمناسبة منها..؟

قل لمن من دعاية ضاق كافح	أو فصبراً فالأيام تكشف زيفا
وبحسن التدبير يجري لسان	بمديح ممن يذمك سيفا

ونأتي بعد ما تقدم من القرآن إلى السنة الشريفة فنجد فيما نجد من أروع الأمثلة في ذلك مثلاً صبر الرسول(ﷺ) أمام تلك الدعاية الكاذبة ضده ما حدث من إيذاء أهل الطائف صغيرهم وكبيرهم تأثراً بدعايات أهل مكة ضده وعلى رأسهم أبو جهل وأبو سفيان. ومنها قوله بأنه ساحر ومجنون وكذاب و.. الخ. وأراد جبرئيل(ع) أن يزلزل بهم منتظراً أمر الرسول(ﷺ) فقد تجاوزت معاملتهم القاسية كل الحدود. فكان جوابه(ﷺ) رفقاً بقومي فإنهم جهال لا يعلمون.. الخ.

ومرت الأيام فإذا بتلك الدعايات تغرق والحق ينتصر وقد ظهر أمر الله وهم كارهون.

وبالنسبة لما بثوه من الدعايات ضد الإمام علي(ع) وولده وشيعته ونحوه ما حدث بين أهل السنة والشيعة - كما سيأتي - وقد تمزق ولم يبق الله إلا بمقدار ما بقي ضد النبي(ﷺ) تقريباً هنا وهناك وعند بعضهم وهو آخذ بالتمزق ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ وتعني الآية فيما تعني النفع الصحيح كما يدل عليه السياق لا النفع السقيم الوقتي الذي ما بعده إلا العار والنار.

فمن العار أن أبناء الدين الواحد تبلغ ببعضهم الدعاية ضد بعض إلى استحلال دماء وأعراض وأموال بعضهم لبعض لمجرد خلاف في فرع من الفروع مما ذهب إليه بعض المذاهب قبولاً أو عدم قبول لا يخرج عن دائرة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فوا أسفا أن الدعاية تنطلي ... على بعض أهل العلم فيما تزيف
تسننا يدعي جموداً على الذي ... به سلف الإسلام بالخير يوصف
تشيعنا بالرفض يزري وأنه ... كجبهة رفض في فلسطين تشرف
وليس اختلاف الرأي، داع على الجفا ... فذاك وذا حل المشاكل يهدف[1]

(١) من قيم وذكريات مطبوع للمؤلف.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

الشفاعة وتكذيب اتهام الشيعة فيها بالشرك وعدم المبالاة بالذنب

الشفاعة، وهي كل شيء ملك لله وحده لا شريك له ويؤتيها من يشاء كما يؤتي الملك من يشاء لقوله تعالى: ﴿.. قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ..﴾ آية ٢٦ سورة آل عمران. وورد فيما ورد ذكرها في القرآن كجزء من ملك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ آية ٤٤ سورة الزمر. فهو سبحانه كما يؤتي الملك من يشاء يؤتي الشفاعة من يشاء لا يفرض ذلك أو غير ذلك عليه أي أحد كان من خلقه فهم كما قال سبحانه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ آية ٨٧ سورة مريم. وقد استثنى سبحانه في الآية نفسها: ﴿.. إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً..﴾ ممن اتصف فيما اتصف به من الحصول على إذن منه سبحانه.. ممن رضي منه قولاً.. وارتضاه لأن يشفع. إذ قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ..﴾ آية ٢٨ سورة الأنبياء.

وعلى رأس من ارتضى - كما ذكر في القرآن الكريم - هو أفضل خلقه وخاتم أنبيائه محمد(ﷺ) حيث قال سبحانه مخاطباً إياه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ آية ٦٤ سورة النساء.

هذا هو مجمل ما جاء في الشفاعة تحت أضواء القرآن الكريم لتعريف كل مسلم بحقيقتها. والمغالط والشاذ لا يعتد بهما، ونحوه ما جاء في السنة كما سيأتي منه بعد قليل.

وكلمة شفاعة وردت في القرآن في ثلاثين آية بصيغ مختلفة بما فيها ما تقدم ذكره منها. وقد ذكر بعض المفسرين أكثر من معنى لها. ومنهم صاحب

كتاب الوجود والنظائر فقد ذكر لها ثلاثة معان أذكرها هنا بإجمال أيضاً تنويراً للأذهان . .

١ - الشفاعة من الشفع بعينه ومنه قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذْنه﴾ آية ٢٥٥ سورة البقرة .

٢ - الشفاعة للمأذون له من الله تعالى ومنه قوله تعالى : ﴿قُـلْ للهِ الشَّـفاعَةُ جَميعاً﴾ آية ٤٤ سورة الزمر . يعني شفاعة الشافع بإذنه ، هي كذلك له .

٣- العمل بالحسنة أو السيئة . إذ قال سبحانه : ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصيبٌ مِنْها﴾ أي يوحد ويصلح بين اثنين أو أكثر ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً﴾ أي يشرك ويحرض بين اثنين أو أكثر ﴿..يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها..﴾ لاحظ آية ٨٥ من سورة النساء . وللبيان ما تخللها هنا من كلمات وفي كتابي المتواضع كفاية الخطيب ج٤ موضوع أوسع عن الشفاعة إن رمت المزيد فانتقل هنا وإياك إلى ما جاء في السنة الشريفة عن الشفاعة ويكفي هنا أن أقتصر على ما يلي :

١ - مما جاء في صحيح البخاري ج١ ص٨٦ باب التيمم أن النبي(ﷺ) قال : أعطيت خمساً لم يعطني أحد - إلى قوله - : وأعطيت الشفاعة .

٢ - ما جاء في صحيح مسلم ج٧ ص٥٩ بسنده عن النبي(ﷺ) أنه قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة - إلى قوله - : وأول شافع ومشفع .

٣- مما جاء في كل من البخاري ومسلم ج١ ص١٣٠ عن أبي هريرة وغيره وفي مسند الإمام أحمد ج٢ ص٢٧٥ وموطأ الإمام مالك ج٢ باب ما جاء في الدعاء وفي سنن ابن ماجه ج٢ الشفاعة بسند عن النبي(ﷺ) أنه قال : لكل نبي دعوة وأردت إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة .

٤ - وفي الرسالة الواسطية لابن تيمية ص٢٢ ما مجمله أن هناك ثلاث شفاعات :

آ- إما في أهل القيامة حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى حتى تنتهي إليه(ﷺ) .

ب- في أهل الجنة حتى يدخلوها. وهاتان الشافعتان خاصتان له(ﷺ).

ج- فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيمن استحق النار أن لا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها.

ويخرج الله أقواماً بغير شفاعة بفضله ورحمته ويبقي في الجنة فضل عمن دخلها فينشئ الله أقواماً فيدخلهم الجنة.

٥- جاء في كنز العمال للبيهقي ج٧ ص٢١٤ بسنده أن رسول الله(ﷺ) قال: «الشفاعة خمسة: القرآن والرحم والأمانة ونبيكم وأهل بيته».

وفيه كما في غيره من أمثاله ومنها سنن الترمذي والمستدرك على الصحيحين للحاكم بسند معتمد أيضاً أن النبي(ﷺ) قال: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم.

هذا مما جاء في كتب السنة - وفيما فيه - ذكر أهل بيته(ع) بأنهم شفعاء كذلك بل ولرجل واحد من الأمة كما تقدم مما يحكم بعدم الالتفات إلى من يقول أن ذلك شرك..

وليس في كتب الشيعة إلا نحو ما تقدم من كتب إخوانهم السنة.. ومما يوضح ذلك أكثر ما جاء فيما جاء في بحار المجلسي ج٣ ص٣١ باب الشفاعة عن الكافي للكليني ما جاء في الإمام الصادق(ع) في هذا الموضوع «نمجد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا..» الخ وقوله(ع): «لا تنال شفاعتنا أهل البيت مستخفاً بالصلاة» وكفى هذا رداً على من ادعى باطلاً على الشيعة.

أما عدم المبالاة بالذنوب فتلك شبهة عند بعض الشيعة والسنة أيضاً هي شبهة اللمم وهي صغائر الذنوب كالنظرة الأولى لك والثانية عليك ونحوها. علماً بأن الإصرار على الصغائر يقلبها إلى كبائر. ولا يجدي حينئذ ما ذكر من أن مجتنب الكبائر تغفر له الصغائر على أساس ما جاء في سورة النجم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ..﴾ الخ آية ٣٢ فذلك لمن لا يصر على اللمم. والفواحش جمع فاحش وهو

القول أو الفعل الذي لا يقره الشرع ولا الآداب. والكبائر ما يكبر عقابه من الذنوب وفيما جاء نحوها عن النبي(ﷺ) إحدى عشرة الشرك بالله واليمين الفاجرة وقذف المحصن وشهادة الزور والقتل بغير حق وشرب الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين والفرار من الزحف.

وحديث (شفاعتي لأهل الكبائر) لا يعني تشجيعهم بل الرجاء لهم أن يكفوا عنها فتحصل شفاعته بما سلف منها كما لا يعني الحديث كل الكبائر فمنها ما استثني ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ..﴾ الخ آية. والحديث المروي في كتب للسنة والشيعة أيضاً (حب علي حسنة لا تضر معه سيئة) لا يعني عدم المبالاة بالسيئات، بل ما يشده حبه من الطاعة لله ولرسوله. وأن المحب لمن يحب مطيع، وما جاء في أشعار بعضهم مثلاً:

حبه الإكسير لو ذرَّ على ... سيئات الخلق صارت حسنات. . الخ

هذا من باب المبالغة بالشيء لتجسيم أهميته. وهو مقبول في المجالات الأدبية ومن ذلك مثلاً قول أحدهم في محبوبته:

لو أنها كلمت ميتاً بحفرته ... لقام منها بذاك المنطق العذب

علماً بأنه لا السيئات بذاتها تنقلب إلى حسنات، ولا الميت يقوم من حفرته. لذلك، ولم يشجع علي ولا رسول الله(ﷺ) في يوم من الأيام على سيئة. وقد قال(ﷺ): لو عصيت لهويت، وعلي وولده الأئمة متابعون له. فقليلاً من التأمل أيها المتقولون أو المشتبهون. فإنكم أمام الله محاسبون.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن النظرة إلى العلماء من الطرفين كيف ينبغي أن تكون..؟

الناس في نظراتهم إلى العلماء على قسمين:

١ - نظرات فاحصة متفهمة.

٢ - نظرات عابرة غير متفهمة.

فالفاهمون - بما لهذه الكلمة من معنى - هم الذين ينظرون بمنظار القرآن والسنة إلى العلماء فيولونهم ما يحق لهم من أداء حق وامتثال أمر وانتهاء عما نهوا عنه واحترام لهم واهتمام بشأنهم.. إلخ.

فالمنظار القرآني.. المشار إليه حقيقة بالخشية من الله لا من الناس.. انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِه الْعُلَماءُ﴾ آية ٢٨ سورة فاطر. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ﴾ آية ٣٩ سورة الأحزاب.. ونجدهما من الآيات وما إليها.. التي فيها الأقاويل المطلوبة، لا التي على العكس منها. كمثل ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾ الخ.

ومنظار السنة الشريفة يعني ما وصفهم به رسول الله(ﷺ) في أحاديث ومناسبات كثيرة. كقوله(ﷺ): علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل. والعلماء ورثة الأنبياء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، ونحو ذلك.. الخ مما يعرفنا بتخلقهم بأخلاق الأنبياء ومنها الإصلاح بين الناس والصحيح لما يعلمون ويعملون ويرشدون إليه ويشجعون عليه، ذلك لأن العلماء: - كما بدا لي ويبدو لكل ذي بحث نزيه شامل وتحقيق - ينقسمون إلى عدة أقسام يتفرع من كل منها فروع أجملتها في أربعة أقسام لكل منها أربعة فروع كما يلي:

١- علماء سلطويون وهم على أربعة فروع:

آ- منحازون للسلطة حقيقة.

ب- منجرفون مستضعفون منجرفون معهم.

ج- مجاملون لدفع الشر عنهم وعمن إليهم.

د- مرتزقة لا يهمهم شيء غير ارتزاقهم فقط.

٢- علماء ثوريون، وهم على أربعة أقسام:

آ- عملاء للغرب أو للشرق يحبون ظهور أسمائهم ولو عدوا في المهووسين على غير علم أو على علم.

ب- مؤيدون للعملاء مخدوعون بشعاراتهم. أو متعمدون ذلك خوفاً من بطش أو طمعاً بشيء ما.

ج- انتهازيون لتحقيق مآرب خاصة لهم على حساب هذا أو ذاك من طرفي النزاع.

د- عقائديون مخلصون لقضيتهم الثورية. أكانت دينية أو غير دينية وهؤلاء قليل.

٣- محافظون على ما عندهم، وهم على أربعة أقسام أيضاً:

آ- متزمتون جامدون.

ب- متطرفون معتدون تقليداً لأسلافهم.

ج- متطرفون معتدلون.

د- قابلون للعدول عما هم عليه لسبب أو أكثر.

٤- مستقلون، وهم على أربعة أقسام أيضاً:

آ- مقيدون لمن حولهم من أمثالهم.

ب- غير مقيدين.

ج- شكليون لا أكثر وقد يشوب بعضهم نفاق.

د- مثاليون، يمثلون ما انتهجوه من دين أو مذهب أو مبدأ ممن فيهم المنتهجون للإسلام قولاً وعملاً بنزاهة عن كل تحيز وبإخلاص للحقيقة وأهدافها السامية من تنظيم العلاقة المطلوبة بين الخلق وخالقهم سبحانه وبين الخلق بعضهم ببعض ونشر العلم والتقوى المطلوبين والتعاون على البر والتقوى والعمل على الإصلاح .. الخ.

وبما أن هؤلاء، قلة نادرة فلقد حدا ببعض الناس إلى المبالغة بشأنهم إلى درجة الغلو حتى لقد ماثل بعضهم غير المسلمين من الذين ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ..﴾ الخ آية ٣١ سورة التوبة. وهذا ضلال باسم هداية، وأضل منه من اتخذوا المتشبهين بالمثاليين بمثل ما اتخذوا المثاليين حتى اختلط الأمر على بعضهم، فرمى غير المغالين والمغالين من مختلف المذاهب الإسلامية - بما في ذلك الشيعة - بسهم واحد وهذا خطأ. بل وضلال أيضاً. لا يقل خطورة على الأمة، عن خطورة من تقدم ذكرهم من المغالين..

هذا مع أن المثاليين الحقيقيين المذكورون فيما سبق، هم الذين يعنيهم ويعتني بهم ويوصي بالاعتناء والعناية اللائقة بهم كل من منظار القرآن والسنة.

فعلى الفاهمين أن ينبهوا ويفهموا المخدوعين غير الفاهمين والغلطاء وذلك - بالتي هي أحسن - غير مغالين ولا مقصرين ولا مغالطين - ليفهموا وإياهم بكل ثقة واطمئنان - ما لهم وما عليهم وليسيروا جنباً إلى جنب قدماً إلى الأمام غير متعثرين بخلاف كان أو قد يكون بين المسلمين.

ولئن أقيمت جلسات أو مؤتمرات لم تحقق أو حققت بعض ذلك في الماضي فلا نعدم الأمل من تحقيق ذلك في المستقبل القريب.

وعلى تقدير عدم أو تأخير تحقيق هذا الأمل إلى مستقبل ليس بالقريب رغم السعي لذلك وما يبذل من جهد فليقال له ما قال القرآن الحكيم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ﴾.

ومما جاء عن فتح الأبواب لليائسين في قوله تعالى ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ..﴾ الخ.

وينظر للتاريخ وما جاء في مكان لنقل من الحال السيئ إلى الحسن والأحسن وقوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

تذكرة المتطرفين من السنة الوهابيين ومثلهم من الشيعة

أذكر الطرفين فيما أذكر هنا بأن دعايات بعضهم ضد بعض هذا يقول لذاك أنتم شر من اليهود والنصارى والكفار وذاك يقول لهذا، كذلك مع أن الطرفين مسلمون. فلم يجنوا من ذلك غير تمزيق الشمل وترك معظمهم الدين خاصة الشباب، وتمزيق الشمل والضعف أمام الأعداء والحساد وسيطرة الأجانب الطامعين وسخط الله سبحانه. كفى الذين هم من المسلمين ويسيئون إلى إخوان لهم من المسلمين أيضاً بالقول والفعل ما ذكره القرآن من أن ذلك من أخلاق غير المسلمين، ومنه الآية ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ..﴾ الخ آية ٢ الممتحنة.

كما وصف غير المسلمين أيضاً من يتكلم بالسوء ضد الحق معتبراً ذلك مما هو حسن عنده ومن ذلك ما جاء في الآية ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ آية ٦٢ النحل.

وأتبعها بذكر مستقبلهم بالآية ﴿لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾.. الخ. وهذا مما في الآخرة إضافة إلى ما يعطي معنى ذلك في الدنيا من العذاب النفسي والرهق الاجتماعي وما إلى ذلك. ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ جمع مفرط وهو من فرط ومن معانيه التقصير في الشيء وتضييعه وتجاوز الحد في الشيء إسرافاً كان أم تقصيراً.. الخ.

والمفرط المتروك وفيما قالوا: إن معنى مفرطون: متروكون في النار منسيون كما جاء في مختار الصحاح ص٤٩٩ وفي بعض هذا حاجز ورادع عن إساءة القول.

إضافة إلى ما جاء في آيات أخرى من التهديد ومنها ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ و﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ آية ٦٥ يس و٢٤ النور.

ومما يعمل باليد ما يكتب من أباطيل وسباب ومما جاء في ذلك من التهديد ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ آية ٧٩ البقرة. وهي موجهة إلى أهل الكتاب من غير المسلمين أيضاً وشمل كل من يسير في خطاهم.

والويل في ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ هو: العذاب واسم واد في جهنم.

ولنتساءل هنا: إذا كنا نتألم من عذاب إنسان مثلنا من الذوات مثلاً أو الساسة، إذا تكلمنا أو كتبنا شيئاً ضده. وعلى الأخص إذا كان على غير أساس من الحق، فإن ذلك يكون مضاعفاً علينا. فكيف بنا أمام الله وعقابه وقد تكلم بعضنا ضد بعض أو كتب بما لا مزيد عليه في عوالم الاتهامات والأكاذيب والتهجمات والاعتداءات.. الخ.

والأكاذيب من يشنها عشياً فعليه تشن في إبكار[1]

والنتيجة ماذا..؟

الجواب: تشويه سمعة الطرفين ونفرة شبابهما خاصة. واستفادة الغير من ذلك.. الخ.

مثلاً من ذلك أن لأحد الأخوة الوهابيين كتاباً مفتوحاً لي ولغيري ليقرؤوه وليحققوا بأنفسهم ما عرضه في الكتاب المشار إليه وعنوانه (دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد عبد الوهاب) ومؤلف الكتاب فضيلة الشيخ محمد منظور النعماني رئيس تحرير مجلة الفرقان ورئيس قسم الحديث بدار العلوم وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

ومما جاء في كتابه المذكور مثلاً في ص٨٥ - ٨٩ بعد ذكره بعض ما كتب عن الوهابيين من قبل علماء أعلام من المسلمين وعلى رأسهم ابن دحلان المكي صاحب كتاب السيرة النبوية المشهور ومفتي الشافعية في الحجاز قال ما حاصله بالنص التالي «وكل ذلك جعل أهالي الحرمين الشريفين يرون أهل نجد

---

(١) من قصيدة للمؤلف من ديوانه الرابع ديوان الغربة والمعاناة.

- يقصد الشيخ محمد عبد الوهاب وأتباعه - كاليهود والنصارى والمشركين بل شراً منهم».

وذكر أيضاً عن الشيخ المدني صاحب كتاب الشباب الثاقب أن العرب وخاصة أهل مكة والمدينة يبغضونهم أكثر مما يبغضون النصارى واليهود والمجوس والهنادك.

وكرر النعماني هذا ونحوه في ص٦٦ وغيرها في كتابه المذكور ومما قاله ما نصه: «أنهم كانوا شديدي الكراهية كثيري البراءة منهم أكثر من اليهود النصارى والمجوس والهنادك».

وفي ص١١٨ - ١١٩ منه ما نصه: «أن الوهابيين عندهم أسوأ من جميع الكفار على أرض الله لأنهم أعداء الله ورسوله وأهل بيته وعباد الله الصالحين وعباده المتقين».

وقد سبق للأخ النعماني فيما قاله في كتابه المذكور وحتى آخره: مثل هذا ونحوه. والرد عليه الذي هو الغاية من كتابه المذكور فمثلاً من ذلك قوله في ص١٥ ما نصه: «أن الناس يذكرون الوهابيين بأسوأ ما يمكن من الكلمات ويتناولونهم بأبشع الصفات فكنت أفهم من كلامهم أن الوهابيين أقبح خلق الله سيرة وسلوكاً ولا يحبون النبي ولا عباد الله الصالحين بل يسيئون معهم الأدب ولا يتحرجون من ممارسة الوقاحة وعدم الاحترام والانتقاص من شأنهم». إلى نحو ذلك وغيره مما يطول ذكره.

وقد ألفت في ذلك كتاباً بعنوان: الدعايات والشيعة والحقيقة: في مذكرات مع الأخ النعماني المذكور في كتابه الذي نقلت منه ما تقدم. أعني كتابه دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد عبد الوهاب وفيما في كتابي عرض ومذكرات مع صاحب الكتاب المذكور ونحوه للتذكرة والعبرة.

مثل ذلك ما جاء ضد الشيعة وغيرهم من إخوانهم المسلمين الآخرين ويا للأسف. فكان ذلك على رأس الأسباب التي أوقعت بالمسلمين التفرقة

والوهن حتى أصبحوا أطعمة سائغة لغيرهم، بين فترة وأخرى.. مع الأمل بمن هم منها الداعين هنا وهناك أن يعود المسلمون إلى التفاهم والتعاون الخير أيضاً من سعادة الدنيا والآخرة فذاك هو طابع الإسلام وما حدث ما هو إلا كعاصفة تمر وقتاً وتزول وتعود الحياة الطبيعية وهذا مما وقع فعلاً بين فترة وأخرى كما يراه كل من درس التاريخ.. الخ.

فالوهابيون اليوم رغم ما حدث لا يعتبرون كاليهود والنصارى والمجوس والهنادك أو شراً منهم - كما وقع ذلك - ممن تحدث عنهم الأخ النعماني ونحوهم.. الخ.

وكذلك الشيعة وغيرهم من المسلمين لا يعتبرون كذلك - رغم ما كتب ضدهم - مما سأورد نماذج منه فيما يلي للتذكرة والتبصرة أن ليس الأمر كذلك لا في الوهابيين ولا في الشيعة ولا في غيرهم من المسلمين فيما بولغ به سلباً وإيجاباً حول النبي وآله وصحابته والصالحين والمتقين.. الخ. فوجه أولئك إلى هؤلاء وهؤلاء إلى أولئك تهماً؛ واعتبر كل منهم الآخر تلك الاعتبارات النابية مع أن الجميع تضمهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، الخ. ولا أطيل عليك أكثر، هاك من تلك النماذج المماثلة:

١ - من ذلك مثلاً: أورد الدهلوي في كتابه التحفة الإثني عشرية: الذي نقله من الفارسية إلى العربية الألوسي وعلق عليه الخطيب وأخذ عنه ونحوه الجبهان أصلحهم الله وإيانا جميعاً. تماماً كما أخذ بعض عن بعض من سرح في مثله من أودية ضد الوهابيين على ما ذكر الأخ النعماني فيما تقدم.. ففي ص٩٨ - ١٠٠ من كتاب التحفة المشار إليه اعتبر صاحبه الشيعة كاليهود وفي ص ٩٩ كالنصارى والمجوس والصابئة وفي ص٣٠٠ كالمشركين.. الخ.

وكل ذلك بتأويلات مردودة تماماً مثل ما أورده الأخ النعماني ونحوه عن أضداد الشيخ محمد عبد الوهاب. كما أن ما ذكره صاحب التحفة ونحوه

مردود عليه في أكثر من كتاب واحد مردود عليه كتاباً وسنة وعقلاً وعرفاً و. . الخ.

ومما يذكر أن صاحب التحفة رد على نفسه من حيث يشعر أو لا يشعر في قوله في ص ٣٠١ بعد ذمه وسبه الشيعة ورميهم بما هم منه براء من التهم والأباطيل الجوفاء قال ما نصه: «. . وكيف لا وهم قد وافقونا في لباسنا وزاحمونا في أملاكنا. . ».

وهذا - كما يقال - بيت القصيد، أن القضية قضية أغراض شخصية ضيقة ممقوتة كما ترى ويراها كل ذي عينين.

وأتبع ذلك بقوله في نفس الصحيفة من كتابه المذكور ما نصه: «. . ونفثوا بسحرهم في أسلاكنا. . الخ».

وهذه الكلمة ويا للأسف على هذا الأخ وأمثاله من إخواننا المسلمين أصلحه الله وإيانا أجمعين، هذه الكلمة ككلمة المشركين ضد بيانات النبي وقرآنه ومدى تأثيرها بالحق ﴿إنْ هذا إلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ونحو ذلك. . الخ.

يصف الشيعة فيما يؤثرون به وفي غيرهم في عرضهم لما عندهم من الحق بأنه سحر ينفث. كما يوصف ما يؤثر من بعض الوهابيين فيما يؤثر بالآخرين بأنه سحر.

وكفى هذا رداً - شافاه الله من علته - ما جاء في الآية: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ..﴾ الخ.

يطلب الأخ المسلم النعماني، يطلب ألا يؤخذ بتلك الاعتبارات والأوصاف ضد الوهابيين كذلك يطلب ألا يؤخذ بمثله ضد الشيعة وغيرهم من المسلمين.

ومما يذكر من بوادر الإنصاف عند الأخ النعماني - التي تؤمل أن تكون عند أمثاله - ما ذكره في كتابه المذكور ص٦٦ بعد ذكره لما تقدم من أمر

الكراهية ضد الشيخ محمد عبد الوهاب ومن معه . . والبراءة منهم واعتبارهم شراً من اليهود والنصارى والمجوس والهنادك . . الخ . وكتابات رجال العلم والقلم مستقاة من مصادر مضادة وحدها مما أوقع ذلك .

قال بعد ذلك ما نصه : «لقد تطرق ذهني وأنا أكتب هذه السطور إلى قصة موسى وهارون التي حكاها كتاب رب العالمين أن سيدنا هارون لم يكن يخطئ في الواقع ولكن سيدنا موسى أخذ بلحيته ورأسه يجره إليه كأنه كان في الواقع مقصراً في أداء المسؤولية التي أنيطت به . لكنه استغفر ربه حينما اطلع على الحقيقة ودقة الظروف التي كانت تلامس القضية ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾» .

أقول إذاً حقيق بنا أن نأخذ بمثل هذا . ولماذا لا يأخذ المسلمون بعضهم في بعض بمثل هذا أفكان مقتصراً على جماعة دون أخرى . . ؟

أما آن لنا أن ينصف بعضنا بعضاً وأن نتخذ من هذه وأمثالها أكثر من درس نافع يأخذ بأيدينا إلى الوئام كما أخذ بموسى وهارون (عليهما السلام) .

ولنرقى إلى القمة أكثر : أفلا نتخذ من سيرة سيد الأنبياء محمد(ﷺ) مع من حوله من أهل الخلاف والنفاق فإنه لم يتخذ ما اتخذه ويتخذه غيره من إجراء يقال عنه في الخارج أن محمداً يقتل أصحابه . بل صبر وعاملهم تلك المعاملة الطيبة حفظاً لبيضة الإسلام حتى رجع إلى صفه من رجع منهم نادماً معتذراً .

فليسمع هذا - بعدما تقدم - ذوو السلطة ، الذين يعاملون الأقليات من رعاياهم أو من تحت سلطتهم معاملة غير طيبة سواءً كانت تلك الأقليات شيعية أم سنية أم غيرهما .

وليتداركوا ما وقع أو يقع قبل فوات الأوان . فكم من أقلية قامت بخدمات للأكثرية المحسنة إليها .

أحسن إلى الناس تستعبد عقولهم فطالما استعبد الإنسان إحسانا

مما يذكر هنا بالمناسبة، ما كان لي على سبيل الصدفة وما كان عن طلب موجه إلي. فيما كان لي من لقاء ببعض الجهات العليا من ملوك ورؤساء وحكام بلاد مختلفة. بين فترة وأخرى. في مناسبة وإذا بهم وبمن تحتهم من أجهزة الحكم على طرفي نقيض فبينما هم يقررون حسن المعاملة مع رعاياهم ومن يقيم أو يمر ببلادهم. إذ بمعظم من تحتهم من الأجهزة على العكس مما قرره وتقرره الجهات العليا المشار إليها، مما يحمد ويشكرون عليه فتسيء تلك الأجهزة أو بعضها إلى تلك الجهات التي وظفتها لتعمل لها وفق ما تقرره من حسن معاملة. وتسيء إلى الذين تعاملهم معاملة غير حسنة إذ تنزل بهم الأضرار وما إلى ذلك وبالتالي تسيء إلى نفسها أمام من حملتهم المسؤولية. وتكفلت برواتبهم وما إليها. إذ لا بد أن ينكشفوا في يوم ما. وحينئذ لا ينفع الندم. لا لهم ولا للذين وظفوهم؛ إذ كان من واجب الذين وظفوهم أن يراقبوهم ويوقفوهم عند حدهم.

وإلا فهم المسؤولون أمام الله والناس والتاريخ والأجيال، فليسمعوا هذا جميعاً وليتداركوا ما فات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

البداء الذي تقول به الشيعة تقول به السنة أم لا..؟

البداء عند الشيعة مجمله هو: أن البداء عند الله سبحانه هو ما جاء على أساس قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾ آية ٣٩ سورة الرعد. ومثلاً منه ما جاء في قصة إبراهيم وإسماعيل في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا..﴾ إلى قوله: ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ آية ١٠٧ سورة الصافات. وفي نبينا محمد(ﷺ) وقضية زينب بنت جحش وزيد (رض) ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ آية ٣٧ سورة الأحزاب. وكل ذلك ونحوه سابق في علم الله تعالى. مما لم يبدو للناس من مختلف الأمور بما في ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ..﴾ آية ٤٧ سورة الزمر. وفي حياة آل البيت مثلاً: «قضية إسماعيل بن جعفر الصادق وأخيه موسى بن جعفر(عليه السلام) حيث كان الشيعة وغيرهم يرون إسماعيل أنه الإمام بعد أبيه، ثم بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون.. وكذلك الحال في محمد بن علي الهادي وأخيه الحسن بن علي العسكري(عليه السلام) وقول الصادق في ذلك أن الله لم يبد له شيء كما بدا له في ابني إسماعيل، وقول الهادي في هذا مخاطباً له «إن الله أحدث فيك أمراً فأحدث له شكراً» كل ذلك بناء على ما خفي على الناس أو أخفاه الله عنهم ثم أبداه لهم وكان ذلك وغيره سابقاً في علمه سبحانه، ولم يكن بدا له من جهل - كما يبدو للناس - فمن ذلك الصادق نفسه وغيره من أهل البيت(عليهم السلام) من قال إن الله يبدو له من جهل فقد كفر، وشبه بالبداء أو قريب منه.. نسخ الأحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا محمد(ﷺ) وجانب من ذلك مما تلقاه النبي(ﷺ) عن الله سبحانه في قوله: ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ

مِثْلِها﴾ آية ١٠٦ سورة البقرة. ولهذا قال أحد أساطين العلم: البداء في التكوين كالنسخ في التشريع، وعليه فلا مجال للطعن في الشيعة في قولهم بالبداء، والقرآن والسنة وسيرة أهل البيت تحت أصول ما جاء به جدهم المصطفى وما وقع للأنبياء قبله. تقرر ذلك في نطاق أن الله لا يبدو له عن جهل بل عن علم - كما تقدم - وأن شريعة الله لا تقبل الطروء في تعبير آخر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومما يذكر هنا ما جاء في ج٢ ص٢٥ تفسير الشعراوي - من مشاهير علماء السنة - ما حاصله (سئل أحد العلماء عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. فقال لا يترك العالم بلا قيمومة فهو في شأن دائماً. وعما هو شأن الله الآن وقد صح أن القلم جف ويعني كل شيء انتهى تقديره قال: أمور يبدها ولا يبتدؤها فرق بين بداء وابتداء، الابتداء معالجة الخلق والبداء الظهور.

وهذا عين ما تقول به الشيعة فيما تدور بحوثهم حول البداء مأخوذاً عن آيات من القرآن منها ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ونحوها.

كما وعن تفاسيرهم ما ذكره البهائي في الكشكول بعد هذه الآية: إنها أعمال كانوا يرونها حسنات فبدلت يوم القيامة سيئات ونحو ذلك.. الخ.

فكيف يقال أن الشيعة منفردون بالبداء منحرفون وأهل السنة يقولون به؟

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن المودة والكراهة (الحقد) وعلاج وإزالة الكراهة

عندما يأتي طالب الحقيقة ليهتدي إليها ويأخذ بها. يجتمع بعامة الناس من جماعة ما. فيجدهم بين مقلد تقليد أعمى وبين سيئ الفهم أو مضلل. ولا يجد إلا القليل ممن هو على بصيرة من أمره لا يمكنه التصريح.

ويجتمع بخاصتهم أعني العلماء وشبه العلماء. فيجدهم إما في دوامة من الخلافات والتعصبات الطائفية أو الحزبية أو في حمأة من الحسد والأنانية إلا قليل أيضاً.

يأتي هذا الطالب إما من غير المسلمين وفي نفسه الرغبة في الإسلام، وإما من المسلمين وفي نفسه الرغبة في مذهب من المذاهب الإسلامية؛ وقاية من التذبذب؛ فيسمع هذا يقول في ذاك أنه ليس على شيء ولا يفهم شيئاً كما ذاك في هذا فيخلص الطالب إلى نتيجة واحدة هي: أن الجميع ليسوا على شيء فيتذمر وتحدث الكراهة.

إن بواعث الكراهة على ما بدا لي خلال البحث ما اختصرته في عشرة أمور يمكن حصرها في واحد هو: عدم التقوى؛ ذلك لأن المودة في تحقيق التقوى، لقوله تعالى: ﴿.. بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ وهذا له بحث خاص في شرحه وتفريعه الشامل.. الخ. كما للكراهة أيضاً. ويكفي الآن ذكر الأمور العشرة للكراهة هنا وهي:

١- التسمك بالتقليد الأعمى.

٢- الأثرة بما لا ينبغي أن يستأثر به.

٣- إساءة فهم بعض الأمور أو فهمها من وجه دون وجه أو وجوه.

٤- التسرع إلى التصرف قبل الفهم المطلوب بما في ذلك التسرع الطائش وأخذ البريء بالمذنب أو بمن يعثر أو يظن به مذنب.

٥- الامتعاض والحقد بسبب كل من إساءة الفهم أو الفهم الناقص، وعدم قبول التفاهم المطلوب.

٦- المبالغة في التصرف في شيء ما، أو التقصير فيه والتحيز لجهة ما تبعاً للهوى.

٧- تقديم الانتقام على العفو والتسامح فيما يكون فيه العفو والتسامح مطلوبين.

٨- الأخذ بالشيء على السماع فقط أو ما يسمى بالدعايات.

٩- الأخذ بالشيء عن مصادر غير إسلامية كالتي من بعض المستشرقين أو إسلامية مغرضة ممقوتة لدى الحقائق.

١٠- عدم إتاحة الفرصة من بعضهم لبعض في شرح وجهة نظره محاولاً ضمه إلى جنبه بالمغالطة.

١١- والإلحاح على قبول ما عنده وكأنه وحي يوحى.

١٢- فرض الرأي أو العقيدة بالضغط والمضايقة أو باستخدام السلطة.

١٣- عدم المثالية وضمان المصلحة الشخصية المشروعة.

١٤- دافع الحسد والأنانية والغيرة الحمقاء وما إلى ذلك.. للامتناع عن قبول الحق.

هذه مجموعة ما تحصل به الكراهة، وتتطور في بعضها إلى عواقب وخيمة بما فيها الإجرامية والعياذ بالله. وعلاج هذه كلها - لمن يريد العلاج - عن الكتاب والسنة وما إليها فيما يلي..

١- الاستعاذة بالله. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.

٢- التبين عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا..﴾ الخ.

٣- الدفع بالتي هي أحسن عملاً بقوله سبحانه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ..﴾ الخ.

٤- العمل بالتقوى كما قال جل وعلا: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ...﴾ الخ. ونحوها من الآيات وعلى رأسها الآية التي قدمت ذكرها في إمكان حصر بواعث المودة.

أما السنة الشريفة فإليك مما جاء فيها من الأحاديث المعترف بها عند جميع المسلمين منها قوله(ﷺ): «لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وأدوا الأمانات وأقروا الضيف وأحسنوا إلى الجار وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فإن لم يفعلوا ذلك فليأذنوا بوقاع من الله».

والوقاع - لغة - المصيبة أو النازلة الشديدة و. . الخ.

وهذا الحديث النبوي الشريف مما يكتفى به في التوجيه الصالح والتحذير من عدم تنفيذه، فإلى نحوه من الأحاديث مما جاء على أساسه ما جاء في تقرير الأئمة من الطرفين الشيعة والسنة فإليك منها ما يلي:

١- فمثلاً: مما جاء من جانب الشيعة ما جاء في وصية الإمام الحسن العسكري(ع) التي من أخذ بها كان حقاً من الشيعة. جاء ذكرها في كتب عديدة منها تحف العقول للمجلسي (ره) ونصها: (أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم بها من بر وفاجر، وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد(ﷺ) صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديث وأدى أمانته وحسن خلقه مع الناس قيل هذا: شيعي، فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً. جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك و. .) الخ.

ومما جاء من جانب السنة مثلاً ما جاء في ص ٣٠ من كتاب العقيدة الواسطية للإمام ابن تيمية(ره) ما نصه: (ويندبون - يعني السنة - أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك و. .) الخ.

ومثل هذا كثير وكثيرٌ جداً في كتب كل من الشيعة والسنة.

وعليه فليرعوِ ولينتبه لنفسه ومن اليه من إذا دعي للتبين والتقوى أصم أذنيه وأغمض عينيه ظناً منه بأنه يتغلب بهذا الحال وأن الظن لا يغني من الحق

شيئاً وليحذر الذين يخالفون عن أمر الله أن تصيبهم قارعة أو تحل قريباً من دارهم - كما وقع فعلاً - فإلى التبين والتقوى وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

لقد نبهنا القرآن فأحسن تنبيهنا وذكرنا فأحسن تذكيرنا.

١ - نبهنا بأن لا ننسى أنفسنا عندما يعرض لنا التمييز العنصري ونحوه والفخر بالآباء والأجداد دون أن نكون على هدى وعمل وتقى. فقال فيما قال سبحانه: ﴿.. **يا أيها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى وجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ**..﴾ وبأن لا نغتر بالمال والبنين فإنه ﴿.. **يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنونَ * إلاّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ**..﴾ ولا بالجاه أو المنصب ﴿.. **فَخَرَجَ على قَوْمِهِ في زِينَتِهِ**﴾ - إلى قوله - ﴿**وأَصْبَحَ الّذينَ تَمَنّوْا مَكانَهُ بِالأمْسِ يَقُولُونَ**﴾ - إلى قوله - ﴿**لَوْ لا أنْ مَنّ اللهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا**..﴾ الخ.

وبأن لا نسيء في الدعوة ﴿.. **ادْعُ إلى سَبيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**..﴾ الخ.

ولا نسيء باستعمال العلم فيكون وبالاً علينا كـ ﴿.. **الّذي آتَيْناهُ آياتنا فَانسَلَخَ مِنْها فَأتْبَعَهُ الشّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوينَ * وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها ولَكِنّهُ أخْلَدَ إلى الأرْضِ واتّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**..﴾ الخ. تماماً كبعض الذين يعملون على الكراهة ما بين المسلمين. أصلحهم الله وإيانا أجمعين.

وذكرنا فقال فيما قال سبحانه ﴿.. **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعْداءً فَألّفَ بَيْنَ قُلوبِكُمْ فَأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأنْقَذَكُمْ مِنْها**..﴾.

وعليه فلا إنقاذ مما نحن فيه أو بعضنا فيه من الكراهية لبعض إلا بالاستعاذة بالله وبالتبين والدفع بالتي هي أحسن والعمل بالتقوى.

جواب هل عود ذلك الالتقاء والإخاء ممكن بين الطرفين؟

إذا كان القرآن الكريم قارب بين المتباعدين أقصى ما يكون من البعد بآيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَالَّذينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصارى مَنْ آمَنَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ومنها قوله في سياق الحديث عن عيسى (عليه السلام) مخاطباً أهل الكتاب من اليهود جامعاً بينهم وبين النصارى ﴿وَإنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ﴾ آية ٥٢ سورة المؤمنون.

ومنها قوله: في خطاب جميع أهل الأديان لجمعهم معاً بقوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذي أُنْزِلَ إلَيْنا وَأُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَإلهُنا وَإلهُكُمْ واحِدٌ﴾ آية ٤٦ سورة العنكبوت. ونحو ذلك من الآيات.. الخ.

أقول: إذا كان هكذا يعمل القرآن على التقارب ما بين المتباعدين أقصى ما يكون فالمتباعدون أقرب ما يكون مما عليه من البعد، هم أقرب وأقرب وأقرب من أي كان من المتباعدين نوعاً ما.. أو وقتاً ما. دون وقت.. كنحن أعني المسلمين عامة. وقد جاء فيما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

إن المؤتمرات التي عقدت للتوفيق بين الإسلام والمسيحية على أساس الدينية أمام اللادينية. وبينها وبين الاشتراكية ونحو ذلك على أساس التعاون في سبيل المصالح المشتركة و.. الخ.

وإن الشيعة والسنة هم أقرب ما يكون من بعضهم لبعض لأنهم أبناء كتاب واحد وسنة واحدة. وعلى فهم ما تقدم ذكره من تعريف الشيعة والسنة

هؤلاء عن مشايعة أهل البيت والصحابة (رض) فيهما. وهؤلاء عن متابعة الصحابة وأهل البيت فيهما أيضاً.

فإن التقاءهما أيسر من فصائل أي أمة أخرى. كل ما في الأمر أن لكل منهما في سيره على طريق الكتاب والسنة: حجة أو أكثر في تقديم بعض على بعض - أعني الآل والصحابة - في المشايعة والمتابعة.

فالشيعة فيما عندها ما ترتب على يوم الغدير وما قبله وما بعده بما في ذلك ما جاء في الحديث المتفق عليه في كون أهل البيت كسفينة نوح. وحديث الثقلين ونحوهما.. الخ.

والسنة فيما عندها ما ترتب على يوم السقيفة وفيما جاء من حديث كون الصحابة نجوماً يقتدى بهم ونحو ذلك.. الخ.

وطبعاً يكون تفاوت قوة الأدلة والحجج عند المشايعين والمتابعين حسب تفاوت الأشخاص في المعرفة والإدراك والمسؤولية والغاية كما هو الحال في معظم القضايا.

وممن يعد مثلاً: ابن تيمية مع مضادته لسيرة الشيعة نجده يقول في كتابه العقيدة الواسطية ص٢٧ ما نصه: (ويحبون - يعني أهل السنة - أهل بيت رسول الله(ﷺ) ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله(ﷺ) حيث قال يوم غدير خم: أذكركم الله في أهل بيتي. وقال أيضاً لعمه العباس (رض) وقد اشتكى الله أن بعض قريش يجفون بني هاشم. فقال(ﷺ): «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي».

وفي ص ٢٥ منه ما ملخصه: (ومن أصول أهل السنة أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الإخوة الإيمانية ثابتة كما قال تعالى في آيات القصاص والنزاع: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..﴾ الخ.

وعليه فالفرق بين القضايا أن منها ما يقبل الوحدة كالقضية التي بين أيدينا هذه ومنها لا يقبلها. فهذه القضية تقبل فيما تقبل حتى تسمية السنة بالشيعة والشيعة بالسنة.

إذ إنه كما سمي أتباع أهل البيت وعلى رأس أهل البيت الإمام علي(ع) سمي السائرون معه على الطريق المذكور: شيعة لعلي. كذلك سمي أتباع معاوية وهم من السنة. سموا شيعة معاوية. ذلك لأن شيعة الرجل - كما في اللغة - أتباعه وأنصاره.. الخ.

ورغم ما حصل من تخلي شيعة معاوية عن الاقتداء بأهل البيت الأطهار فإن شيعة علي(ع) لم يتخلوا عن الصحابة الأبرار (رض) فههنا يحصل لقاء كذلك مهما بلغ التباعد في ظروف خاصة.. ومن ذلك مثلاً من جانب علي(ع) موقف حفيده علي بن الحسين(ع) من تأييد الجيش الإسلامي أمام غزو الروم وما إلى ذلك.. الخ. ومثلاً من جانب معاوية موقف حفيده معاوية (رض) بن يزيد من الاعتراف لأهل البيت(ع) وصواب متابعة الناس لهم في الطريق المذكور، وطبعاً في مقدمة المتابعين الشيعة المعرفين مما تقدم ذكره تحت أضواء القرآن والسنة وما إليهما من اللغة. وإلى آخره تعريف صحيح وعليه فلا يؤخذ تعريفهم من كتب المستشرقين السطحيين أو المغرضين أو من نحوهم أو ممن تابعهم.

ولا من المتوهمين أو المغرضين من أبناء إخوانهم المسلمين أو المقلدين تقليداً أعمى. ولا يؤخذ من المتأثرين بالدعايات الظالمة. أو ممن ضاق أفقه من حاسد أو حاقد أو أناني.

ولا من سلوك بعض الشيعة أنفسهم دون بعض. وفيهم الجيد، وغير الجيد.

ولا من بعض الذين تحدثوا أو كتبوا من الشيعة أنفسهم دون بعض، وفيهم العالي الذي قد لا يفهم تعابيره إلا من هو في مستواه، أو قريب منه..

ومنهم من حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء. . وفيهم الجاهل الذي حشر نفسه مع أهل العلم لطلب الدنيا والجاه باسم الدين. . ومنهم (البطغجية) الذين يعيشون على الفتات.

إن للشيعة أنفسهم كتباً. منها مفصلة، ومنها مجملة مما لعالم متخصص، وفاهم مخلص. لا لناقم أو متلصص، وراقص مع هذا وذاك أو مرقص.

إن أصوات الشيعة الحقيقية التي تعرفك الحقيقة. يمكنك أن تتعرف عليها من أثرها وسلوكها. وهي في مختلف البلدان «يختص بها مكان دون مكان، ولسان حالها - لسان حال كل من تجنى عليه قريب أو بعيد». .

يا آخذاً صورة عني مشوشة   حقق بنفسك لا تنساق بالغلط[1]

فعليك إذاً أن تأخذ المادة من معدنها لا من المصنع المصنع. فأخذك إياها من معدنها هو أخذ سليم غير مغشوش. وإن تكون معها سواء انتميت لها سراً أم جهراً، أم لا. . .

المهم أن تكون على تعرف صحيح سواء كانت لنفسك أو تؤديه لغيرك وإلا فأنت مسؤول عن تحفظك أو تجنبك - إن حصل - أنت مسؤول أمام الله والتاريخ وكفى بالله حسيباً. ومن أنذر فقد أعذر. فإننا اليوم أكثر من أي وقت مضى بين كثرة من الهدامين من نفس الشيعة للشيعة ومن نفس السنة للسنة.

وفي خطط الشام المذكور في نفس الصحيفة مسنداً عن أبي سعيد الخدري (رض) بني الإسلام على خمس أخذ الناس بأربع وتركوا واحدة. قيل له: وما هن؟ قال: الصلاة والصوم والحج والزكاة، وولاية علي بن أبي طالب(عليه السلام). قيل له: أهي مفروضة معهن. قال: «إنها لمفروضة معهن».

وقوله: أخذ الناس بأربع وتركوا واحدة - يقصد بذلك ناساً معينين - وإلا فإن مما بين أيدينا مثلاً حتى من كتب المناوئين للشيعة بدافع أو أكثر من

(١) من قيم وذكريات عابرة للمؤلف.

دافع - أصلحهم الله - الشيخ الدهلوي صاحب التحفة والألوسي والخطيب فزعم تجنيهم على الشيعة - الذي انكشف فيما بعد - رغم تجنيهم فقد جاء في فهرس الكتاب المذكور ص٢٠٧ على أن الشيعة المخلصين من المهاجرين والأنصار، ما اعترف به الثلاثة المذكورون في ص٣ أن منهم ٨٠٠ صحابي من أصحاب بيعة الرضوان استشهد منهم تحت رايته.

وقولي بالرغم من تجنيهم على الشيعة هو: أن الكتاب المذكور مشترك تقريباً بين المذكورين. جاء بعد تجنيهم بالاتهامات الجوفاء وشتم الشيعة وذمهم في هذا العصر. طبعاً منهم الصالح وغير الصالح كما في إخوانهم السنة أيضاً.

وكيفما كان فالطرفان أخوة وأهل. ولسان حال بعضهم لبعض كما قلت في كتابي قيم وذكريات.

وأهلونـــا وإن جـــاروا علينـــا　　　عليهـــم لـــم نكـــن في الجائرينـــا
نفـــاهم مـــن يفـــاهم أو فصـــبراً　　　ليـــوم قضـــاء رب العالمينـــا
وفـــرض حســـن عشـــرتنا بعيـــش　　　نكـــون بـــه بســـلم آمنينـــا[1]

---

(١) من قيم وذكريات عابرة.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسألة عدم جواز تكفير من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله

مما في القرآن الآية ٩٤ سورة النساء ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ ونحوها من الآيات.

ومما في السنة قوله(ﷺ): «من قال يا كافر فقد باء به أحدهما» يقصد الكفر عاد إليه بتكفيره أخاه في كلمة الإسلام. هذا الحديث رواه فيمن رواه ابن الأثير في كتابه النهاية مادة كفر.

وفي صحيح البخاري بسنده عن عتبان بن مالك الأنصاري (رض) قال: ثاب في البيت رجال ذو عدد معاد قاس منهم ابن مالك بن الدحشن فقال بعضهم ذاك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله(ﷺ): «لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله» يريد بذلك وجه الله قال: فأنا نرى في وجهه ونصيحته المنافقين. قال(ﷺ): «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وهذا الحديث في صحيح مسلم بطرق متعددة وآخره عنده: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. قالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه. قال(ﷺ): لا يشهد أنه لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه.

قال أنس: فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه.

وفي الصحيحين عن عثمان بن عفان (رض) ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين قال: قال(ﷺ): من علم أن الله ربه وأني نبيه صادقاً عن قلبه حرم الله لحمه على النار.

أما الفتاوى والتقارير من مختلف الأعلام فكثيرة جداً منها مثلاً ما جاء في اليواقيت للشعراني ص٥٨ أنه سئل شيخ الإسلام تقي الدين

السبكي عن تكفير أهل البدع والأهواء. فأجاب أن الإقدام على تكفير المؤمنين عسر جداً وكل من في قلبه إيمان يستعظم ذلك مع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ونحو هذا ما قاله ابن العربي في الفتوحات باب الوصايا، وفي شواهد الحق للنبهاني قوله: إني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أهل القبلة.. الخ. وفي اليواقيت آنف الذكر عن أبي المحاسن وغيره من علماء بغداد قاطبة لا يكفر أحد من المذاهب الإسلامية لأنه(ﷺ) قال: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا.

ونحوه ما جاء في سراج العقل للقزويني - من السنة أيضاً - بأن الإسلام لكل فرد من أهل القبلة. ونحوه ما قاله أبو الحسن الأشعري. وكذلك ما جاء في ج٣ ص٣٠٢ من كتاب الجهاد لابن عابدين. وقد ألف الشيخ علي القازي الحنفي كتاباً في الرد على من يكفر أهل القبلة وأن تأولوا ما تأولوا و.. الخ مما يؤلف أكثر من كتاب.

وفي الصواعق الإلهية للشيخ سليمان أخ الشيخ محمد عبد الوهاب الذي ينتمي إليه الوهابيون. جاء في ص٣١ «أن المسلم المقر بالرسول إذا استند إلى نوع شبهة تخفى على مثله لا يكفر» وأن مذهب أهل السنة والجماعة: التحاشي عن تكفير من انتسب إلى الإسلام، وعن ابن القيم: أن المقلد الذي لا بصيرة له لا يكفر ولا يفسق.

وفي رسالة الشيخ محمد عبد الوهاب نفسه إلى أهل القصيم مما ختمها به قوله: (لا أكفر أحداً من المسلمين بذنبه ولا أخرجه عن دائرة الإسلام - إلى قوله - وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا وأحكم عليهم بالظاهر - يقصد الإسلام - وأكل سرائرهم إلى الله، وإن الإسلام بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله). ونفى ما ذكر عنه خلاف ذلك.

وفي سفينة الراغب ص٤٣ عن الإمام الغزالي في كتابه التفرقة بين الإسلام والزندقة أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها .

وفي المنتقى للحاكم عن أبي حنيفة أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة ونحو هذا عن الرازي والكرخي وغيرهما بمن فيهم الإمامين مالك وأحمد .

وفي أول مقالات الإسلاميين للشيخ أبي الحسن من أعلام السنة أيضاً . قال : اختلف المسلمون في أشياء ضلل بعضهم بعضاً وتبرأ فصاروا فرقاً متباينين إلا أن الإسلام يجمعهم ويعمهم فهذا مرجعه وعليه أكثر أصحابنا ونقل عن الشافعي أنه قال لا أرد شهادة أحد من أهل الأهواء إلا الخطابية فهم يحلون الكذب .

وفي الإسلام والنصرانية لمحمد عبده ص٥٥ ط م أن من أصول الدين البعد عن التكفير وأن مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد دينهم أنه إذا صدر قول قائل يحتمل الكفر من مائة وجه والإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر .

وعليه بماذا يجيب الذين يكفر بعضهم بعضاً وهم يشهدون الشهادتين . . ؟ اللهم إلا للغرض الخاص الدنيء والانحراف نعوذ بالله وفيما سيأتي في آخر الموضوع القادم بالمناسبة أن الشيعة لا تكفر من شهد الشهادتين وقد اعترف لهم بذلك عدد من أعلام السنة .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن أحداث المذاهب وطعن بعضها ببعض وذكر الشيعة

إن من يتتبع بنزاهة غير متحيز لهذا أو ذاك يجد معظم طعن بعضهم ببعض راجعاً إلى أمور شخصية بما فيها الأنانية.

ويكفي أن أذكر لك مما جاء في القرآن من مغبة ذلك ما جاء في الآية ١١ سورة الحجرات: ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ..﴾ الخ. والآية ٩٤ سورة النساء ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً..﴾ الخ.

إليك بعد هذا نماذج مؤسفة وإلى جانبها صرف النظر عنها وعن أمثالها إلى ما يوجد ما بين جميع المسلمين تحت أضواء ما تقدم ذكره من الآيات ونحوها.. الخ. والاستغفار لمن بدت منه. مع كون الجميع تجمعهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فيما في صحيح البخاري (ره) مثلاً ما جاء في ج١ ص١٥ عن نعيم بن حماد الغزاري قال: كنت عند سفيان بن عينية فجاء خبر موت أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكابلي الأفغاني فقال: لعنه الله كان يهدم الإسلام عروة عروة وما ولد في الإسلام مولود أشر من أبي حنيفة. وعن البخاري أحاديث أبي حنيفة من الضعفاء والمتروكين.

وفيه عن عبد الرحمن بن مهدي، ما أعلم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدجال أعظم من رأي أبي حنيفة.

في تاريخ بغداد ص٣٧٢ ج١٣ للخطيب البغدادي من أعلام السنة بسنده عن إسماعيل بن عيسى بن علي قال: قال لي شريك - وكل هؤلاء من أعلامهم - قال: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله.

١ - قوله تعالى : ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ فزعم أبو حنيفة أن الصلاة ليست من دين الله .

٢ - قوله ﴿لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ﴾ فزعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

وفيه ج١٣ ص٣٩٠ عن أبي صالح الفراء عن يوسف بن أسباط - من أعلامهم أيضاً - قال : رد أبو حنيفة على رسول الله(ﷺ) أربعمائة حديث أو أكثر ، فقلت له أتعرفها . . ؟ قال : نعم . قلت : أخبرني بشيء منها . فقال : قال رسول الله(ﷺ) للفرس سهمان وللرجل سهم ، قال أبو حنيفة : «أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن» .

وفيه ج١٣ ص٤٠٠ عن منصور بن مزاحم قال : سمعت مالكاً - يعني الإمام مالك - يقول : أن أبا حنيفة كاد الدين ومن كاد الدين فليس له دين .

وروى صاحب لسان الميزان - وهو سني أيضاً - في ج٥ ص١٧٥ منه بسنده عن أبي هريرة (رض) عن النبي(ﷺ) أنه قال : سيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس الشافعي فتنة على أمتي أضر من فتنة إبليس .

وذهب الشيخ أبو بكر المقري الواعظ في بغداد إلى تكفير الحنابلة في رده على ابن حاتم الحنبلي القائل : من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم .

أما طعن الشيعة بعضهم ببعض فنحو طعن المذاهب الإسلامية الأخرى ولكن لم يبلغ إلى تلك الدرجة التي قال فيها صاحب كتاب مختصر العلم والعمل ج٢ ص٢٠٢ وهو سني أيضاً . قال :

الشافعي من الأئمة قائل ... اللعب بالشطرنج غير حرام

وأبو حنيفة قال وهو مصدق ... فيما يرويه من الأحكام

شرب المثلث والمربع جائز ... فاشرب على أمن من الأيام

والحبر أحمد حل جلد عميرة ... وبذاك يستغنى عن الأرحام

وأباح مالك الوقاع تكرماً ... في ظهر جارية وظهر غلام

فاشرب ولط وازن وقامر واحتجج ... في كل مسألة بقول إمام

وكان سبب إحداث المذاهب - كما ورد المؤرخون - أن المنصور العباسي لما رأى توجه الناس في طلب العلم والدين إلى الإمام جعفر الصادق(ع) وقد ضمت مدرسته أربعة آلاف طالب بمن فيهم أبا حنيفة ومالك. أوعز إليهما باعتزال الصادق وإحداث مذاهب غير ما يذهب إليه. وقد اشتهر عن كل من أبي حنيفة ومالك مدحه للصادق وإعجابه فيه.

ومن ذلك قول أبي حنيفة لولا السنتان لهلك النعمان - يقصد السنتين اللتين حضر فيهما الدرس عند الصادق(ع) - وقول مالك: ما دخلت على جعفر بن محمد الصادق إلا ورأيته على طهارة وصلاة ونسك وعبادة.. الخ. فجعل المنصور لكل منهما ولمن تابعهما ما يسمى في عصرنا هذا بمخصصات. فاعتزل أبو حنيفة عن الصادق. وكذلك اعتزل مالك وكان يقرأ على الصادق وعلى ربيعة الرأي وجاء بعدهما الشافعي آخذاً عن صاحبي أبي حنيفة محمد بن الحسن الشيباني والقاضي أبي يوسف. وعن هذه المصادر أخذ الإمام أحمد بن حنبل (ره).

ومما يذكر هنا ما ذكره المقريزي في خططه في إقرار هذه المذاهب الأربعة - وقد تعددت المذاهب إلى العشرات - أقر السلطان الظاهر بيبرس في مصر أربعة قضاة هم شافعي ومالكي وحنبلي وحنفي، واستمر ذلك من عام ٥٦٥هـ والخلافات قائمة.

ومما يذكر هنا ما قاله قاضي القضاة بحلب الشيخ محمد مرعي الأنطاكي في كتابه: لماذا اخترت مذهب الشيعة؟ وكان شافعياً من قبل. كما قال في ص١٣ منه: كنا نتذاكر أنا وأخي الشيخ أحمد في الخلاف بين المذاهب فرأينا بعضهم يحلل والآخر يحرم. فمثلاً الشافعي يقول إن لمس المرأة الأجنبية ينقض الوضوء والحنفي يقول بخلافه ويخالفهما مالك حيث يقول اللمس بشهوة أو عن عمد ينقض وإلا فلا. والشافعي يجد نكاح البنت من الزنا ويخالفه الثلاثة. والحنفي يقول بوجوب الوضوء بخروج الدم من البدن ولو

قليلاً ويخالفه الثلاثة. والحنفي يجيز الوضوء بالنبيذ واللبن المشوب بالماء ويخالفه الثلاثة ويجوز مالك أكل لحم الكلب ويخالفه الثلاثة. والشافعي يجيز أكل لحم الضبع والجري والثعلب وأبو حنيفة يحرمه. والقنافذ يحلها الشافعي ويحرمها الآخرون إلى كثير من هذا الخلاف بينهم من أول الفقه إلى آخره.

والشافعي نشر مذهبه في العراق والحجاز واليمن والشام. وجاء إلى مصر وخالط المغاربة وأخذ عنهم فعدل عن مذهبه القديم إلى آخر سماه المذهب الجديد. فإن كان الأول صحيحاً فلماذا أتى بالثاني وبالعكس.

وأبو حنيفة يأتي بقول في إحدى المسائل ويأتي أبو يوسف الشيباني أو زفر ممن أخذوا عنه فيخالفونه فمرةً يكون أحدهم معه والآخران عليه وبالعكس أو يخالفه الثلاثة أو يوافقونه. وهكذا مالك والخلاف بينهم دائر في جميع المسائل هذا مما يوقع الريب.

وينتقل الشيخ المرعي إلى ص١٥ فيتحدث عن أحداث الوهابية وما عملته من تكفير جميع المسلمين وارتكاب جرائم لا مثيل لها.. والخ.

وأخيراً إقامة الدلائل - وإن كان النهار لا يحتاج إلى دليل - على ما عليه الشيعة عن أهل البيت(عليهم السلام) هو الحق الحقيقي و.. الخ.

وممن انتقد أحوال المذاهب من الأعلام الزمخشري صاحب الكشاف إذ قال في أبيات له كما في ص١٣٣ في كتاب: ثم اهتديت للتيجاني الوهابي سابقاً الشيعي لاحقاً. فنقل فيما نقل الأبيات التالية:

كثر الشك والخلاف وكل ... يدعي أنه الصراط السوي

فتمسكت بلا إله إلا الله ... وبحبي لأحمد وعلي

فاز كلب بحب أصحاب كهف ... كيف أشقى بحب آل النبي

كما وللزمخشري أبيات أخرى على غرار أبيات صاحب كتاب مختصر العلم والعمل آنف الذكر. ومما ذكره القاضي المرعي عن المذاهب مما يؤسف له.. الخ.

وكانت تحوط الكعبة أربعة محاريب للمذاهب الأربعة شاهدتها عام ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م. ثم ألغيت بعد ذلك بقليل وقد سبق أن قيل لشيعي: ليس لكم محراب. فأجاب محرابنا هو قلب الكعبة من الأرض إلى السماء. ومعنى هذا أننا لا نفرق في اختيار محراب فمحرابنا محراب جميع المسلمين.

وكان الشيعة وما زالوا على ما كان عليه رسول الله وآله وصحابته والتابعون لهم بإحسان قبل إحداث هذه المذاهب ونحوها. فلما أحدثت أطلق عليهم مجازاً المذهب الجعفري. وهم بدورهم لا يكفرون أتباع المذاهب الأخرى حيث مرد الجميع إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهذه الحقيقة اعترف لهم عدد من السنة. أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية الأزهر الشريف فقد خرج أحاديث وعلق على حواشي كتابين من أبرز الكتب ضد الشيعة. وعنهما أخذ المتأخرون وهما الصواعق المحرقة وتطهير الجناب واللسان لابن حجز الهيثمي المكي وقد وصل الأستاذ المذكور في بحثه إلى مثل ما وصل إليه نحوه من الأساتذة المتفهمين كالدكتور مصطفى محمود والشيخ محمود شلتوت ونحوهما. فوضع التقرير الآتي في ص٥ من مقدمته على الكتابين المذكورين ما نصه حرفياً: «أن ما ذكرناه وحكيناه عن أصحاب الملل والنحل عن الشيعة الإمامية - يعني الجعفرية - والزيدية من أنهم يكفرون أهل السنة لا نجده عقيدة عند الإمامية والزيدية المتأخرين منهم والمعاصرين فقد ذكر عالم الإمامية كاشف الغطاء في الفصول المهمة[1] عن أبي عبد الله الصادق(ع) في خبر سفيان بن السمط. الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان.. الحديث، وهو استدلال على أن أهل السنة مؤمنون. وكذلك ما نقله عن أبي جعفر الباقر(ع) في صحيح حمران بن أعين، من جملة الحديث: والإسلام

---

(١) الكتاب المذكور للإمام شرف الدين ما يشير إلى كونهما على نسق واحد.

ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة المسلمين من الناس من الفرق كلها وبه حقنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك عن الكفر وأضيفوا إلى الإيمان».

وعليه فليس الخلاف بين السنة والشيعة مما يوسع الهوة أو يوجد البغضاء والفرقة بين المسلمين وهم قلة بين المسيحيين واليهود واللادينيين. فالمسلمون في حاجة إلى محبة تشملهم وجامعة تجمعهم أصلح الله ذات البين.

جواب عن شهادة بعض الصحابة (رض) على أنفسهم بالخطأ

يقرر القرآن فيما يقرر قبول الشهادة من أهلها . في قوله تعالى : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ آية ٢٦ سورة يوسف . وفيما وصف به سبحانه الذين ملكهم الشفاعة : الشاهدين بالحق ، إذ قال تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آية ٨٦ الزخرف .

فالشهادة بالحق فضيلة سواء كانت في صالح الشاهد الخاص أم في غير صالحه . ومن ذلك مثلاً ما شهد به بعض الصحابة (رض) على أنفسهم ، والشهادة على النفس - وبعبارة أخرى - الاعتراف بالخطأ فضيلة . ومن ذلك مثلاً ما يلي :

في صحيح البخاري (ره) ج٥ ص١٩٥ وموطأ الإمام مالك (ره) ج٢ ص٤٦٢ باب الشهداء حديث رقم ٣٢ بسند عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : لقيت البراء بن عازب (رض) فقلت له : طوبى لك ، لقد صحبت النبي(ﷺ) وبايعته تحت الشجرة ، فقال : يا ابن أخي لا تدري ماذا أحدثنا بعده .

وفيه - أعني صحيح البخاري - ج٢ ص١٣٥ عن أنس بن مالك (رض) أن النبي(ﷺ) قال للأنصار : إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله . على الموتى قال أنس : فلم نصبر .

وفيه أيضاً ج٢ ص٢٠١ في حديث بين ابن عباس وعمر بن الخطاب (رض) على فراش الموت قال عمر : وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي قلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله .

ونحو هذا ما ذكروا عن أبي بكر (رض) ما جاء في منهاج السنة لابن تيمية ج٣ ص١٢١ وتاريخ الطبري ص٤١ أنه نظر إلى طائر على شجرة وقال طوبى لك يا طائر تأكل الثمر وتقع على الشجر وما من حساب ولا عقاب عليك. لوددت أني شجرة على جانب الطريق مر علي جمل فأكلني وأخرجني في بعره ولم أكن من البشر.

ونحو هذا ما جاء عن عمر (رض) أيضاً في ج٣ ص١٣١ منهاج السنة المذكور وقد ذكر هذا فيمن ذكره الدكتور التيجاني في كتابه ثم اهتديت ص١١٠ - ١١١ وفيما عقب به على ذلك بأن الله بشر عباده المؤمنين بأن لا خوف عليهم. والآية ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ..﴾ الآية.. الخ. وموضع ما تقدم ذكره ونحوه.. الخ.

ومما في كتاب التيجاني المذكور - وكان سنياً وهابياً، فصار شيعياً نتيجة بحثه وتحقيقه - فمما في ص١٠٩ منه تحت عنوان الصحابة غيروا حتى في الصلاة. فعن تضييع الصلاة التي كان عليها رسول الله(ﷺ).

عن صحيح البخاري (ره) ج١ ص١٧٢ بسنده عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك (رض) وهو يبكي ويقول: ما عرفت شيئاً مما كان على عهد النبي(ﷺ) إلا هذه الصلاة وقد ضيعت.

فيه عن صحيح البخاري أيضاً ج٢ ص١٥٤ وصحيح مسلم ج١ ص٢٦٠ أن النبي(ﷺ) صلى بمنى ركعتين وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان في مدة من خلافته ثم صلى أربعاً بعد ذلك.

وفيه عن صحيح مسلم ج٢ ص١٤٣ قال الزهري لعروة: ما بال عائشة تتم الصلاة في السفر..؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان.

وفيه كان عبد الله بن عمر يقول لمن أجنب ولم يجد ماءً لا تصل - رغم قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ ففي صحيح البخاري

ج١ ص٥٤ عن شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبد الله وأبي موسى فقال له أبو موسى: أرأيت إذا أجنب ولم يجد ماءً فكيف يصنع.. ؟ فقال عبد الله: لا يصلي حتى يجد الماء. قال أبو موسى: فكيف نصنع بقول عمار حين قال له النبي(ﷺ): كان يكفيك. قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك. فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار كيف نصنع بهذه الآية..؟.

فما درى عبد الله ماذا يقول. فقال إنا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم. فقلت لشقيق: فإنما كره عبد الله لهذا..؟ قال: نعم..

.. وعلى هذا ونحوه فإن السنة أنفسهم يؤيدون الشيعة في اعتمادهم على الأخذ عن أهل البيت - أقول هذا مع الاحترام للآخرين - إن هذا ونحوه لم يصدر عن أهل البيت ولذلك قيل فيما قيل فيهم:

بآل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهم حجج الإله على البرايا بهم وبجدهم لا يستراب و.. الخ.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسالة بخس بعض الطرفين كتب بعض

مما في القرآن الكريم من النهي عن بخس الأشياء وعدد من الآيات منها ثلاث آيات بصيغة واحدة ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ آية ٨٥ سورة الأعراف.

ومما يلاحظ أن جملة النهي عن البخس وهو لغة: إنقاص الشيء وإعابته، وثمن بخس: معناه ناقص كما في القاموس والمصباح ونحوهما. يلاحظ أنها متبعة بجملة النهي عن الفساد والتعبير بـ تعثوا وهي لغة: من عثاء، ومعناها أفسد. وتعني فيما تعني الإفساد البليغ.

وكلمة: أشياء، ومفردها شيء. تطلق على جميع الموجودات من محسوسات ومعقولات وما إليها.

فالكيل المذكور فيما سبق من جمل الآيات الثلاث - هو شيء - وكذلك الميزان والقسطاس وهو الميزان أيضاً لغة شيء كذلك، وكذلك في فيها أطلقت عليه اصطلاحاً، أو عرفاً.

مما هو ملموس أو معقول.. كل ذلك أشياء نهى الله سبحانه عن بخسها حقها.. وأمر سبحانه بإيفاء الحقوق ومن ذلك قوله في ما من الآيات الثلاث وما هو في سياقها ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ..﴾ الخ. وفي آيات أخرى نحو هذا المنحى بتعبير آخر ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ آية ٣٥ سورة الإسراء. وأتبعها بقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ آية ٣٦ وبقوله ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً..﴾ الخ آية ٣٧ من سورة الإسراء نفسها. ونحو ذلك.. الخ.

وفيها في آخر ما ذكرته لك من هذه الآيات ذكر شيء هو على رأس الأشياء التي تدفع ببعضها إلى غمط الحقوق بصورة مباشرة أو غير مباشرة في عدم الإيفاء وفي إيقاع البخس ألا وهو: الأنانية. فمما يفعله الأناني، هو المشي على الأرض مرحاً.. ويراد به هنا الاختيال وقد دل على ذلك فيما دل قوله تعالى في سورة لقمان مرادفاً لتصعير الخد على الناس وهو التكبر عليهم. بما ورد معناه كل ذلك ويضاف إليه كونه بغيضاً عند الله وما كان مبغوضاً عند الله فبغضه مشروع. كل ذلك في آية ١٨ منها وهي: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فبخس الناس أشياءهم مختال بغيض وفخور غير محبوب. وعاث في الأرض فساداً.. الخ وهو يستوجب مقت الله والناس، وله من الله العقاب إن عاجلاً أو آجلاً.

أضف إلى ذلك الجزاء بالمثل في الدنيا وربما أكثر - كما شاهدنا ونشاهد فعلاً - الذي يبخس الناس أشياءهم - سيما القيمة منها - بدافع الأنانية أو الحسد. وكلاهما مذموم ممقوت. قد أتى دور عليه بخست فيه أشياؤه حتى عند أقرب الناس إليه، فإن الذي يخدع الناس في وقت ما لا يمكن أن يخدعهم في كل الأوقات.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فتكون نتيجة السقوط من حيث توهم الارتقاء على ما أمكنه تخطيه من بخس أشياء الناس وتلك نتيجة سيئة لم يحسب أنه سيصل إليها.

وأسوأ منها ما يكون من بعض المتصفين برجال أو علماء الدين، حيث أنه يجيء على نفسه بما تقدم ذكره.. ويحز في نفسه تحول الأنظار عنه إلى الذي بخس أشياء له إما جهلاً أو عمداً. كما ويجني على غيره - سيما الشباب وبعض البسطاء من غيرهم - بأن ينفروا من كل رجل أو عالم دين فيحرموا من فوائد الرجل الديني العالم. فتقسو قلوبهم ويضلوا السبيل كما

حدث ذلك في بعضهم، أو يتزلزلوا على الأقل فيما يحدث عندهم مما عرفه علماء النفس برد فعل، فالذين يدركون معنى ما كل أصابع اليد سواء هم قليل. وقليل ما هم. وكثيراً ما على أيدي القلة انتصرت حقيقة فانقادت إليها الكثرة وباء باخس الناس أشياءهم بالذل والهوان والخسران والمقت وسوء الذكر عبر الأزمان.

١- منذ وقت قريب أن أحدهم - في إحدى مدن الخليج - رأى بيد أحد الشباب رسالة فقهية قيمة لأحد فقهاء العصر.. فقال له بشدة: إرمها من يدك. هذه غلط. وصاحبها عميل لدولة أجنبية.. فبهت الشاب وقال له: أرني أولاً أين الغلط، أليست كرسالة أبيك.. فحار الرجل في الجواب. وعندها قال له الشاب: إن كنت قد عجزت عن الأول فأعطني دليلاً عن الثانية وهي اتهامك له بالعمالة.. وهنا ظهر الارتباك على الرجل. ثم تمتم وشتم.. فنهض الشاب من عنده، مندفعاً إلى التفحص عن حال من اتهمه الرجل،.. وإذا به يجد الأمر على العكس. فإذا بالرسالة الفقهية ليس فيها شيء من الغلط بل ولا الغلط المطبعي، وإذا بصاحبها عالم، مخلص لدينه وأمته.. فكان النتيجة أن سقط الباخس من نظر الشاب، ثم من نظر غيره وهكذا حتى انتهى الأمر بطرده وذله.. الخ وتركيز المجني عليه في النفوس الحية، والعافية للتقوى.

٢- ومنذ وقت قبل ذلك ورد رجل إلى إحدى المدن التي تعتبر مركزاً للفقهاء والعلماء والأدباء. وكلما اتصل بأحد منهم قال له أنا الأعلم وغيري لا يفهم.. فخرج الرجل بنتيجة النفور من الجميع.

٣- زار أحدهم إحدى المكتبات العامة. وعند تصفحه لبعض كتبها. كان يقول: هذا الكتاب موضوعه كتب فيه الكثيرون فلا أهمية له.. وهذا الكتاب أسلوبه قديم ممجوج، وهذا الكتاب من مجموعة قصاصات جرائد، فلا قيمة له.. وهكذا.. أخذ يعيب الكتب فما كان من مدير

المكتبة إلا أن قام وتوجه نحو الباب وهو يقول: إذاً نغلق المكتبة . . ثم استدرك وقال للرجل هل ألفت كتاباً تهديه للمكتبة وتشتريه لعله يغنينا عن كتب وصفتها بما وصفت وبخست بها وبخست . . ؟

فأجابه الرجل: كلا لم أؤلف كتاباً لأن الفرصة لم تسمح لي بذلك لانشغالي بأمور أخرى.

قال له المدير: هذا ليس بعذر فإن من بخس قيمة هذا وذاك يقتضي أن يأتي بخير منه وإلا فهو أحمق أو أناني أو حاسد، لا يعمل ولا يود أن غيره يعمل.

فأجابه الرجل: لا . . ولكني كلما هممت بتأليف كتاب . . كان يأباني الجيد، وأأبى الرديء.

قال له المدير: لقد شهدت على نفسك بالعجز، فأنت:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولا تبخس الناس أشياءهم وخاصة الكتب. فمهما كان الكتاب فإنه لا يخلو من فائدة، أو يتعرف به على فائدة إما سلباً وإما إيجاباً. وعليه فبخسك لا معنى له أو نتيجته إشانة الباخس نفسه فإنه ما بخس به وليس بخسك إلا من باب قول ضرة لضرتها الجميلة (الحسن للقحاب والشعر للكلاب). فلم يحط قولها هذا من قيمة حسن ضرتها كما لم يحط قدر يوسف الصديق (عليه السلام) كونه شروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . . وهم إخوته . . تماماً كبعض الأخوة من المسلمين لبعضهم، وتراهم على العكس من هذا أمام بضاعة غير المسلمين. وإن كانت أقل مستوى. ولقد دار الدور بيوسف الصديق وإذا به يشرى معادلاً بالذهب والجواهر . . الخ. فعندها خجل الرجل وسكت وبان عليه الانكسار.

وكم في المسلمين سنيهم وشيعيهم من هذا النوع ويا للأسف. وكفى بهم زاجراً عن ذلك ما أجملنا ذكره. وعلى رأس كل ذلك وما إليه مما لم نذكره في

هذا الشأن للاقتصار والانتصار على رأس كل ذلك ما قدمناه من آي القرآن المبين: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. ونحوها من الآيات بما فيها ما اتبع بقوله تعالى: ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آية ٨٦ سورة هود. وهذه الآية تفيد فيما تفيد في تفسيرها - التقييم اللائق بالشيء - فهو فيما هو خير من الأدلة على الإيمان وما يرضاه الديان سبحانه. بما في ذلك ما يرشد إلى دينه إرشاداً صحيحاً. وما يقرره من علم مفيد وأدب نافع دنيا ودين في تنوير ذهن قاتم، وتوحيد مع الحق ملائم، تقرؤه في كتاب، أو تسمعه في خطاب، أو تشاهده من آثار.

إن بخس الناس أشياءهم. لمن الأدلة على ما يلي:

١ - أنانية حمقاء.

٢- ضيق فكر.

٣- حرمان مما قد يكون تنبيهاً على مواضع لأخطاء - في كونها خاطئة فضلاً عن أن تكون صائبة - فقد قيل للقمان الحكيم ممن تعلمت الحكمة..؟ قال: من الجهال أنظر ماذا يعملون فأخالفهم في ذلك لأن مخالفة الجهال عين الحكمة.

٤- حرمان مما قد يكون تنبيهاً على صواب.. يستفاد بالعودة إليه عن الخطأ والتراجع عن الخطأ فضيلة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

هل كان آل النبي (ص) قدوة كما ادعي في الصحابة (رض)

في القرآن الكريم آيات تشد الآل إلى من هم آله - أكثر وأوثق من شده إلى من هم أصحابه وآل الرجل - لغة أهله وعياله. ومع ذلك فإن في القرآن أيضاً تجعل الأصحاب يلتقون بالآل وتشد بعضهم إلى بعض إلى من هم آله وأصحابه.. كما سيأتي بعد قليل.

فما في الآل مثلاً:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ..﴾ آية ٣٣ سورة آل عمران. فقد شهدت هذه الآية لآل إبراهيم وآل عمران بمن اصطفاهم. وتليها آية ٣٤ في شد ذريتهم إليها وهي قوله تعالى: ﴿.. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ..﴾ الخ. وجملة على العالمين تميزهم على من سواهم من الأصحاب والأتباع وغيرهم.. الخ.

٢- قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ..﴾ الخ آية ٦ سورة يوسف. وهذه الآية تشد الآل إلى من هم آله بإتمام النعمة.. الخ.

٣- قوله: ﴿.. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ..﴾ وهذه من الآيات التي تفيد فيما تفيد وراثة آل الرجل للرجل بشكل مطلق لا يستثنى منه شيء.

٤- قوله: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ - إلى قوله - ﴿مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ..﴾ آية ٢٤٨ سورة البقرة. وفيما فيها ذكر أهمية تراث الآل. لا الأصحاب. لأن الآل كما تقدم أكثر وأشد وثوقاً بمن هم آله.. الخ. إضافة إلى الأولوية؛ فإنها كذلك تشير هذه الآية كغيرها في هذه الشؤون المهمة للغاية ونحوها.

٥- قوله تعالى: ﴿سَلامٌ على آل يس﴾ آية ١٣٠ سورة الصافات. وقد تقدم الكلام عنها فيما تقدم في الموضوع السابق من ذكر السلام على آل رسول الله(ﷺ) لما اتفق عليه من كون يس اسم من أسمائه(ﷺ) وبه خاطبه الله سبحانه في السورة المعروفة بسورة يس.. الخ فراجعه.

٦- ورد ذكر آل لوط النبي(ﷺ) في أربع آيات هي ٥٩ من سورة الحجر و١٦٠ من سورة الشعراء و٥٦ من سورة النمل و٣٤ من سورة القمر، فمنها مثلاً قوله: ﴿إلاّ آلَ لُوطٍ إنّا لَمُنَجُّوهُمْ أجْمَعِينَ..﴾ ٥٩ سورة الحجر. فهذه تشد الآل إلى من هم آله بالنجاة من الهلاك. ومنها مثلاً قوله: ﴿.. فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاّ أنْ قالُوا أخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ..﴾ آية ٥٦ سورة النمل. وتليها: ﴿.. فَأنْجَيْناهُ وأهْلَهُ إلاّ امْرَأتَهُ..﴾ الخ. وكذلك الآية: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ أجْمَعِينَ..﴾ يليها قوله: ﴿إلاّ امْرَأتَهُ..﴾.

ويلاحظ فيما يلاحظ هنا - ليس كل فرد من الآل - مشدوداً بمن هو من آله بما تقدم ذكره من مجموع الآيات فيما يشد به إليه؛ ففي هاتين الآيتين مثلاً انتفت امرأة الرجل عن شدها به مع أنها من آله حسب التعريف القرآني في قوله ﴿آلَ لُوطٍ﴾، والتعريف اللغوي آنف الذكر، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ..﴾ آية ١٠ سورة التحريم ونحو ذلك.

وفي آية أكثر من هذا فيمن هو أكثر وأشد وثوقاً بالرجل من آله، ألا وهو الابن.

ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿.. وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا﴾ - إلى قوله - ﴿وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إنَّ ابْني مِنْ أهْلي وَإنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأنْتَ أحْكَمُ الحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ..﴾ - سورة هود آية ٤٢ - حتى آية ٤٦ ، إلى نحو ذلك وغيره من موارد أخرى . . الخ .

فعلى هذا . . إذا كان الآل وهم أشد وأوثق ما يكون بمن هم آله ، فإنه يقتدى بمن صلح منهم . فكيف إذا بالأصحاب من غيرهم .

وإنما قلت من غيرهم ، لأن الآل الذين عاشوا في عصره هم أصحاب له كذلك وعلى رأسهم علي بن أبي طالب(ع) وفضله أشهر من أن يذكر .

والآل - لغة - أهل الرجل وعياله ، وعترته - كما سيأتي - نسله ورهطه الأدنون ، ورهطه قومه وقبيلته . وقول رسول الله(ﷺ) لعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب عندما استشهد في بدر : إنك أول شهيد من أهل بيتي . ويدخل في العد من استنكر الله عليه منهم ممن كانت في نظرته اعتبارات غير الإيمان ترجح عليه كالعباس بن عبد المطلب (رض) والسقاية ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾ الخ آية ١٩ التوبة ، أو كبعض من أغضب الله في سوء تصرفاته ممن لا يصح أن يكون قدوة كما يدخل أيضاً من أنزلت فيه سورة المسد ونحوه لتضع حداً بينه وبين غيره ممن يحسبون من الآل (الأهل في التعريف) .

كما وضعت سورة التوبة في معظمهم آياتها حداً بين من عنتهم من المحسوبين من الصحابة وبين غيرهم ، لتعرف ونحوها غير الصالحين من الصحابة . كما عرف ما تقدم من الآيات غير الصالحين من الآل .

وكان مما جاء في تعريف الصالحين من الآل بسورة هل أتى ونحوها . ومما جاء في الصالحين من الصحابة بمن فيهم الآل أيضاً ما جاء في سورة الفتح من آيات وضعت حداً بين الفريقين منها الآية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ وتعني من آمن حقيقة وعمل مخلصاً و . . الخ . وفي سورة الأحزاب مما وضع فارقاً بين الفريقين قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ..﴾ الخ. فعزلت الذين لم يصدقوا و. . الخ، مما عرفنا تحت أضوائها ونحوها من الآيات الصالحين لأن يكونوا قدوة وغير الصالحين. أن يكونوا كذلك فكيف يعتبر الجميع قدوة. . ؟

هذا مما تحت أضواء القرآن مما به كفاية عن الإطالة. فإليك مما تحت أضواء السنة الشريفة:

١ - فمما ورد في التمسك والاقتداء بأهل البيت آل الرسول في أحاديث مسندة معتمدة، وهي كثيرة. فمنها مثلاً ما جاء في تمثيلهم بالنجوم أيضاً. لكنه يختلف عن ذلك في كون: بأيهم اقتديتم اهتديتم مما لا يقبله القرآن وما إليه - كما تقدم - فهذا الحديث الذي بين أيدينا الآن في الآل(ﷺ) مما جاء بأسانيد معتمدة وقد أخرجه فيمن أخرجه الحاكم في المستدرك على صحيحي البخاري ومسلم بسند معتمد وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد لاحظ منه ج٣ ص١٤٩.

هذا الحديث - كما ستراه - مما يقبله القرآن فنص الحديث هو قوله(ﷺ): النجوم أمان لأهل الأرض وأهل بيتي أمان من الاختلاف. فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس.

فهذا الحديث مما يقبله القرآن وصفاً وفعالية. إذ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ آية ٩٧ سورة الأنعام. إذ تفيد فيما تفيد أن مجموع النجوم هداية للناس في المتاهات لا أياً كان منها. والحديث جاء بصيغة الجمع أيضاً وفي سورة النحل آية ١٦: ﴿وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فسرها بعضهم بالنجم القطبي ونحوه مما هو معروف عند البحارة وبعضهم اعتبر النجم: اسم جنس لما يهتدى به منها. وكلاهما قابل للحديث عن كون مجموع النجوم ينال بـه الاهتداء إلى الجهة المطلوبة بين تفاوت في الإضاءة. مع تحقيق الأمان من الضلال. فجاء الحديث المذكور ليصور لنا الاهتداء بأهل بيته(ﷺ) على أساس ما جاء في القرآن.

من جانب آخر - وهو أحد جوانب أخرى يطول الكلام باستعراضها.

ومنها الرحمة والبركة فيما جاء في القرآن في أهل هذا البيت سابقاً من كونه موطن رحمة وبركة إذ قال تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية المنزلة في بيت جدهم الأعلى إبراهيم(ع) الذين هم صفوته فعلاً من جوانب عديدة فاقتصر على الجانب الذي أشرت إليه مقدما - وهو ما أنزل فيهم لاحقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً..﴾ وقد جاءت في كتب السنة فضلاً عن الشيعة عشرات الأحاديث المعتمدة. إضافة إلى إجراءات النبي(ص) في وقفاته عند باب ذلك البيت وقراءة الآية المذكورة في أنها فيهم.. الخ. وأن أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهره.. لحقيق بأن يكونوا أماناً لأهل الأرض من الأرجاس وما إليها في الاقتداء بهم. ويمن يقتدي به من المجموع.. الخ.

أما الجملة الثانية من الحديث وهي في كون من خالفهم من قبيلة صار إلى حزب إبليس. فيكفي القول في من وصفوا في كونهم أماناً وطاهرين مطهرين من الأرجاس بأن يكون إبليس ومن إليه على العكس مما وصف أهل البيت. الحديث المذكور المفيد فيما يفيد أنهم حزب الله الموصوف في القرآن أيضاً بأوصاف لا تعدو غيرهم، كما هو معلوم.

٢- حديث تشبيهه إياهم(ص) بسفينة نوح(ع) وهو متناسق مع ما تقدم من حديث الأمان في قبوله لدى القرآن. وقد أورد حديث السفينة المشار إليه فيمن أورده وآخر معه هو تشبيههم بباب حطة أورد الأول الحاكم في مستدركه آنف الذكر ج٣ ص١٥١ بسند معتمد أيضاً وأورد الثاني معه الطبراني في الأوسط برقم ١٨ من كتابه الأربعين حديثاً. ونصهما قوله(ص): «.. إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله له». ونفس هذا الحديث ذكره أيضاً الهيثمي في مجمعه ج٩ ص١٦٨ وغيره..

٣- حديث الثقلين: ولو لم يكن إلا هو لكفى. وقد جاء بشكل متواتر وبأسانيد معتمدة للغاية وبصيغ كلها ممتازة حتى لقد قال ابن حجر بعد ذكره في صواعقه فصل ١/ ب١١ ص٨٩ معقباً عليه ما نصه: «إن حديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت فيه عن نيف وعشرين صحابياً». وأرد من طرقه ما رووه أن النبي(ﷺ) أدلى به في عرفة في حجة الوداع. وما رووه في أنه كان في غدير خم. وفي المدينة والرسول(ﷺ) على فراش الموت، وقال: «ولا ينافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة».

وكان ابن حجر قد أورد الحديث المشار إليه في موضع حساس من كتابه المذكور ألا وهو في الحديث عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾، ونص الحديث في أحد الأسانيد المعتمدة المشار إليها هو ما يلي: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي..» رواه هكذا بسند معتمد كل من الترمذي والنسائي في سننهما ونقله فيمن نقله عنهما المتقي في كتابه الاعتصام بالكتاب والسنة من كتابه ج١ ص٤٤.

كما أورده بطريق آخر عنهم - أعني أجلاء الصحابة (رض) - بسند معتمد أيضاً، ويمتاز بشكل مركز ما نصه: «خطبنا رسول الله(ﷺ) بالجحفة فقال: ألست أولى بكم من أنفسكم..؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إني أسألكم عن اثنين، القرآن وعترتي..».

وأورد الترمذي حديث الثقلين المذكور في الصواعق وغيره مع الإضافة التالية: «كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما..».

وفي الصواعق المذكور باب وصية النبي ص١٣٥ إضافة: «فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» ونحوه ما ذكره الطبراني وغيره.. و.. الخ.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل (ره) بسندين معتمدين للغاية أيضاً ذكر الأول منه في ص١٨٢ والثاني في ص١٨٩، أحدهما بعبارة إني تارك فيكم خليفتين.. ويليها نفس ما تقدم ذكره عن الصواعق لابن حجر والآخر بعبارة: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

كما أخرج الحديث المذكور ابن حنبل أيضاً في مسنده عن طريقين عن أجلاء الصحابة أيضاً في ج٣ ص١٧ وص٢٦ وأخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين ج٣ ص١٤٨ ونصه: «.. إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي..» إلى آخر ما تقدم ذكره، وأخرجه في كتابه نفسه ج٣ ص١٠٩ بطريق آخر عن أجلاء الصحابة أيضاً؛ أن النبي(ﷺ) لما رجع من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال(ﷺ): «كأني دعيت فأجبت» وأورد الحديث المذكور، وأتبعه ما نصه «ثم قال(ﷺ): إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه..» الخ.

والحديث عن حديث الثقلين - كما تراه يجر إلى غيره - بما في ذلك حديث الغدير المتبع به. ونحوه مما يطول ذكره مع طرقه وأسانيده. وهذا قليل من كثير عن حديث الثقلين فضلاً عن حديث الغدير ونحوه.. وقد ألف في كل من حديث الثقلين والغدير والمنزلة، وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها. وحديث من كنت مولاه، أكثر من كتاب مستقل. فمن أراد التوسع فليراجع ذلك مما في بعضه الكفاية في الاقتداء بالآل(ع).

فممن ألف فيه كتاباً مستقلاً أسماء حديث الثقلين، الشيخ قوام الدين السنوي وقد تتبع مصادره فكانت زهاء أربعين منها من الصحاح الستة والسنن وغيرها.. الخ. وقد طبع بدار التقريب بالقاهرة.

وممن أورده في التفاسير ابن يوسف الأندلسي من علماء القرن السادس الهجري في مقدمة تفسير الكبير البحر المحيط وكذلك أورده الألوسي في روح المعاني، وغيره يطول ذكرهم.

وممن علق عليه من التعاليق المؤكدة على التمسك بهما أعني الكتاب والعترة: الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في شرحه الخطبة ٨٥ من نهج البلاغة.

وقال مفتي الموصل في العراق الشيخ العبيدي في كتابه النواة. بعنوان الإسلام والمسلمون أن قول النبي(ﷺ) في حديث الثقلين: «أذكركم الله في أهل بيتي» يكررها ثلاثاً إنما هو إشارة إلى ما حدث لأهل بيته لما كان وصمة على المسلمين وطعنة نجلاء في صميم الإسلام ما زال دمها يسيل على مر الأيام وكر العصور.

نأمل من الأمة أن تتدارك تقصيرها. باستئناف حسن الاتباع للثقلين القرآن والعترة. . وما علينا بعد هذا ونحوه إلا أن نقول ما قاله القرآن المبين: ﴿ذلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ﴾ آية ١١٤ سورة هود.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

هل كل الصحابة قدوة عند أهل السنة

الصحبة على خمسة أقسام:

١- صحبة مصادقة ومنها ما جاء في القرآن في قصة يوسف(ع): ﴿يا صاحبي السجن..﴾ الخ.

٢- صحبة عبارة عن مرافقة أو مزامنة، ومنها ما جاء في القرآن في قصة هجرة النبي(ص): ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا..﴾ الخ. إضافة إلى كون الصاحب المشار إليه وهو أبو بكر (رض) كانت له صحبة طويلة مع النبي(ص) وهو في عداد من بايعه.. كما سيأتي بعد قليل.

٣- صحبة على الضلال: ومنها ما جاء في قوله تعالى في قصة ثمود: ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾.

٤- صحبة من جانب هدى ومن جانب ضلال: ومنها قوله تعالى في خطاب المشركين: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني النبي(ص).

٥- صحبة على الهدى وهي الصحبة المشرفة كصحبة أصحاب النبي(ص) الذين بايعوه تحت الشجرة وما إلى ذلك.. الخ. فكان من تشريف الله قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة..﴾ الخ آية ١٨ سورة الفتح.

ومما للأنبياء من قبل مثلاً: موسى(ع) فيما قصه القرآن من خبرهم في قوله تعالى: ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ يعني قومه وأمته. ونحو ذلك كثير ومما جاء في آية أخرى مثلاً قوله: ﴿.. ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ وليس كل أمته من قومه أو أصحابه يهدون بالحق.

وأكثر من هذا ورد في مجموع من كان مع محمد(ﷺ) حتى من الدرجة العليا في محصل الآية: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ آية ١٤ سورة الحجرات، في التمييز بين درجتين كانت علياهن الإيمان. فقد جاء قوله في أهل هذه الدرجة وهم المؤمنون: ﴿.. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ آية ٢٣ سورة الأحزاب. وتشير فيما تشير إلى أن من المؤمنين من لم يصدقوا فيما عاهدوا الله عليه.

وهذه قسمت المؤمنين إلى درجتين: دُنيا بالنسبة لدرجة من عنتهم الآية في ﴿أَسْلَمْنَا﴾ وهم عامة المسلمين، وعليا بالنسبة لمن دخل الإيمان في قلوبهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ وهم الذين تكاملت أو توفرت فيهم شروط اللياقة لأن يكونوا قدوة للآخرين.

وعليه فلا يقتدى بأي شخص كان أمن الآل أم من الصحابة (رض) ذكراً كان أم أنثى ما لم يكن على النهج الصحيح المطلوب لا أياً كانت هويته أو هويتها ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ..﴾ كما في التعبير القرآني في ابن النبي نوح، وكما في قصة آية: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ..﴾ الخ.

وعليه فلا يلتفت إلى ما جاء عمن جاء عنه - وليس عن النبي(ﷺ) فحاشا أن يأتي عنه ما يخالف القرآن - في كون كل من هو من صحبه (رض) يصح أن يقتدى به «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم..» ونحو ذلك.

لقد قال ابن حجر (ره) في كتابه الإصابة ناقلاً عن أحدهم قوله: بأن عدالة جميع الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم - على حد تعبيره - فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

وقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ وقوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ - إلى قوله -: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم..﴾ الخ. ونحو هذه الآيات.

وهذه ونحوها - عزيزي القارئ - لم ترد في جميع الصحابة.. بل هي خاصة في بعضهم دون بعض. دل على ذلك فيما دل ما ورد من آيات تعزل أو تعرف غير الصالح منهم من الصالح. ومنها مثلاً ما جاء في سورة براءة وغيرها كقوله تعالى: ﴿.. وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم..﴾ آية ١٠١ سورة التوبة. وكقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ آية ١٤ سورة الحجرات. وكقوله تعالى: ﴿.. سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ آية ١١ سورة الفتح. وكقوله تعالى: ﴿.. لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم..﴾ آية ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ سورة التوبة. وكقوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا

وتزهق أنفسهم وهم كافرون * ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون..﴾ آية ٥٣ - ٥٦ سورة التوبة. ونحو هذه الآيات وغيرها في موارد مختلفة. في كون أن في الصحابة الصالح وغير الصالح. وقد عرف البخاري (ره) في صحيحه فيمن عرف الصحابة بأن من صحب رسول الله(ﷺ) أو رآه من المسلمين فهو من الصحابة، . . فهؤلاء الذين تشير إليهم هذه الآيات ونحوها - وهي كثيرة أيضاً - هم من الصحابة. وكذلك الآيات المذكورة قبلها في معرض الاحتجاج بها ونحوها - كثيرة أيضاً - فأولئك وهؤلاء صحابة. ولكن ليس كلهم سواء، حتى يصح الاقتداء بأي كان منهم، وهذا القول عليه معظم الباحثين من الأخوة السنة أنفسهم وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الشيخ محمود أبو ريّة، قال في كتابه أضواء على السنة المحمدية: إن الصحابة كغيرهم من الناس يجري عليهم ما يجري على غيرهم. فيهم البر التقي والمجرم الشقي. . الخ.

٢- وقال الدكتور طه حسين في كتابه عثمان (رض): لا نرى في أصحاب محمد ما لم يكونوا يرونه في أنفسهم فهم كانوا يرون أنهم بشر يتعرضون لما يتعرض إليه غيرهم من الخطايا والآثام. . الخ.

٣- وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص٢٨٦: (لا يعتقدون - يعني السنة - أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليه الذنوب بالجملة).

٤ - وقال الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام: «وكانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها».

ويمضي الدكتور المذكور في عرض نماذج مما حدث من طعن بعضهم بعض إلى درجة المجابهة القتالية.

٥ - وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه علي بن أبي طالب: «يحسن بنا أن نشير إلى حقيقة ربما كان إغفالها يلبس الأمر في مفهوم الصحبة ويفسد المعنى

المقصود بالصحابي وفي هذا ما فيه من تشويش على صحابة رسول الله(ﷺ) الذين عناهم بقوله: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وقوله: الله الله في أصحابي. وهؤلاء الذين عنهم لم يذكرهم بأسمائهم ولهذا اتسعت دائرة الصحبة حتى شملت كل من لقي رسول الله(ﷺ) ولو مرة واحدة كما يقول البخاري، ومن هذا دخل في مجتمع أصحابه(ﷺ) أقوامٌ لم يكونوا أهلاً لتلك الصحبة بل لم يكونوا أهلاً للانتساب للإسلام. فهذا عبد الله بن أبي سرح أسلم قبل الفتح وهاجر للمدينة وكان من كتاب الوحي بين يدي رسول الله ثم ارتد مشركاً وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ..﴾ الخ. فلما كان يوم الفتح أهدر الرسول دمه ثم شفع فيه عثمان. وهذا ثعلبة بن أبي حاطب كان من المهاجرين الفقراء وأغناه الله فرفض دفع الزكاة. وكثير ممن كان في مجتمع الصحابة يظهرون الإيمان ويخفون ما في قلوبهم من كفر.

ويمضي الأستاذ المذكور في كلامه إلى القول بأن في الصحابة منهم على هذا النمط وقد أنزلت في شأنهم آيات السخط، وفيهم من أنزلت فيه آيات رضا ورضوان. وقد كشف هؤلاء وهؤلاء.. الخ بما لا يبقى مجال لاعتبار جميعهم واحداً يصح الاقتداء بأي كان منهم فهذا لا يقبله النقل ولا العقل.. الخ. ومثل هذا كثير فنكتفي به عن الإطالة أكثر.

أما الصحابة (رض) هو ما كان فيهم كما تقدم من ذكر الحال في الآل. من الاقتداء بـ الصالح منهم وكل معروف من سيرته المذكورة عن أوثق المصادر غير المتحيزة وما ترتب على ذلك من آثاره حتى اليوم ومثلاً من أماثلهم (رض) في القدوة من قال فيه النبي(ﷺ): «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر..».

فهذا ممن يقاس عليه وعلى شبهه للتعرف على القدوة الصالحة منهم مع عدم التعرض للآخرين بعنف سعياً للتآلف ما بين جميع المسلمين الذين نحن

اليوم أحوج ما نكون إليه في أي وقت مضى وأن ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بمن فيهم من ورد فيهم عن النبي(ﷺ) ما أورد البخاري في صحيحه كما أورده غيره بأسانيد معتمدة أيضاً. ويكفي أن أورد للذكرى حديثين قصيرين منها عن البخاري (ره):

١- قوله(ﷺ) ما نصه: «إنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك..».

٢- وإن أناساً أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول ما زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت شهيداً عليهم ما دمت فيهم.. الخ.

إلى نحوه وغير ذلك مما ورد في الصحابة - طبعاً غير الصالح منهم - ما لم يرد مثله في الآل. إلا على نحو التحذير والتهديد ما يشملهم وغيرهم من الصحابة والتابعين وحتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله كقوله(ﷺ): «إن الله أقسم بعزته أن يدخل الجنة من أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وأن يدخل النار من عصاه ولو كان سيداً قرشياً». مما يفيد أن العاصي لا يقتدى به وأن المطيع هو الذي يقتدى به.

وعليه فمحال هنا ما يطلبه الشيعة ومحال ما يطلبه السنة، فهل يعاش في دنيا المحالات أم في دنيا الواقعيات؟

معنى ذلك أن الشيعة يطلبون أن يكون كل من يأتم بهم من السنة من الصحابة (رض) معصومين من الزلل. والسنة يطلبون من الشيعة أن يوافقونهم على الأخذ على علاته من الصحابة (رض) وإلا فهم رافضة معيبون فيما يقال عنهم، وأولئك نصاب معيبون فيما يقال عنهم، في حين أن معظم كل طرف لا يقول بالآخر هذه المقالة.. لأن الكتاب والسنة يعارضان ذلك. وهذا هو المطلوب.

وهذان المحالان كانا نقطة البداية فيما منه ما هو مستمر حتى اليوم، ولم يجن الطرفان منه حصيلة غير التشتت وضرب بعضهم بعضاً. ثم ضرب الأجنبي لهم جميعاً.

وعليه، فعلى أهل الفهم من الطرفين أن يفهموا الآخرين بأن العيش في المحال خيال وخبال وعليه أن يكونوا واقعيين ويتفاهم بعضهم مع بعض بجدية ليحققوا سوية ما هو سعادة حقيقة دنيا ودين.. الخ.

كتبت هذه الكلمة بعد مشاهدتي فيلم الرسالة، وما كان للصحابة (رض) جنباً إلى جنب مع النبي وآله(ع) من جهاد مشكور.

مع أن خلال ذلك ما حدث من تقصير، ومنه مثلاً ما حدث من النبالة في وقعة أحد من مفارقتهم مكانهم - وقد ألزمهم به النبي(ص) - فقد فارقوا مكانهم لأخذ الغنائم مع إخوانهم المسلمين المنتصرين فباغتهم العدو من خلفهم وكانت الكارثة من فرارهم إلا نفر لا يعدون العشرة وقد جرح رسول الله نفسه وقتل عمه الحمزة (رض) غيلة، وعدد من كبار الصحابة (رض) وما جر ذلك شماتة وارتياب وتشفي الآخرين. ولكنهم كروا بعد ذلك والكرة تنسي الفرة. ونحو ذلك في وقعة صفين.

فقلت في نفسي: أما آن لنا معاشر المسلمين جميعاً بعد ما حدث من فر وكر، حتى حدث فر لا فر مثله. ولو لم ينتج سوى كارثة فلسطين اليوم ونحوها فيما مضى وما حضر، لكفى.

أما آن لنا أن نمحي ذلك بكرة أو أكثر من كرة مقابلة كما كان ذلك من أصحاب محمد(ص)فما ذلك على الله بعسير، إذا ما عملنا على حسن التغيير وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. حقق الله الآمال.

الأسماء ورد القائل أن الشيعة تكره أسماء الصحابة (رض)

عرض القرآن فيما عرض من الأسماء التي ينبغي أن نتسمى بها وعلى رأسها أسماء الأنبياء كـ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد و . . الخ .

ورغبنا فيما رغبنا به مثلاً ما لم يكن له سمي من قبل كـ يحيى(ع) ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ آية ٧ مريم . واستنكر على الذين يطلقون أسماء لا أساس لها ولا تحظى بالمقبولية ومن ذلك ما جاء في الآية ٢٧-٢٨ سورة النجم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً..﴾ الخ .

وقال في نفس السورة آية ٢٣ : ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ..﴾ الخ . وقال : ﴿بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ..﴾ الخ آية ١١ الحجرات .

وقال في تسميتنا من قبل إبراهيم(ع) : ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ آية ٧٨ سورة الحج .

ومما جاء في السنة الشريفة خير الأسماء ما عبد وحمد ونحو ذلك . . الخ .

لقد سألني أحد أخيار النعيم في البحرين عبد الله سلمان يعمل بالإمارات . وكان قد قدم لي شريطاً مسجلاً لمتهجم على الشيعة بالتهم والسب ما في نصه : (الشيعة يكرهون الصحابة فلا يسمون بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعبد الرحمن ونحوها مع أنهم وأئمتهم كانوا في الماضي يسمون بها . فهذا علي (رض) له أولاد وأحفاد بهذه الأسماء ، وكذلك شيعتهم حتى منذ عهد قريب ، وعليه فهؤلاء الشيعة اليوم خارجون عن أئمتهم وعن الشيعة الأوائل فهم بهذا خارجون عن الإسلام ويستحقون اللعنة والمحاربة و . .) الخ .

وقوله هذا اعترف به أنهم كانوا يسمون بهذه الأسماء كما اعترف على نفسه بالخروج عن الإسلام لأن من كفر أهل القبلة والشهادتين فقد كفر بإجماع المذاهب الإسلامية (ره).

ولا يعتد بمن شذ أو أخذ عمن شذ أو عن ذي غرض خاص بأفراد من المذاهب كفروا آخرين منها أيضاً. مع هذا فإني لا أسيء الظن به فربما أخذ هذا عن بعض المدسوسين أو المتغرضين أو أنه متوهم أو متسرع.

وهذا القول ونحوه لئن راج في وقت على بعض السذج فإنه لا يروج كل وقت إذ لا بد من إيقافه وربما كان ذلك في الحال. إذ لا يعدم الحق أنصاراً يدفعون عنه الباطل بالقول السديد - ما سترى - من الرد عليه مع اقتصاره واختصاره. وصدق الله سبحانه إذ قال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

مسألة الأسماء مسألة اختيارية يستثنى منها لفظ الجلالة الله والرحمن فهما خاصان له سبحانه ويستثنى منها ما جاء في السنة الشريفة من تبديلها والنهي عن التسمية بها مثل عبد الكعبة كان اسماً لعبد الرحمن بن عوف فأبدله النبي(ﷺ) بهذا الاسم.

ولا يدخل في هذا الباب اسم عبد النبي ونحوه مثلاً فإن معناه مطيع النبي أو خادمه لا أنه معبود له. ففرق بين هذا وبين عبد الكعبة مثلاً. فإن الكعبة حجر لا يأمر ولا ينهى ليطيعه المأمور.

أما النبي ونحوه فإنه بشر يأمر وينهى وتجب إطاعته على أساس طاعة الله ويلتزم بما يصدر عنه في مجال الخدمة.

وتجد تفصيل هذا وما إليه في موضوع معنى شرك وبدعة وسيد وعبد وتسمية عبد النبي وعبد الحسن ونحوه. وكل ذلك تحت أضواء الكتاب والسنة.. الخ.

ومما يقصد بـ اختيارية - آنف الذكر - ما جاء في السنة من أن من حق الولد على الوالد اختيار الاسم المناسب ، وخير الأسماء ما عبد وحمد مثل عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الكريم و . . الخ . وما حمد على أساس ما اشتق من أسمائه تعالى كمحمد من المحمود وعلي من العلي والأعلى . . وكالحسن من المحسن ونحو ذلك وما إليه مثل أحمد وحامد وعلاء وحسين وحسان وإحسان وحسني و . . الخ .

ويقابل خير الأسماء ما يعد من شرها ، أو سوئها . لانعكاس أفعال أشهر من سمِّيَ بها ، أو لاشتقاقها مما هو غير محمود مثل نمرود وفرعون وهامان ونحوها .

ومن الأسماء ما هو ليس من خيرها ولا من شرها وعلى عشرة أضرب .

١ - أسماء بشعة - وبعبارة أخرى منفرة - مثل سوأة وجحدر وصخر وجرو ونحوها .

٢- أسماء غير بشعة لا بأس بها مثل زبير وأحنف وعمير وزيد ونحوها .

٣- أسماء غالباً لا يرغب فيها ، بالنظر إلى ما اشتقت منه مثل معاوية من العوى . ومعيط من العياط ، وعباس من العبس ، وعثمان من العثم وهو في كتب اللغة العظم المكسور؛ انجبر على عيب وبعبارة أخرى على غير استواء فيقال عثمت يده ومع ذلك يوجد منها في الشيعة اليوم كعثمان مثلاً أعرف بهذا الاسم من السادة سيد عثمان أخا سيد نعمة رئيس عمال في المعقل بالبصرة ومثله أمثال : -

٤- أسماء بصيغة التصغير لتلطيفها مثل : ذؤيب وكليب ونعيمان وحسين ونحوه .

٥- أسماء قد تدعو إلى الضحك مثل خريبط أو الاستخفاف مثل فضالة ونحوهما . ولا مانع منها أيضاً .

٦- أسماء استعملت في الجاهلية والإسلام لإرهاب العدو مثل حرب وسيف وسنان ونحوها . وللمهابة مثل أسد ونمر وجبل وبحر ونحوه وللتشجيع

على الزراعة مثل الحارث والحرث ونحوه. وعلى الصناعة مثل قدوم، وعلى السفر مثل مسافر ونحو ذلك ولا مانع منها.

٧- أسماء ترك استعمالها اليوم مثل عاص وعنبسة وطلحة وزبير وخارجة وحارثة ونحوها.

٨- أسماء مستجدة في عصرنا هذا مثل: شوكت ونضال وناظم وسامي ونحوها..

٩- أسماء استعملت للذكر والأنثى منها في الماضي مثل عطية ونحوه. وفي الحاضر مثل نهاد، وصباح بضم الصاد للذكر، وبفتح الصاد للأنثى. ونحو ذلك إلى آخره.

كل هذا وما إليه في مجالات ما يختار من الأسماء. وكل وذوقه ومحيطه فيما هو مستحب أو غير مستحب أو مباح. لا ترتبط معها كراهية. عدا ما ذكرته مما يقابل خير الأسماء مما يعد من شرها. فعداها، لا يرتبط الإعراض عنها بكراهية من سموا بها.

خذ مثلاً: أسماء معظم الحكام والأعلام اليوم فضلاً عن غيرهم من سائر الناس ممن لم يسموا بأسماء الصحابة (رض)، أو أسماء أهل البيت(ع) أفيعد إعراضهم عنها كراهية أم حرية اختيار؟

فمنها على سبيل المثال لا الحصر شاذلي وبلة وولد داده ومدحت وفؤاد وعصمت وطلال ورشيد وفيصل وغازي وروح الله وصدام وموجان وعزت وصباح وفهد ونايف وسلطان وجلوي وجبهان وباز وثاني وراشد ومكتوم وصقر وشخبوط وطحنون وتريم ويتمور وقابوس وضياء الحق. وإلى آخر ما هنا وهناك مما يؤلف أكثر من قائمة واحدة.

أفكل هؤلاء يكرهون الصحابة أو أهل البيت مثلاً، لأنهم لم يسموا بأسمائهم..؟.

قليلاً من التأمل يا صاحب الشريط المسجل.

ثم من قال لك أن الشيعة لا يسمون بأسماء الصحابة ومنهم كثرة من اسم جابر وسعد وسعيد وقيس وسلمان وعمار وبلال ومقداد ونحوهم، بل وعثمان وعبد الرحمن وخالد وإن كان بقلة بناء على حرية الاختيار. وكذلك اسم عمر فإنه لم يقل إلا بعد ما نشرته المطابع نثراً بل ونظماً عن معاملة عمر مع الزهراء لاحظ مثلاً، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٥ والقصيدة العمرية في ديوان حافظ إبراهيم شاعر النيل ص١٨٠ من تهديده بحرق دارها و . . الخ.

وأكثر من هذا فيهم حتى أسماء من ورد الحديث بلعنهم كمروان بن الحكم فمن ذلك ما جاء في ج٤ ص٢٧٩ من مستدرك الحافظ الحاكم على الصحيحين البخاري ومسلم ما نصه: (هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون) فلم يمنع هذا مع حرية الاختيار حتى بعض السادة منهم مثلاً مروان السيد عبد الأمير المحاويلي مركب أسنان في العشار بالبصرة. . هذا قليل من كثير من الدلائل والنماذج مما يرد به على صاحب الشريط المتهجم ومن أبصر فلنفسه.

اللعن والسب ما يجوز منهما وما لا يجوز وما إلى ذلك

لقد عرفوا السب لغة: القطع والطعن والشتم، ويراد بالقطع فيما يراد ما هو ضد الوصل. كما يراد به الخنق أو الاختناق وإياه يعني قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ﴾ آية ١٥ سورة الحج كما يراد بالقطع فيما يراد، إبعاد أو فصل الشيء عن الشيء ومنه اللعن وهو الطرد والإبعاد والتبري. ويكون من الله ومن الإنسان كما في الآية ١٥٩ البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا..﴾ - إلى قوله -: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ فمن الله إبعاده العبد بسخطه عليه ومن الإنسان الدعاء بسخطه. واللعن على قسمين كبير وعادي. اقرأ تفصيله في موضوع زائرات القبور فالحديث هنا عن السب والشتم.. الخ.

وقد عرفوا الشتم بأنه وصف الغير بما فيه رداءته وهتك حرمته، وأدخلوه فيما يعنيه السب.. الخ.

ومما في القرآن مما يعني السب قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ آية ١٠٨ سورة الأنعام. وهي كما ترى تنهى عن سب حتى ما يدعى من دون الله من الأصنام. فكيف إذاً ببني الإسلام من دون تبرير القرآن دستور الإسلام يا بني الإسلام.

ومما يعني الشتم قوله تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ آية ٢ سورة الممتحنة. وقوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ آية ١٤٨ سورة النساء، يعني الشتم أيضاً لاحظ ص ٢٥١ من كتاب الوجوه والنظائر.

أما الفحش - لغة - فقد عرفوه بأنه تجاوز الحد، وأفحش عليه في المنطق قال الفحش هو فحاش.. كما يقال لعان وسباب. ولذلك ورد في الحديث:

لا تكونوا قوماً سبابين. وفي آخر أن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء لا يبالي بما قال ولا ما قال الناس فيه.

وينقسم السب إلى مشروع ويقال لصاحبه لاعن كما في ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ وغير مشروع ويقال لصاحبه لعان. وقد جاء ذكر اللعن في القرآن في ٤١ آية ولولا ذلك لما عرف من هو في جانب الشيطان ومن في جانب الرحمن.

فالذي لعن منا من لعن أو سب أو شتم إنما كان بناءً على ما جاء في تلك الآيات بما فيها ما تقدم ذكره.

وما ذكروه من التأول - كما سيأتي عنه - وأجمعوا أنه لا يخرج من إيمان إلى كفر، ومما يذكر في عصرنا هذا أن المتأول قل بكثير وذلك لتطور العلم والثقافة وأنه لآخذ بالقلة والتقلص فأكثر من كان يلعن ويسب في الماضي صار لا يلعن ولا يسب في الحاضر كما هو الحال عند الشيعة ونحوهم من المسلمين وبين الشيعة أنفسهم. وبين السنة وغيرهم من المسلمين وبين السنة أنفسهم حيث بدأ الوعي لطرح الخلاف جانباً وللعمل على الائتلاف وجمع الكلمة بما في ذلك عدم الاهتمام كلياً بمن سب أو لعن في مناسبة ما. وعدم الالتفات إلى المفرقين فلسان الحال ما جاء في الآية ١٠ سورة الحشر: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ..﴾ الخ. ذلك لأن المسلمين في هذا على فريقين:

١ - فريق اعتبر السب يخرج من إسلام إلى كفر - على غير علم بما سيأتي بيانه - فتسابوا وتضعضعت أركانهم وتسلط عليهم من ليس منهم.

٢- فريق اعتبر السب لغواً يصدر عن حالة عصبية طارئة ينبغي أن لا يترتب عليه أثر بين الناس عدا سب رسول الله(ﷺ) فقد أخرج ابن سعد في أحوال عمر بن عبد العزيز في ج٥ ص٢٧٩ من كتابه الطبقات. أنه قال: لا يقتل أحد في سب أحد إلا في سب نبي..

وفي مسند الإمام أحمد ج٢ ص٤٣٦ عن أبي هريرة أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي جالس فجعل النبي(ﷺ) يبسم ويتعجب. وفيه ج١ ص٩ وفي سنن النسائي. والشفاء للقاضي عياض القسم الرابع من الباب الأول أن رجلاً من المسلمين سب أبا بكر بمحضر منه، فقال أبو برزه السلمي: يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه. فقال له: اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله(ﷺ) وفيه أن عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة كتب إليه يستشيره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب. فكتب إليه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله(ﷺ).

وفي عهد الرسول(ﷺ) كثير ما سب بعض الصحابة بعضاً. ذكر ذلك البخاري في صحيحه في كتاب الصلح ومسلم في صحيحه باب الجهاد فضلاً عن نحوها وعن كتب السير كالسيرة النبوية لابن دحلان ونحوه. وقضية أبي ذر وقوله لآخر يا ابن السوداء وقضية عمر بن الخطاب حاطب بن أبي بلتعة وكان بدرياً. إذ قال عمر للنبي(ﷺ): دعني أضرب عنق هذا المنافق.. ونحو ذلك كثير. فما حكم لا رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر ولا.. ولا.. بقتل من سب صحابياً.. لذا نظمت فيما نظمت في هذا الباب:

لو أن من سب صحابياً قتل ... لكثر القتل على عهد النبي

من قال أن السب إيذاء ومن ... سب له القتل لدى الترتب

فذاك من إيذاؤه مجاوزاً ... حد اللسان بنشاط موجب

وقد أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية أن مجرد السب لا يوجب الكفر. منهم مثلاً فقيه الحنفية في عصره ابن عابدين في كتابه المختار وابن حجر في خاتمة صواعقه قال: فمذهبنا فيمن يسب أنه لا يكفر بذلك. والقزويني في سراج العقول وابن حزم في أواخر ج٣ من فصله قال: وأما من سب أحداً من الصحابة فإن كان جاهلاً فمعذور وإن قامت عليه الحجة فتمادى فهو فاسق و.. الخ.

وفي ص٢٠٦ من ج٤ قالوا: وأما الأشعرية فقالوا إن شتم من أظهر الإسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم وإعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية ولا حكاية والإقرار بأنه يدين بذلك فليس شيء من ذلك كفراً.

وقطع صاحب كتاب فتح القدير حتى بعدم تكفير الخوارج الذين يكفرون الصحابة ويسبونهم. وقال. (أن ما وقع في كلام أهل مذهب من تكفير فهو ليس من كلام الفقهاء المجتهدين وإنما هو من كلام غيرهم ولا عبرة به)..

ولذلك عندما تقع إجراءات منافية فإنها تكون عرضة للاستنكار، أو النقد أو على الأقل عدم التأييد لما تترك من أثر وربما لأجيال متعاقبة أقل ما يقال عن ذاك الأثر تقزز واشمئزاز النفوس، من تأول أو تطرف أحدثها.

وأذكر لك على سبيل المثال - مع الدعاء بالعفو عما سلف وعدم العودة إلى مثلها - تلك الحادثة التي وقعت في ظهر يوم الاثنين ١٦ جمادى الأولى عام ٧٥٥هـ كما ذكرها فيمن ذكرها ابن حجر الهيثمي في كتابه الصواعق المحرقة ص٢٥٣ ط م وهي حادثة قتل رجل شيعي نادى بين المصلين بالمسجد الأموي اللهم العن ظالم آل محمد، ولعدم تعيينه من يعنيه عندما سئل، ضرب وحبس ثم قيل له تب مما قلت فكان جوابه أتوب إلى الله من ذنوبي. فقتل دون أن يجلس معه على بساط التفاهم، وكان المفتي بقتله القاضي المالكي الملقب بالتقي السبكي ونفذ ذلك نائبه.

ورغم ما أورده ابن حجر وذكر مبررات تأولها - القاضي المذكور - ذكر بأن ذلك شنع عليه عند الناس مستنكرين ذلك غير مقتنعين بتأوله - بمن فيهم ابن حجر نفسه وهو شافعي المذهب - فإنه قال في نفس الصفحة ٢٣٠ من كتابه المذكور ما نصه: «مدعي ذلك بحسب ما ظهر له ورآه مذهباً - يقصد القاضي - وإلا فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك».

وأورد ابن حجر تأولات السبكي ورده غير المقنع. فمجموعه يحوم حول كون سب الصحابي أذىً للنبي(ﷺ) ومن آذى النبي فقد كفر، وجزاؤه القتل..

وهذا التأول بمجرد السب خطأه ولم يتقبله ابن حجر ونحوه من أعلام العلماء.. الخ وقد غاب عن السبكي فيما غاب ملاحظة ظروف القضية.. فإذا لم يكن وراء اللاعن من دفعه إلى اللعن بسبب أو أكثر. فإن ذلك قد يكون من شيء جال في خاطره وهو في المسجد الأموي بدمشق وكون دمشق وتبعيتها يومذاك لا يحتاج إلى كلام. في كونها بلد ظلم فيه آل محمد، ثم ملاحظة عدم صدور مثل ذلك في عهد النبي(ﷺ) ولا في عهد الخلفاء الأربعة (رض) فلم يحدث أن أحكم بكفر رجل وقتله لمجرد لعنه صحابياً، أياً كان، دون أن يتجاوز حد اللسان إلى نشاط موجب لذلك.

ومن الغريب أن ابن السبكي هذا ممن يقول بعدم تكفير أهل القبلة؛ فكيف يفتي بقتل رجل من أهل القبلة. حضر للصلاة معهم في المسجد، وكل ما في الأمر لعن ظالم آل محمد. دون أن يذكر اسم أحد.

إلى هذا الحد يصل التناقض والتسرع إلى مثل هذا الفعل الشنيع ولا يعذر بهذا اللون من التأول ولات حين مندم أن أصبح من النادمين - على ما قيل عنه - أمام تلك الحملات ضده بما فيها حملة ابن حجر المذكور ونحوه. ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.. الآية ٣٢ سورة المائدة.

٣- فريق اعتبروا الساب متأولاً لا يخرجه السب من إسلام إلى كفر فلقد سب الصحابة بعضهم بعضاً - كما تقدم ذكر بعض ذلك - وكذلك التابعون ومن إليهم وبعض المذاهب وبعض أتباعهم.. الخ. كما هو موجود في كتب الجميع مما ذكرت منه في موضوعه فأكتفي هنا بالإشارة إليه.

وهذا الاعتبار - أعني التأول - لو قبل على حد سواء بين جماعات المسلمين بدون تعد وباحترام لحلت أو لقلصت المشكلة على الأقل وحيل دون من تسلط أو يتسلط عليهم ممن ليس منهم.

٤- فريق نظر إلى النتائج المؤسفة للاعتبارين المذكورين في الماضي والحاضر وإلى ما يأتي أن يعتبر السب المذكور سواءً يخرج من إسلام إلى كفر أم لا يخرج.

فهو كشيء حدث وما حاصله إلا أسوأ النتائج فعلى المسلمين طرحه جانباً وعدم اعتباره مدعاة إلى انقسامهم فذلك لصالح غيرهم سيما ما وصل إليه من استحلال بعضهم ما حرم عليه من أخيه المسلم؛ علماً بأن دم المسلم وعرضه وماله حرام على المسلم كما في الحديث النبوي المتفق عليه.

كما ومن المتفق عليه أن أول من بدأ باللعن والسب والشتم هو معاوية ومن إليه بالشكل العام ففرق ومزق وليس الشيعة.

٥- فريق يتأمل بالكلمة لعن أو سب من معان في اللغة والاصطلاح فلا يتسرع إلى تكفير أخيه لمجرد ورود لعن أو شبهه في حديث كالذي ذكره الشرباصي في كتابه يسألونك ج٣ ص١٦٧ وهو قوله(ﷺ): «لعن الله كل مزواج مطلاق..» يعني الكثير التزوج والطلاق بدون داع يدعو إليه، والمطلاق الكثير الحلف بالطلاق. وكلاهما ليسا بكافرين، ونحوه ما ذكر من لعن زوارات القبور - كما سيأتي في موضوعه - وكم، وكم جر سوء فهم اللعن إلى كوارث نعوذ بالله من تكرارها.

قال أحد الشيعة للإمام الصادق(ع) أن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور وقد ضاقت بذلك صدورنا.. ولو كنت حاضراً لقلت له: إن الشيعة اليوم ينسب بعضهم بعضاً لعظائم الأمور، لا لشيء سوى إرادة ذلك البعض أن يكون له البعض الآخر كالنعاج، فقال له الإمام الصادق(ع): إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط وكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وأولياؤه. إلى آخر الحديث.

ومما يحسن أن يختتم به هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ..﴾ الخ آية ١٧٣-١٧٤ آل عمران.

هل الشيعة تقول بعصمة النبي وبعض الآل والصحابة. أم السنة أيضاً

يكفي عن عصمة النبي(ﷺ) أن نذكر من القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ آية ٣ سورة النجم. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ..﴾ الخ آية ٤٤ سورة الحاقة. فكان(ﷺ) معصوماً من النطق عن الهوى وعن التقول كما يتقول غيره.. أو أن يأخذ بتقولات فارغة. أو أن ينجرف في أمور نابية ولقد صدق من قال فيه:

خلقت مبرأً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء.. الخ

كما ويكفي أن نورد في عصمة من خلفهم بعده(ﷺ) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وقد أكد نزولها فيمن جللهم بكساء وقال هؤلاء أهل بيتي وهم علي وفاطمة والحسنين(ع) كما أثبت ذلك في أمهات كتب الفريقين - وسيأتي الحديث عنها ونحوها في أحد المواضيع القادمة - كذلك يكفي في عصمتهم قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ..﴾ - إلى قوله - ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولو لم يكونوا معصومين من الكذب - وهو على رأس التأدية الصادقة عن النبي - لو لم يكن كذلك ما قدمهم معه للمباهلة. وهم علي وفاطمة والحسن والحسين(ع) فاتفاق المفسرين والمؤرخين ولهذا أمر الله الناس بأن يكونوا من الصادقين.. وقد تجلى صدق هذا لدى النبي(ﷺ) في الدرجة الأولى ولم يكن لغيرهم مثل ذلك وقد نص آخرهم وهو الحسين(ع) على من يحل محله. وهكذا طبقاً للأوصاف المتطلبة - فيما رووا من حديث بعدي اثنا عشر خليفة الذي رواه جميع المسلمين - كما سيأتي في أحد المواضيع القادمة - كل ذلك -

أعني العصمة فيما هي غايتها - أن يكون المؤدي مثالياً . . وأداؤه صحيحاً ، تطمئن إليه النفوس ، ويغلق مجال التشكيك . ولهذا فإنها إضافة - لما تقدم - هي ضرورية عقلاً .

وبهذا المجمل ، كفاية من حيث أصل موضوع العصمة .

أما الهوامش ، فإليك منها . مما بدا لي خلال البحث ، ما أمكنني من تقسيم العصمة إلى خمسة أقسام :

١- عصمة كبرى - وهي التي للأنبياء وخلفائهم كما تقدم - وهي واجبة .

٢- عصمة صغرى ، وهي مستحبة يحصل عليها بالورع عن المحارم ومجاهدة النفس بالتقوى وما إلى ذلك . . الخ .

٣- عصمة مدَّعاة لشخص ما أو لأشخاص قولاً يدعونها وهي عند الأخوة السنة دون الشيعة . . وإليك منها نماذج فيما يلي :

أ - يفهم مما جاء في كتاب أعلام الموقعين من كتب الأخوة السنة ج٤ ص١١٨ وما بعدها . حصر العصمة الكبرى في أبي بكر (رض) في قوله عن اختلاف الصحابة في الفتوى ما نصه : «فإن كان الخلفاء الأربعة في شق فلا شك في أنه الصواب وإن كان أكثرهم في شق فالصواب الشق الأغلب ، وإن كانوا اثنين واثنين فشق أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب فإن اختلف أبو بكر وعمر فالصواب مع أبي بكر (رض)» .

ب - يفهم من شرط الصحابي عبد الرحمن بن عوف على علي(ﷺ) أن يقتدي بأبي بكر وعمر (رض) فيبايعه غير مكتف بالعمل والكتاب والسنة ، إن ابن عوف يرى عصمة الشيخين .

ت - أكثر من هذا يفهم مما جاء عن الأخوة السنة ، القول بعصمة جميع الصحابة (رض) في حين أن الشيعة لا تقول بعصمة جميع الآل(ﷺ) فمما جاء مثلاً عن الأخوة السنة ما أورده الدواليبي في كتابه المدخل إلى أصول الفقه عن أبي زهرة في كتابه عن الإمام أحمد بن حنبل (ره) أن أئمة

المذاهب الأربعة وجماهير فقهاء السنة أجمعوا على الأخذ بفتاوى الصحابة والاحتجاج بفتاويهم.

ويرد على هذا - وإن لم يكن في معرض الرد - الإمام الغزالي مع الاعتراف بذلك.

يعترف الإمام الغزالي في كتابه المستصفى ج١ ص٢٦٠ بأن هذا القول هو عند بعض دون بعض لا كما ذكر أبو زهرة من الإجماع على ذلك. قال الغزالي: «ذهب قوم إلى أن مذهب الصحابي حجة مطلقاً» ومعنى ذلك العصمة من الخطأ كذلك.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد المبعض. أو ذاك المحدد في أشخاص من الصحابة (رض) أو الشامل لهم جميعاً، بل تجاوز إلى أكثر وأكثر جداً.

ومن ذلك مثلاً، ما ذكره الشيخ رشيد رضا في تفسيره المنار عند ذكر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ..﴾ الخ آية ١٦٥ سورة البقرة عن الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر في كتاب ما لا يجوز الخلاف فيه مع تعليق يستنكر فيه كما يستنكر هو بنفسه ما قاله الشيخ الحنفي المعروف بالكرخي ما نصه: «إن كل آية في القرآن أو رواية عن رسول الله(ﷺ) تخالف ما قرره مذهب أبي حنيفة (ره) فهي إما مأولة أو منسوخة». ومعنى هذا أن عصمة أبي حنيفة من الخطأ فوق عصمة القرآن.

وهذا، وكل ما تقدم لا يوجد عند الشيعة في أئمتهم المعصومين مطلقاً، وإنما يجب أن يكون ما يصدر عنهم مطابقاً لما جاء به القرآن والرسول(ﷺ).

ومن ذلك مثلاً ما جاء في الكافي أن رجلاً سأل الإمام الصادق(ع) عن رأيه في حكم من الأحكام.. فقال له(ع): مه - وهذه الكلمة تستعمل فيما تستعمل للزجر باستنكار - مه نحن نقول عن رسول الله(ﷺ) لا عن رأي واجتهاد.

وفي رواية أخرى قوله(ع): إذا حدثناكم فعن رسول الله نتحدث، معنى ذلك أن جميع ما يصدر عنهم هو على ذلك الأساس وعليه تفرض طاعتهم كما سيأتي بعد قليل.

٤- عصمة يدعيها شخص لنفسه كم يقول: (وعني وإلا فالمحدث كاذب) يقول هذا ونحوه بلا دليل وإذا بالحقيقة على عكس ما ادعاه.

٥- عصمة وهمية وهي عبارة عن قول أو فعل يفرضه إنسان ما بلا دليل أو بما يتوهم دليلاً ويعتبر من الضالين كل من خالفه وإن أتى بأكثر من دليل صحيح ضد ما فرضه حتى يقع بالواقع المر وهذا مما نحن مبتلون به اليوم أكثر، فأترك لك التعليق - قارئي اللبيب - على ما يجري في عصرنا هذا مثلاً في العراق والسعودية وإيران ونحوها أصلح الله الجميع.

أما فرض طاعة الأئمة المعصومين(ع) الذي أشرت إليه قبل قليل فيكفي هنا أن أذكر لك ثلاث مواد من مئات بل تتجاوز المئات فقد ألف فيها أكثر من كتاب واحد كالألفين للعلامة الحلي ونحوه.

وإنما أقتصر وباختصار على هذه المواد الآتية لما فيها من الكفاية في جمعها بين طياتها ما يتفرع منها مما هو المطلوب كما سترى.

١- قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ آية ٥٩ سورة النساء. على أضواء هذه الآية لا يعقل أن يقرن الله بطاعته وطاعة - فيما شرع - يقرن طاعة غير المعصوم من الخطأ، في تبليغ ذلك عنه وعن رسوله.

٢- الدين التمسك بالثقلين الكتاب والعترة.. وقد تقدم الكلام عنه وعن سنده عند الجميع - يجعل عترته عدل القرآن - بكسر العين. وقد ثبت أن القرآن مصون من الخطأ؛ فلزم أن يكون عدله كذلك..

وقد يسأل سائل عن حديث «كتاب الله وسنتي» في معرض حديث «كتاب الله وعترتي» والجواب هو أن كلمة سنتي ليس فقط لا تخرج بالعمل

عن كلمة عترتي بل أن كلمة عترتي تفيد إلى جانب ذلك فيما تفيد، تفيد وجود الآخذين بالكتاب والسنة بشكل صحيح وغير منقطع حتى يردا الحوض يوم القيامة كما في الحديث؛ لأن العترة رصيد ثابت مستمر منذ حياة النبي(ﷺ)، والسنة ما حدث به النبي(ﷺ) وما عمل به وما أقره: وكل ذلك لم يكن مكتوباً حتى عهد عمر بن عبد العزيز المتوفي عام ١٠١هـ فقد كان الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية قد امتنعوا عن كتابته. في حين كان مكتوباً عند أهل البيت. ومن ذلك مثلاً ما وصف به مصحف فاطمة من أنه حوى حتى ارش الخدش. يبدو أن فيه تفصيلاً لما أجمله القرآن مما حدث به النبي(ﷺ) أو عمله أو أقره خارج نص المصحف كتفسير له. بدليل أن المصحف (القرآن) واحد عند الجميع كل ما في الأمر مصحف فاطمة كتابة القرآن نفسه وإلى جانبه تفصيل لما جاء عن النبي(ﷺ) حوله وحيث كان ذلك موضع عناية والتزام وملازمة أهل بيته له.

ومما يذكر هنا أن كل ما يعني به إنسان ويلتزم به ويلازمه بالدرجة الأولى يعبر عنه اصطلاحاً بمصحفه. إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر؛ ولذلك - والأمثال لا تعارض - قال دعبل في أبيات له في إبراهيم بن المهدي المغني الذي بويع له بالخلافة.

وهكذا يرزق أصحابه خليفة (مصحفه) البيرط

والبيرط هو آلة لهو، وهكذا كل ومرامه فهذا وأمثاله مرامهم غير الدين. وأولئك مرامهم الدين وعلى رأس دستوره القرآن والسنة؛ حفظاً وكتابةً وقولاً وعملاً.. الخ. وشتان كل ذاهب لمرامه.

ففكر أيها المسلم بعقلك أي المرامين أحق.. أهو الذي عند إبراهيم المغني ومن على شاكلته؟ أم الذي عند أهل البيت الأطهار والصحابة الأبرار (رض).. ؟ ثم ما هو الذي هو عين الحقيقة فيما يؤخذ عن النبي(ﷺ) من عبادات ومعاملات وما إليها.. ؟

لنأخذ مثلاً من ذلك هذه الصلوات الخمس اليومية. أليس كان رسول الله(ﷺ) يتوضأ ويصلي ومعه أصحابه. ومع ذلك اختلف بعض أولئك الأصحاب ومن إليهم في الوضوء وفي بعض الصلاة حتى اليوم. ولم يختلف أهل البيت(ﷺ) العترة؛ لأنهم أقرب الناس إليه وأنصفهم به وأكثرهم اطلاعاً على ما يقول ويفعل ويقر قولاً أو فعلاً.. الخ حتى صغار السن منهم لم يختلف أحدهم عن الآخر.

لنأخذ مثلاً من ذلك ما ذكروا من أن الحسن والحسين(ﷺ) مرا على شيخ، وكانا صبيين، وكان الشيخ يتوضأ وقد أخطأ في وضوئه - طبعاً الشيخ كان من الصحابة (رض) فالحسنان صبيان في عهد جدهما رسول الله(ﷺ) - فسلما على الشيخ وقالا له: نود أن يتوضأ كل واحد منا أمامك لتنظر وضوء أينا أحسن،.. فاستجاب الشيخ لهما؛ ولما توضآ، لم يختلف وضوء أحدهم عن الآخر،.. فعند ذلك أدرك الشيخ بأنه أخطأ في وضوئه.. وانحنى عليهما يقبلهما ويقول سيداي كلاكما قد أحسن الوضوء، ولكن هذا الشيخ - يعني نفسه - لم يحسنه.

وكانت النتيجة أن أخذ الشيخ - بلا أنانية - الوضوء الصحيح عن هذه الصبيين من العترة أهل البيت(ﷺ) الذين يصابحون رسول الله ويماسونه أكثر..

وعلى هذا فقس في كون الأخذ عن أهل البيت(ﷺ) أصح من الأخذ عن غيرهم - على فرض صحته. فلسان حال أهل البيت كما قال الشاعر:

أنا داخل في الدار أنظر ما به وسواي ينظر من شقوق الباب

٣- أن الكتاب - وهو القرآن - لا ريب فيه كما تحدث عن نفسه فيستلزم أن يكون عدله لا ريب فيه كذلك وهم العترة. إذ لو كان فيهم ريب لما كان ببعيد أن يرى إلى ما هو عدلهم وهو القرآن. فيظن به ذلك ولهذا قالوا مثلاً: إن الصديق على الصديق مصدق إن حسناً فحسن وإن سوءاً

فسوء . . وقد ثبت أن القرآن مصون من الريب فاستلزم أن يكون عدله معصومون كذلك . وهذا وذاك قد عرف بالعصمة .

فعدل القرآن العترة من آل البيت محال رحمة الله وبركاته في قول : ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ والمطهرون كما في آية التطهير ونحوها في القرآن - كما مر عليك منه - ويحكم السنة فيما ورد من أحاديث التمسك بهم . وفعل النبي من التأكيد على ذلك بتعيينهم في قوله : «هؤلاء عترتي من أهل بيتي وقوله كلما مر ببيت فاطمة لستة أشهر : السلام عليكم يا أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس . . » الخ كما ذكر ذلك معظم المفسرين وأصحاب كتب أسباب النزول . وكتب الحديث وما إليها ، وقد ذكرنا كما سنذكر منها طرقاً . كذلك بالمناسبة خلال مواضيع كتابنا هذا ، عملاً بقوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ..﴾ الخ .

إن الأخذ عن أئمة آل البيت المطهر - وعددهم اثنا عشر كما في الحديث المروي عند الجميع - لهو الأخذ الصحيح . لا الأخذ عن المنحرفين من آل البيت كعلي بن اسماعيل وهو الكذاب وبعض بني العباس ونحوهم وكذلك الأخذ عن الصحابة المخلصين لا المنحرفين كمعاوية وابن العاص ونحوهما . .

﴿قُلْ هذه سَبِيلي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ..﴾ الخ ، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن كلمة رضي الله عنه ورحمه الله وما يجري بهذا المجرى

الترضي ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ من الرضا، وهو على ما عرفوه: السرور بمرور القضاء وهذا بالنسبة لمن سره ذلك من الخلق فرضي به وإلى ذلك يشير فيما يشير ما ورد من آيات فيها ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

أما بالنسبة للخالق سبحانه، فإن رضاه: إنما يتحقق لمخلوق بالعمل الصالح، دل على ذلك فيما دل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ آية ١٩ سورة النمل. فيقال رضي الله عنه باعتباره من أهل العمل الصالح، هكذا بصيغة الماضي.

وبنفس الصيغة يدعى له فيقال - رضي الله عنه - كما يقال حفظه الله ورحمه الله ونحو ذلك.. الخ. وكذلك يرضى الله عنهم بصيغة الجمع فهي هنا جملة دعائية كما عرفها الباحثون.

وقد جاءت كلمة رضي الله عنهم - تتلوها - ورضوا عنه في أربع آيات. تضاف إليها فيما يضاف مثلاً الآية ١٨ من سورة الفتح ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ..﴾ الخ. والآيات الأربع هي:

أ - قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ آية ١١٩ سورة المائدة.

ويعني بذلك الصادقين وسبحانه دل على ذلك صدر الآي نفسها: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ..﴾ الخ.

ب - قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ..﴾ الخ. آية ١٠٠ سورة التوبة.

والواو في «والسابقون» للعطف على ما قبله من ذكر الأعراب المؤمنين. .

فأولئك وهؤلاء الموصوفون بالوصف المذكور - رضي الله عنهم - فعندما يذكر أحدهم يترضى عنه بها. . الخ.

ومما يذكر أن بعضهم يورد كلمة رضي الله عنه أو عنهم. . يتبعها بكلمة - وأرضاه - للمفرد - وكلمة - وأرضاهم للجمع، وهذا صحيح دل عليه فيما دل قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وذلك مباشرة بعد قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيكون سبحانه في ذلك قد أرضاهم. .

ج - قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ..﴾ الخ، الآية ٢٢ سورة المجادلة. والمقصود من أخذ بتعاليم الإسلام قولاً وفعلاً، عن عقيدة إيمانية لا عن ادعاء أو عن أخذ شيء دون الأخذ بآخر من الإسلام نفسه. فلا يوادون من حاد الله ورسوله كائناً ما كان. . دل على ذلك فيما دل صدر نفس الآية التي فيها الجملة المذكورة؛ إذ تبتدئ بقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ..﴾ الخ. والمحادة لغة المخالفة.

على أن يفهم ذلك فهماً صحيحاً من هو المخالف لا الفهم السقيم الذي فهمه بعضهم فعادى ذويه توهماً دون أن يتبين وتثبت محاداتهم لله ولرسوله. . الخ. فيكون هو الذي يحادد الله ورسوله. . لأن الله سبحانه قال فيما قال مرتين في آية واحدة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ هي آية ٩٤ من سورة النساء، ومرة في سورة الحجرات آية: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ وأتبعها بقوله: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ذلك لأن نصيب من يحادد الله ورسوله ما قرره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا

أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم﴾، آية ٦٣ سورة التوبة. وعليه فينتفي عمن حادد الله ورسوله أن يكون من حزب الله الذي عناهم بالآية ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ ومع ذلك فلا مانع من قول - رضي الله عنه أو عنهم - من باب الدعاء وحب لغيرك ما تحب لنفسك.

د - قوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ آية ٨ سورة البينة. ويكفي هذا ذكر الخشية من الرب سبحانه.. فمن رضي عنه، فالآية التي قبلها تذكر الإيمان مع العمل إن لم يحق له رضا الله سبحانه فهي قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم..﴾ الخ، ولا تنسى أنه تقدم لهذه الآية وآيات أخر حديث في موضوع تعريف الشيعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عن النبي(ﷺ) من كتب إخوانهم السنة فراجع ذلك إن شئت.

وقولي يكفي هنا ذكر الخشية من الرب في وصف الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.. لأن الخشية من الله تدعو إلى الإيمان به وعدم نكرانه وعصيانه بما في ذلك طاعته بالإتيان بالعمل الصالح.. الخ. وذلك ما يجعله في عداد من ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه..﴾ فيكون قول القائل في شخص ما -رضي الله- واقعاً في محله، سواء كان فعلاً قد رضي الله عنه، أم دعاء بأن يرضى الله عنه.

ولا مانع من الدعاء - كما تقدم - من باب حب الخير للغير كما تحب لنفسك، وإن كان الله سبحانه قد أخبر عمن يرضى عنه من يرضى من خلقه؛ دون أن يرضى عنه هو سبحانه، كقوله تعالى: ﴿فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ آية ٩٦ سورة التوبة.. فإن الموصوف بهذه الصفة حسابه كما وحساب غيره على ربه، ولهذا جاء في الصلاة على الميت: «اللهم إنا لا نعلم من ظاهره إلا خيراً وأنت أعلم به منا..» إلى آخره بما في ذلك الدعاء له.. كذلك قول رضي الله عنه من باب الدعاء والحب للغير ما يحب للنفس.. الخ.

وعلى هذه الأسس جاز قول - رضي الله عنه أو عنهم - على من يقال عند ذكرهم . . وليس ذلك على أساس . . زعل أو تلطف كما ورد في قول والد لولد لم يعجبه فعله : «الله يرضى عليك يا ولدي» ولا على أساس تقية - كما يفهمه أو يتوهمه بعضهم - وسيأتي الكلام عن التقية وما حولها في موضوع قادم ، كذلك على أضواء الكتاب والسنة وما إليهما . . الخ .

ومما جاء في السنة : من الأحاديث النبوية حديث : «يا علي ستقدم أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» . وقد سبق ذكره عن كتب السنة في موضوع معنى شيعة . . الخ ، وفي مقدمة شيعته سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وحذيفة و . . و . . الخ ، وكلهم يذكرون بالترضي عليهم منذ ذلك العصر حتى اليوم .

أما الترحم فقد أمر به الله سبحانه على من استحقه ، ويكفي هنا ما جاء في الآية ٢٤ سورة الإسراء : ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ .

وفيما في السنة الشريفة قوله(ﷺ) : «رحم الله أخي تبع الأول آمن بي قبل أن يراني ، إنه معي في الجنة» ، وقوله(ﷺ) : «اللهم صل على آل أبي» أي ارحم آل أبي . ففيما جاء في معاني صلاة معنى رحمة ، ومما يذكر هنا مما إلى ذلك في الأدب . قول أبي تمام :

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

أي رحمة الله .

ومما يجري بهذا المجرى ، كلمة : قدس الله سره تقال عند ذكر فقيد من العلماء . ويراد بها : سر العلم والإيمان وهذه الجملة كدعاء أيضاً بصيغة الماضي ، ويراد بالتقديس هنا التكريم . وتقال أيضاً كلمة : طاب ثراه ، أو : طيب الله ثراه . ويراد بها ما يتوسده في القبر من التراب . أي أن البقعة التي دفن فيها طاب ثراها لحلوله فيها ؛ كرامة من الله تعالى . وتقال كلمة : أعلى الله مقامه . ويراد بها : درجته في الجنة . . و . . الخ .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

كرم الله وجهه تارة ورضي الله عنه أخرى وعليه السلام

مما في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..﴾ الخ آية ٧ سورة الإسراء.

دلت هذه الآية فيما دلت على أن تكريم الإنسان هو الأصل عند الله وبشكل عام. كالرحمة مثلاً، إذ قال سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وكالرزق في الأصل هو الحلال. غير أن الإنسان، أو من بني الإنسان - بعبارة أجلى - من يهدم ذلك التكريم أو جزءاً منه، بسوء عمله. وكذلك الحال في جلب السخط مكان الرحمة، وقلب الرزق الحلال إلى حرام. كالذي روي عن علي (ع) يريد الدخول إلى مسجد فعرض له بخدمة أن يمسك بغلته حتى خروجه، فترك علي (ع) عنده البغلة. فإذا بالرجل يفكر في سرقتها، وحيث أن بغلة الخليفة معروفة سرق لجامها وانصرف. وكان علي، قد أعد له درهمين كهدية على خدمته؛ فإذا بالبغلة بلا لجام ولم يجد الرجل، فذهب إلى بائع لجم وسرج وطلب إليه أن يبيعه لجاماً، فناوله الرجل لجاماً وقال له: سيدي لقد اشتريته قبل قليل بدرهمين ولا أريد منك أكثر. فناوله الإمام الدرهمين اللذين أعدهم لذلك الرجل الذي بسوء تصرفه قلب الحلال إلى حرام.

كذلك يكون تصرف آخرين بغيرهم. كما جاء في الحديث: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه.. الخ.

فالأصل إذاً: التكريم والرحمة والرزق الحلال، والولادة على الفطرة. وبسوء التصرف يهدم ذلك أو بعضه. كما وبحسن التصرف يرقى إلى درجات يصل الادعاء من الآخرين بأعلاها مستوى الألوهية. كما جاء في

الآيـة ٢٦ الأنبيـاء : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ..﴾ الخ.

وكـان علـي بـن أبـي طـالـب مـن أولئـك العبـاد المكرمـين، غـير سـابق الله بالقول. كما وأنه عامل بأمره تعالى منذ نشأ حتى النهاية ولم يسجد لصنم قط - كما ثبت لدى الجميع - فقيل عند ذكره كرم الله وجهه.

هذا ما عرف عن ذكره وهذه الكلمة، في الدرجـة الأولـى: ثـم مـا عـرف عنه بأنه لم ينظر إلى عورة؛ وإذا ما صادف ذلك صرف نظره بأسرع ما يمكن.

أما جملة: رضي الله عنه، ويأتي بها بعضهم أحياناً عند ذكره. فقد سئل أحد أئمة المساجد في دبي عن ذلك، فأجاب: إن سيدنا علي (كرم الله وجهـه) لم يسجد لصنم ولم ينظر إلى عـورة، ورضـي الله عنـه لأنـه قيـل: وحاشـا أن يكون ذلك منه فإن أخاه جعفر أقل رتبة منه شكره الله على أربع خصـال - كمـا في حديث نبوي - أحدها: أنـه لـم يشـرب خمـراً قـط. قيـل - وهـذا مـن أقـل دعايات معاوية ضده - أنه اتهم بشرب الخمر مرة واحدة. وبما أن ذلـك إثـم، جيء بكلمة رضي الله عنه كدعاء عند ذكـره أحيانـاً. وكـرم الله وجهـه غالبـاً، كشيء حقيقي واقعي استحق به ما انفرد به وتفوق على من سواه منهم بأنه لـم يسجد لصنم قط، بل نشأ على التوحيد ومات عليه.

أمـا جملـة (عليـه السـلام)، أو (صلـوات الله وسـلامه عليـه)، فسـيأتي الكلام عنها تحت هذه الأضـواء أيضـاً في موضـوع هـل صلـى الله عليـه وسـلم أفضل أم وآله وسلم. وأن لا مانع من إضافة وصحبه وسلم. والذي يحق لـه ذلك من الآل والصحب، يصـل إليـه مـن الله ومـن لا يحـق لا يصـل إليـه وإن بحت الأصوات بكلمة وآله وصحبه.

ويكفي هنا أن نشير إلى أن (عليه السـلام) علـى أسـاس وسـلام علـى آل يس فسروها آل محمد. عليهم صلوات مـن ربهـم فسروها أيضـاً بهـم بصفـة خاصة لما أصابهم من أعظم المصائب في: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَـــالُوا

إنّا لله وَإنّا إلَيْه راجعُونَ * أُولئكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ..﴾ الخ، آية ١٥٦ سورة البقرة، كما فسروها بعموم من يدخل في وصف هذه الآية.

وبطبيعة الحال يستثنى من هذا العموم من يقول: ﴿إنّا لله وَإنّا إلَيْه راجِعُونَ﴾ بلا إيمان.. كما قال فيهم الشاعر:

إنا إلى الله، قول يستريح به عند المصيبة من دانوا ومن جحدوا

عليه السلام: وتعني - سلام الله - لا تصل إلى من لا تحق له. وكذلك (رضي الله عنه).

ومما يذكر هنا بالمناسبة. أن رجلاً قال عند ذكر معاوية: (رضي الله عنه) والتفت إليه صاحب له قائلاً ما تقول..؟ فقال: ما تقول في معاوية أهو مبغض لعلي بن أبي طالب أم لا..؟ قال الرجل: إنه ليس فقط مبغضاً لعلي بل هو أشد المبغضين له. فقال صاحبه: ما تقول في الحديث النبوي قوله(ﷺ): يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق..؟ قال الرجل: هذا الحديث معترف به عند الجميع، فقال صاحبه: إن الله تعالى يقول: ﴿إنَّ الْمُنافقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ آية ١٤٥ سورة النساء. وقد اعترفت بأنه منافق فكيف يحق رضى الله عنه..؟ فسكت الرجل حائراً في الجواب.

وعليه: فإن (عليه السلام) ونحوها (رضي الله عنه) تصل إلى من تحق له فقط وعلي(ع) على رأس آل محمد المعبر عنهم بآل يس كما تقدم. وعلى رأس الصحابة الذين نزلت بهم الآية ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وامتاز عليهم فيما امتاز بكرم الله وجهه، لأنه لم يسجد لصنم ولم ينظر عمداً إلى عورة فإذا صادفها صرف نظره بأسرع ما يكون.

بالمناسبة باختصار إن عمرو بن العاص وبشر بن أرطأة بارزا علياً، ولما أشرف عليهما بسيفه انقلبا عن فرسيهما وأبديا سوءتيهما. فصرف علي(ع) وجهه عنهما وتركهما - وهذا مما هو مشهور - في كتب الطرفين ونظمت فيه الأشعار منها:

أفي كــل يــوم فارســاً تندبونــه ... لـه عـورة وسـط العجاجـة باديـة

يكــف بهــا عنــه علــي ســنانه ... ويضحـك منهـا في الخـلاء معاويـة

وذهبت مثلاً حتى أن أبا فراس الحمداني قال في قصيدته الشهيرة أراك عصي الدمع :

ولا خــير في رد الــردى بمذلــة ... كمـا ردهـا يومـاً بسَــوْءَته عمــرو

ونحو ذلك . . الخ .

وبالمناسبة أيضاً ، ما اشتهر بأن الأسد إذا كشفت المرأة عورتها أمامه انصرف عنها ولم يمسسها بسوء ومما ذكر أن امرأة رافقت رجلاً في طريق مسبع رجاء أن يحميها من أسد يعترض لها ، وفعلاً اعترضهما أسد ، فإذا به يقول : اكشفي عورتك أمامه ينصرف عنا ، فقالت : أنا رافقتك لتحميني بأيرك فإذا بك تريد أن أحميك بفرجي .

في الخـوف قــد ينهـد بـول إمـرأة ... مـن رجــل ينهـد بـول وخـرا[1]

فالمراتب العالية ، إن أطلقت عناوينها على من لا تحق له كانت سخرية الدهر وهي على أهلها نجوم لامعة .

---

(١) من ديوان الغربة والمعاناة للمؤلف.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

هل صلى الله عليه وسلم أم وآله وسلم..؟

عزيزي القارئ اللبيب، إنك عندما تقرأ أبرز التفاسير وكذلك الصحاح الست ونحوها. فإنك تجد الصيغة المفضلة للصلاة على محمد(ﷺ) هي التي ذكرها الدكتور الشرباصي في كتابه يسألونك ج٢ ص٢٥٧ ما نصه: «لعل الطريقة المثلى ما ورد في التشهد (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) كما ثبت وروده في السنة الصحيحة، وهناك صيغ كثيرة ولكن الأمثل - يقصد الأفضل والأولى والأحسن.. الخ - هو ما جاء في تشهد الصلاة كما ذكرنا».

ومن العجيب أن كثيراً من الأعلام ومنهم ابن حجر في صواعقه ص٣، أورد الحديث النبوي المتفق عليه «لا تصلوا علي الصلاة البتراء. قيل له: يا رسول الله وما الصلاة البتراء؟ فقال: أن تقولوا اللهم صل على محمد وتسكتوا، بل قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد».

العجب أن ابن حجر هذا أورد الحديث المذكور وأتبعه بلفظ صلى الله عليه وآله وسلم. وبآله وصحبه وإذا به يعود خلال كتابه إلى الصلاة البتراء التي اعترف بالنهي عنها، في أول الكتاب، دون ذكر مبرر للعودة إليها.. اللهم إلا العادة التي اعتاد عليها، أو أنه تحاشى عن ذكر ما ذكره غيره ممن توهم مبرراً في ذلك.. كالزمخشري مثلاً.. فقد قال في تفسيره الكشاف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ آية ٥٦ سورة الأحزاب ما نصه: «فإن قلت فما تقول في الصلاة على غيره - يقصد غير النبي - قلت: القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ..﴾ وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وقوله - يعني هنا النبي -: «اللهم صلي على آل أبي»

ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صل الله على النبي وآله فلا كلام فيها».

يقصد لا اعتراض فيها؛ يعني في الصلاة على النبي وآله معاً، وعليه فيقال له ولأمثاله مع احترامنا لهم: إذاً لماذا تأتون فقط بـ صلى الله عليه وسلم.. ؟ مع وجود هذا التقرير وأمثاله؟ أليس هذا من الأعجب؟ والأعجب منه متابعة الزمخشري قوله المتقدم بقوله: «.. وأما إذا أفرد عنه غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه ولأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله(ﷺ) ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض».

يعني على حساب ألا يتهم بالرفض أي أنه شيعي.. فهو يأتي بـ صلى الله عليه وسلم.. بدلاً من صلى الله عليه وآله وسلم.. ومعناه أن يترك ما قرره القرآن والسنة.. كأنه يأتي به أناس آخرون من المسلمين. بينهم وبين من حوله سوء تفاهم ليس إلا.. وهذا مما لا يبرر شرعاً ولا عقلاً مهما حاول نقض ذلك في أي اجتهاد كان. وإن ما ذكره بعد ما تقدم من قول رسول الله(ﷺ): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم» إنما يعني ما هو خارج عما قرره القرآن والسنة، لا ما هو مقرر فيهما كما اعترف هو وأمثاله أصلحهم الله وإيانا أجمعين..

ومن الطريف، أو التطرف ما شئت فقل: إذ إن معنى كل من التعريفين المذكورين حاصل فيما أريد ذكره لك هنا وهو: أن أحد السادة الأعلام رقى المنبر يوماً فقال قولنا صلى الله عليه وسلم مأخوذ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾، ولم يقل وآله.. أليس هذه مصيبة أن يتهمنا بعض الشيعة بالكراهة للآل ولكل من الآل، والصحابة (رض) مقام معلوم. فلا مخل لأن نقول وآله أو وآله وصحبه بل أن نقول مثلاً الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فقط كما في الآية هذه.

فأجاب رجل من الحاضرين: المصيبة أنك وأمثالك تحفظون شيئاً وتغيب عنكم أشياء والمصيبة أعظم أن مثلك مع انتمائه نسباً إلى آل الرسول(ﷺ) يتزلف إلى شانئيهم ليكسب مالاً أو ليثبت نفسه على منصب بإبعاد شبهة التشبه بالشيعة عن نفسه: أليس مما اتفق عليه المفسرون والمحدثون ونحوهم.. بأن تقرير شيء من الأشياء أو ذكر قصة لا تلزم أن يكون في آية واحدة أو سورة. فبان الآية التي ذكرتها مع أن من المفسرين من اعتبر فيها الصلاة على النبي وعلى الآل في ﴿وَسَلِّمُوا﴾ فإنك إن اعتبرتها مع من اعتبرها خاصة به(ﷺ) ففي القرآن نفسه أكثر من آية في الصلاة والسلام على الآل.. ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ..﴾ وأضاف إليها سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ..﴾ فهل أصاب أحد مثل ما أصاب الآل بعد جدهم من المصائب - وهذا متفق عليه أيضاً - وعليه فالآل على رأس من يصلى عليهم؛ ولذلك وجب ذكرهم في ذلك في التشهد، اللهم صل على محمد وآل محمد أو على آل محمد، وهذا متفق عليه كذلك.. فما تقول أيها الخطيب..؟

فأطرق الخطيب رأسه وسكت لا يدري بماذا يجيب.. وهكذا أمثاله في مثل هذه ونحوها.. الخ.

أما السلام على الآل(ﷺ)، وفي موضوع سابق الترضي عن الصحابة (رض)، فهنا عن السلام على الآل ويكفي قوله تعالى: ﴿..سَلَامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ..﴾ آية ١٣٠ سورة الصافات. وهذه الآية تشد الآل بالسلام ويس اسم من أسماء نبينا محمد(ﷺ) دل على ذلك فيما دل خطاب الله إياه في ابتداء سورة سميت بهذا الاسم يس فقد جاء أولها هكذا: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ مقروناً بالقرآن أو بعد القسم به وقد أنزل عليه(ﷺ) وتلي سورة يس: سورة الصافات وعليها - كما تقدم ذكره - من السلام على آله(ﷺ) آل يس.

وعليه فهل بعد هذا من تبرير في ترك تعميم الصلاة علـى النبـي والآل . . اللهم إلا ما ذكره الزمخشري - فيما تقـدم - مـن تـبرير مـردود . ليـس الشيعة وحدها تقول ذلك بل إن في إخوانهم السنة مـن يقـول ذلـك معهـم . ومنهـم - على سبيل المثال لا الحصر - ابن حجر كما قد تقدم ذكره والقسـطلاني شـارح الصحيحين صحيح البخاري ومسلم (ره) ونحوهما . . الخ .

وهـذه - عزيـزي القـارئ اللبيـب - أعقـد عليهـا إصبعـك الثـاني . مـع موضوع آت في صدق الله العظيم وصدق الله العلـي العظيـم . . فتلـك أيضـاً - كهذه - في هذه النظرة المردودة كتاباً وسنة وعقلاً . . الخ .

أعقد عليهما إصبعك لآتيك بثالثة ورابعة أو أكثر من هذا اللون المـردود ؛ لولا أن يطول الكلام .

فالثالثة - قال الغزالي في كتابه إحياء العلوم ، بـاب التختـم مـا مجملـه أن التختم باليمين ورد عن رسول الله(ﷺ) ولكن بما أن الروافض الشـيعة اتخـذوه شعاراً فصار الاستحباب خلاف ذلك .

والرابعة - قراءة البسملة وعدم قراءتهـا ، كمـا سـيأتي ذكـر ذلـك في أحـد المواضيع القادمة من كتابنا هذا تحت عنوان : حـي علـى خير العمـل والصـلاة خير من النوم وترك البسملة وحكم الكتاب والسنة .

والخامسة - القبور في الإسلام - كما سيأتي في أحد المواضيع القادمة - علـى شكلين مسطح ومسنم . والمسطح هو ما عليه قبر النبي(ﷺ) وصاحبيه (رض) كما جاء في صحيـح البخاري ج٢ ص٤٦٨ بسنده عـن عائشة (رض) وهـي زوجـة النبي(ﷺ) أحد أصحاب القبور الثلاثة وابنه ثانيهما . ولـم تظهـر القبـور المسنمة في الإسلام إلا فيما بعد . ولهذا فإن الشيعة آخذون بـالأول الأصـل وهـو التسـطيح . فكان التسنيم كمسألة خلاف أيضاً . . دعت بعضهم إلـى مـا دعتـه ، كمـا تقـدم في المسائل الثلاث المتقدمة الذكر . من كون التسطيح صار شعاراً للشيعة ، فعـدل إلـى غيره لنفس المبرر الوهمي المذكور وكونه مردوداً كذلك .

على أننا - والحمد لله - لا نعدم - من العلماء والأعلام من الأخوة السنة ممن يرفض قبول المبرر الوهمي المذكور لمخالفته الكتاب والسنة. ومنهم مثلاً القسطلاني شارح صحيحي البخاري ومسلم (ره) فإنه على علاته قال ما نصه: «ولا يؤثر في أفضلية التسطيح كونه صار شعار الروافض لأن السنة لا تترك - إلى قوله - ولا يخالف بذلك قول علي (رض): أمرني رسول الله أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته. لأنه لم يرد تسويته بالأرض وإنما أراد تسطيحه نقله في المجموع عن الأصحاب».

وللترمذي (ره) في سنن نحو ما ذكر القسطلاني من كون التسطيح هو المطلوب. كما ذكر ذلك غيرهما أيضاً.. وسيأتي وغيره في موضوعه الخاص في كتابنا هذا.. وليس ما ذكرته هنا إلا استطراقاً، بالمناسبة للأمور التي هي المطلوبة وهي الأفضل.

ومع احترامنا للآخرين لا يعرف الفضل والأفضل إلا ذووه.. نسأل الله للجميع أن لا يجعلنا من الذين استنكر عليهم بقوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ..؟﴾ وأن يجعلنا من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

هل صدق الله العظيم أفضل أم العلي العظيم

كلمة صدق الله : جاءت في موارد في القرآن الكريم مما كان على أساسها اختتام ما يقرؤه القارئ من القرآن استحباباً .

فمن تلك الموارد مثلاً قوله تعالى : ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً..﴾ الخ آية ٩٥ سورة آل عمران . . وقوله تعالى : ﴿قَالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ..﴾ الخ آية ٣٢ سورة الأحزاب . . ونحو ذلك من الآيات .

أما صدق الله العظيم ، فهذه الجملة تحتوي على لفظ الجلالة وعلى اسم من أسماء الله الحسنى وهو العظيم . فإذا أدرج منها - العلي - وهو اسم من أسماء الله الحسنى أيضاً كان ذلك ذكراً أفضل . فكلما أدرج اسم من أسماء الله في ذكر له سبحانه . كان ذلك أفضل . وللذكر أنفع سيما وإن لكل اسم من أسمائه الحسنى خواصه . . الخ .

وعليه فلا بأس أن يدرج أكثر من العلي العظيم ، وليس إلا للاختصار اكتفي بـ العظيم . وبالعلي العظيم . وقد جاء - العظيم - وصفاً لعدة أشياء ، كالعرش العظيم ، والكيد العظيم والبهتان العظيم و . . الخ .

ولم يأت اسم العظيم وحده بالنسبة لله سبحانه إلا في آية واحدة فقط هي الآية ٣٣ من سورة الحاقة ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾ .

ومتبعاً ورد العظيم باسم من الأسماء الحسنى . اسم (رب) في ثلاث آيات فقط هي الآية ٧٤ و ٩٦ من سورة الواقعة و٥٢ من سورة الحاقة ، وكل منها : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ، ومسبقاً بلفظ الجلالة في الآية : ﴿لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾ المذكورة قبل قليل .

وفضلت عند الشيعة جملة (العلي العظيم) لا لأن اسم الإمام علي (عليه السلام) مشتق من الله العلي سبحانه - كما يتوهمه بعضهم - بل لأن اسم الله العلي وارد مع اسمه العظيم في آيتين إحداهما على رأس أبرز آيات القرآن هي آية الكرسي ٢٥٥ من سورة البقرة مختومة بـ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ، والثانية الآية ٤ من سورة الشورى ختمت بـ ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ . ولشيء آخر هو فضيلة ذكر اسمه سبحانه (العلي العظيم).

يضاف إلى ذلك أن اسم العلي جاء في القرآن الكريم مع أسماء حسنى أخرى لله سبحانه . في موارد لها تلك الأهمية ونحوها . . فقد جاء اسمه العلي سبحانه مع اسمه الكبير في آية ٦٢ من سورة الحج وآية ٣٠ لقمان و٢٣ سبأ و١٢ غافر ففي هذه الموارد كلها يلفظ العلي الكبير.

وهناك مورد خامس بلفظ : ﴿عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ آية ٣٤ من سورة النساء . كما جاء أيضاً مع اسمه الحكيم في سورة الشورى آية ٥١ وبلفظ ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ في آية ٤ من سورة الزخرف ، وفي سورة مريم آية ٥٠ و٥٧ جاء وصفاً للكتاب بـ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ . . الخ .

وعليه فصدق الله العلي العظيم أفضل . كما تبين من تقرير القرآن نفسه ولك الخيار .

جواب عن القيام لصدق الله العظيم وللذكر المهدي وقول عجل الله فرجه

بعد الكلام عن صدق الله العظيم في الموضوع السابق إليك هنا تحت هذه الأضواء:

١- القيام عند ختام تلاوة القرآن بهذه الجملة، في بعض البلدان دون بعض استحباباً مما له أساس في القرآن من ذلك مثلاً ما جاء في سورة آل عمران آية ١٩١: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً..﴾ الخ.

وعليه فالقيام عند استماع صدق الله العظيم أو العلي العظيم يقصد به ذكر الله في حالة القيام. إجلالاً لاسمه وتصديقاً بالقرآن نزله على رسوله(ﷺ).

أما قيام بعضهم عند ذكر المهدي(عليه السلام) فيقصد به ذكر الله للدعاء والتضرع إليه لا لسواه بأن يكشف الضرر العام بتعجيل الفرج لمن أخبر عنه الرسول(ﷺ) بأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ولفضل الدعاء حال القيام والقعود في قوله تعالى في سورة يونس آية ٢ب: ﴿وَإِذا مَسَّ الإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً﴾.. الخ.

وأما وضع بعضهم يده على رأسه حال القيام فهو تعبير عن تحية المهدي المنتظر للقيام إلى نصر دين الله. كما وهو تعبير عن الشوق للقيام معه. فهو على رأس الذين تنطبق عليهم الآية ٤١ من سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ..﴾ الخ.

وقد جاءت فيه أحاديث كثيرة في كتب الطرفين. منها الحديث آنف الذكر.

وفي كتابي هذا موضوع خاص به وما إليه. راجعه إن شئت للاستزادة من المعلومات حول ذلك. فكلامنا الآن عما يخص قيام بعضهم عند ذكره وجر

ذكره للتنبيه إلى ذكر الله تعالى والتضرع إليه بالدعاء. اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه و.. الخ.

ومن المعلوم أن الدعاء إذا لم يستجب في وقته لسبب أو أكثر، الله أعلم به منا. فليس معنى ذلك ترك الدعاء، وإلا لترك الناس كافة الأدعية بما فيها ما جاء في الصلوات الخمس وعلى رأسها مما لا تصح الصلاة بدونه وأعني ما جاء في سورة الفاتحة من قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ..﴾ الخ. فكم من داع بالهداية فيها لم يستجب دعاؤه. بل عاش ضالاً ومات ضالاً فهل يعني هذا أن يترك الدعاء من لم يستجب دعاؤه؟.

الجواب: لا وأكثر من لا؛ لأن الدعاء عبادة لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ - أي عن دعائي سواء استجبت أم لم أستجب لسبب أو اكثر - ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

وبهذا ونحوه يسقط قول بعض الساخرين القائلين: منذ كم تدعو الشيعة عجل الله فرجه؟ ولم يعجل فرجه،.. فالدعاء مطلوب. فإن أجيب فبها وإلا فهو عبادة محمودة مطلوبة.

وممن على رأس من دعا بهذا الدعاء قائماً: الإمام الرضا(ع) في جمع عام من الناس ودعبل الخزاعي الشاعر ينشد بين يديه قصيدته التائية مدارس آيات.. الخ، التي قال عنها الدكتور زكي مبارك ونحوه أنها آية من آيات الأدب العربي الخالد. وفيما فيها قوله:

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويقضي على التمويه

والإمام علي الرضا(ع) غني عن التعريف فقد رضي به المؤالف والمخالف. وقد عمل في ولايته عهد المأمون. كما عمل من قبل وأكثر في تبليغ ما جاء به جده المصطفى(ص) على أحسن وجه وأتمه أصولاً وفروعاً و.. الخ.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن المهدي المنتظر وما قيل عن الرجعة

عدة آيات من القرآن الكريم فسرها أعلام من علماء السنة فضلاً عن الشيعة على أسس معتمدة في المهدي(ع):

١- الآية ٦١ سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ..﴾ الخ. قال مقاتل بن سليمان ومن إليه من المفسرين أنها نزلت في المهدي. جاء هذا في ص١٢٤ من الصواعق المحرقة للهيثمي.

٢- الآية ٩ سورة الصف: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ..﴾ الخ. جاء هذا في البيان للحافظ الكنجي الشافعي ص١٠٢ - ١١٢ عن سعيد بن جبير: أنه هو المهدي من ذرية فاطمة(ع).

٣- الآية ٣ سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ففي تفسير النيسابوري ج١ أنها كذلك تعني المهدي(ع).

٤- الآية ٤١ سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ فيما في ينابيع المودة للحنفي ص٤٥٠ - ٤٥١ ذكرها بسند معتمد أنها نزلت في المهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الله بهم الدين حتى لا يرى أثر من الظلم والبدع.

وذكر أيضاً علامات وأخبار كذلك عن المهدي(ع) كما في كتب الحفاظ المذكورة قبله ونحوهم.. الخ. فهؤلاء مع آخرين من أعلام علماء السنة موافقون لعلماء الشيعة في المهدي(ع). وأذكر من أولئك الآخرين سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص وابن خلكان في وفيات الأعيان والصفدي في الوافي وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة والعيان الشافعي في إسعاف

الراغبين وابن طولون الدمشقي في كتابه الأئمة الاثني عشر والسمرقندي في تحفة الطالب والإمام الشعراني في اليواقيت والجواهر ووافقه على ذلك الشيخ سيدي علي الخواص، ومنهم الخواجه شيخ السنة في عصره محمد بارساي في كتابه فصل الخطاب وابن حجر العسقلاني في كتابه القول المختصر ومحمد بن أبي طلحة في مطالب السؤول والشبلخي في نور الأبصار والسويدي في سبائك الذهب. ونحوهم ممن تقول بما قالته الشيعة بالمهدي(ع) أنه محمد بن الإمام الحسن العسكري(ع) وأنه حي موجود كالخضر وعيسى ونحوهما. إلى أن يأذن الله له بالظهور كما يؤذن لعيسى(ع) بالنزول.

هذا فضلاً عن أعلام السنة أيضاً الذين ذكروا أنه من هذه الأمة والذين ذكروا أنه من أهل البيت(ع) وأذكر على سبيل المثال أيضاً بعض من ذكر أنه من هذه الأمة:

١- البخاري (ره) في صحيحه ج٢ أواخر ص١٦٨ باب نزول عيسى(ع) بسنده عن النبي(ص) أنه قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟.

٢- مسلم (ره) في صحيحه ق٢ ج٢ بسنده عن النبي(ص) أنه قال: «يكون في آخر أمتي خليفة يحث المال حثياً. لا يعده عداً» قاله كل من الترمذي وأبي داود في التعليق على هذا الحديث. قالا: «هذا الخليفة هو المهدي».

٣- و٤- في صحيح أبي داود وسنن الترمذي بسنديهما المعتمدين أن رسول الله(ص) قال: «لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وأنه لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». وزاد أبو داود: «يملك سبع سنين» وقال عنه حديث ثابت صحيح رواه الطبراني في مجمعه وكذلك غيره من أئمة الحديث.

٥- الإمام ابن تيمية (ره) في كتابه منهاج السنة قال: «إن أحاديث المهدي معروفة ثابتة في مسند الإمام أحمد بن حنبل (ره) وسنن السجستاني والترمذي وغيرهم».

وعليه فإن الذين يشككون في المهدي(ع) إما قليلو الاطلاع أو مكابرون لغاية خاصة أصلحهم الله وإلا فقد أحصى فيمن أحصى أحاديث المهدي من رجال الصحاح والسنن وأئمة المذاهب وأتباعهم الأعلام: الشيخ عبد المحسن العباد عدد ثمانية وثلاثين من مشاهيرهم من هذا الوزن وقد نشرته فيمن نشرته من الصحف مجلة الجامعة الإسلامية البغدادية العدد ٣ ص١٢٩ وفي ص١٢٨ قبلها ذكر عدد ٣٠ صحابياً وصحابية بأسانيد معتمدة عنهم عن النبي(ﷺ) من أخبار المهدي(ع).

منهم كنماذج حسب الحروف الهجائية (أ) أبو أيوب الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وأبو هريرة (ث) ثوبان مولى النبي(ﷺ) (ج) جابر الأنصاري وجابر بن سمرة (ح) حذيفة اليماني (س و ش) سلمان الفارسي وشهر بن حوشب (ط) طلحة (ع) عائشة، عبد الرحمن بن عوف، عبد الله بن عباس، وابن عمرو ابن عمرو بن العاص وابن مسعد وعثمان بن عفان وعلي وعمار وعمران بن حصين وعوف بن مالك (ق و م) قرة بن إياس ومجمع بن جارية الأنصاري (رضي الله عنهم) ونحوهم من التابعين (ره).

أضف إلى ذلك كون ظهور مصلح في آخر الزمان. هذا عند جميع الأمم. والأوصاف لا تنطبق تماماً إلا على المهدي(ع) سواء قال منهم أنه لم يولد بعد وسيولد ويظهر، أم قال منهم: أنه ولد وغيب حتى يأذن الله بظهوره. كما جرى ذلك في غيره.. قصرت المدة أم طالت.

وكون لا غرابة من طول الأعمار وما إلى ذلك ففي الماضي والحاضر أشباه ونظائر. إلى آخر ما كتب في المهدي ورد الشبهات كل الشبهات حوله بما لا يدع مجالاً للريب، وإن أردت التفاصيل أو المزيد، فاطلب الكتب التي ألفها فيه أعلام من السنة والشيعة في الماضي والحاضر ما قد يصل إلى ١٠٠ كتاب أو أكثر؛ بما في ذلك ما هو على ضوء العلم الحديث والعقل إضافة إلى أضواء الكتاب والسنة.. الخ.

وقد حاول بعض المدفوعين بالطائفية - كما يبدو من كتاباتهم - كصاحب كتاب المهدي والمهدوية. فقد استهدف في كتابه إنكار المهدي فإذا به يقع في الاعتراف به بعد محاولات أخذ بها ذات اليمين مرة وذات الشمال أخرى - وكلها مردودة - اعترف في ص٤١ منه أن أهل السنة قد آمنوا بالمهدي. وذكر في ص١١٠ منه عدداً من أعلام إخواننا السنة منهم الإمام الشوكاني في كتاب التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح، وفي ص١٠٦ ذكر للأستاذ أحمد بن الصديق رسالة في الرد على ابن خلدون في إنكاره أحاديث المهدي. عنوانها: أبرز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون ورسالة لأبي الطيب الحسيني ذكرها في ص١٠٩ منه وعنوانها: الإذاعة لما يكون بين يدي الساعة. وقد سبق أن ذكر في ص٤١ منه أن ابن حجر أحصى الأحاديث النبوية المروية في المهدي نحو خمسين حديثاً..

وهذا يناقض قوله في ص١٣ و١٤ من أن الشيعة انفردوا بالعقيدة في المهدي وعزا ذلك إلى رجل مغربي يقال له عبد الله الشيعي في دعوته إلى المهدي المنتظر.. كما يزيده نقضاً بقوله في ص١١٠ منه بقوله: أن السنيون عقيدتهم بالمهدي أقل خطراً.. يريد أن هذه العقيدة - على حد قوله - «كانت خطراً من الشيعة على غيرهم».. وكان قد قال في ص٤١: «من أن هذه العقيدة كانت سبباً لشب ثورة دامت سنين».. الخ، على أنه - أعني صاحب الكتاب المذكور - عاد فمدح الشيعة في ص٣٤: بأنهم كانوا مؤمنين يدافعون عن الإسلام ضد المهاجمين من الخارج.. الخ، مما سيأتي في مناسبة أخرى من كتابنا هذا..

وأختم هذا الموضوع بشيء مما جاء في كشف الحجة لابن طاووس أقتصر عليه من مئات كتب الشيعة في هذا المجال، أذكر هذا الشيء بناءً على كونه مشتركاً في ميدان المذاكرة مع علماء بغداد فقد قال لهم ما نصه: «وأما ما أخذتم عليه - يقصد الشيعة، والواو في وأما: عطف على ما قبله من أسئلة

وأجوبة حول ذلك وارادة فيه كما وهي واردة ونحوها في نحوه من الكتب المؤلفة في ذلك وقد أشرت إليها قبل قليل - قال: «وأما ما أخذتم عليهم من طول غيبة المهدي(عليه السلام) فأنتم تعلمون لو حضر رجل وقال: أنا أمشي على الماء ببغداد فإنه يجتمع على مشاهدته لعل من يقدر على ذلك منهم فإذا مشى على الماء وتعجب الناس منه فجاء آخر قبل أن يتفرقوا. وقال أيضاً: أنا أمشي على الماء فإن التعجب منه يكون أقل من ذلك فإن بعض الحاضرين ربما يتفرقون ويقل تعجبهم. فإذا جاء ثالث وقال: أنا أيضاً أمشي على الماء فربما لا يقف للنظر إليه إلا قليل فإذا مشى على الماء سقط التعجب من ذلك. فإذا جاء رابع وذكر أنه يمشي على الماء أيضاً فربما لا يبقى أحد ينظر إليه ولا يتعجب منه. وهذه حالة المهدي(عليه السلام) لأنكم رويتم أن إدريس(عليه السلام) حي موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن. ورويتم أن الخضر(عليه السلام) موجود من زمان موسى(عليه السلام) أو قبله إلى الآن. ورويتم أن عيسى(عليه السلام) حي موجود في السماء، وأنه يرجع إلى الأرض مع المهدي(عليه السلام). فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم وسقط التعجب من طول أعمارهم فهلا كان لمحمد بن عبد الله(صلى الله عليه وآله) أسوة بواحد منهم أن يكون من عترته آية لله جل جلاله في أمته بطول عمر واحد من ذريته. فقد ذكرتم ورويتم في صفته أنه يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ولو فكرتم لعرفتم أن تصديقكم وشهادتكم أنه يملأ الأرض بالعدالة شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً أعجب من طول بقائه وأقرب إلى أن يكون ملحوظاً بكرامة الله جل جلاله لأوليائه وقد شهدتم أيضاً أن عيسى بن مريم النبي المعظم(عليه السلام) يصلي خلفه مقتدياً به في صلاته. وتبعاً له ينتصر به في حروبه وغزواته وهذا أبعد مقاماً مما استعظموه من طول حياته.. قال: فوافقوا على ذلك.

لاحظ ص٥٦ من كتابه المذكور وما حولها وألق نظرة أو أكثر على أمثاله إضافة لما تقدم ذكره لتقول معي ومع جميع من يريد الاطلاع على الحقائق والعمل على وفاق المسلمين جميعاً: اللهم وفق.

أما مسألة الرجعة فالمقصود بها هو أن الله جلت قدرته يعيد قوماً من الأموات دون قوم إلى الحياة فيعز قوماً ويذل آخرين وينتقم للمظلومين من الظالمين وذلك عند خروج المهدي المذكور. فيرجع من علت درجته في الإيمان ومن سفلت درجته في الكفر، ثم يصيرون إلى الموت والنشور العام كما أخبر سبحانه عن الذين لم يصلحوا بذلك الارتجاع فحاولوا عبثاً الرجعة مرة ثانية كالأولى التي فتح لهم المجال بها للإيمان والهداية قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ آية ١١ سورة المؤمن.

قال البحاثة المظفر في العقائد ما حاصله: لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت وإن تكلف بعض المفسرين في تأويلات أخرى.

وأورد المظفر فيما أورد آيات منها ما جاء في رجعة عزير (ﷺ) إلى الدنيا بعد موته وعاش ثم مات ثانية. قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ..﴾ الخ آية ٢٥٩ سورة البقرة.

وأشار إلى وقائع إرجاع المسيح (ﷺ) من أرجعهم إلى الحياة كمعجزة له فعاشوا ثم ماتوا بآجالهم مكتفياً بذلك وبالآيتين المذكورتين عن غير ذلك مما في القرآن أيضاً. كقوله تعالى فيمن ماتوا من بني إسرائيل: ثم أرجعهم إلى الحياة وعاشوا حتى منتهى آجالهم طبعاً. قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآية ٥٦ سورة البقرة. وكقوله تعالى في آخرين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ..﴾ الخ آية ٢٤٣ سورة البقرة.

وذكر آيات أخرى ووقائع وأحاديث في هذا الخصوص. وقد سبق للشيخ الطبسي أن ألف كتاباً في ذلك أسماه الشيعة والرجعة و.. الخ على أساس من الآيات والأحاديث من كتب السنة والشيعة وما إلى ذلك.. الخ.

ومما يكفي من الأخبار عن ذلك ما جاء في الآية ٨٣ النمل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ قالوا إن فيها إشارة إلى رجع خاص كما في آية أخرى ما يشير إلى الرجع العام: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ آية ٤٧ سورة الكهف. ونحوها من الآيات التي منها ما يفيد الخصوص ومنها ما يفيد العموم. ولا تناقض لكلام الله سبحانه والله أعلم وإليه ترجع الأمور.

ومن ذلك مثلاً عدة آيات فيها عبارة ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فقط كالآية ٥٥ من سورة آل عمران و١٦٤ سورة الأنعام ونحوهما. وآيات فيها عبارة ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ كالآية ٤٨ و١٠٥ سورة المائدة سواء كانت خاصة أم عامة حسب ما تأوله بعضهم وحسب ما جاء في بعض الأحاديث عن أهل البيت(ع) وغيرهم.. الخ.

وكيفما كان فإن الأمر - كما يقول المظفري ونحوه من الأعلام - ليست الرجعة الخاصة من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها إنما هو اتباع لما جاء في بعض آيات كتاب الله وبعض أحاديث أهل رسول الله. وهي من الأمور التي لا يمتنع وقوعها منطقياً تحت أضواء ذلك ولا يستوجب نبز من يقول بها. أو تكفيره فكم من الأمور التي يمتنع وقوعها فضلاً عن كونها لم يأت بها نص، أو شبه نص صحيح ولكن لم توجب تكفيراً للقائلين بها. ومنها مثلاً القول بجواز سهو النبي أو عصيانه(ﷺ) عند بعضهم وكالقول بقدم القرآن، عند بعض وعدم قدمه عند بعض. ونحو ذلك. فهذا أو ذاك لا يدعو إلى التفريق ما بين المسلمين وعند الجميع فما عند الجميع إن إلى ربك الرجعى.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

أصول الدين خمسة أم أقل والتركيز على المعاد وذكر فروع الدين

سألني عن هذه المسألة تلميذ من المعهد الإسلامي في عجمان، وكيف أن السنة تقول أصول الدين ثلاثة، وبعض السنة وبعض الشيعة يقول أربعة ومعظم الشيعة يقولون خمسة.

والجواب تحت هذه الأضواء بإجمال ما يلي:

١- مما في القرآن من الآيات ما دل على أنها خمسة وهي الإيمان بالله وبرسله وملائكته واليوم الآخر منها الآية ١٣٦ سورة النساء ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ١- يَكْفُرْ بِاللهِ، ٢- وَمَلائِكَتِهِ، ٣- وَكُتُبِهِ، ٤- وَرُسُلِهِ، ٥- وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾، فاختصرها بعضهم إلى ثلاثة: ١- الإيمان بالله. ٢- ورسله ربط بهم الملائكة والكتب. ٣- اليوم الآخر. وبعضهم أضاف إلى: ١- الإيمان بالله وبملائكته، ٢- وأضاف إلى الإيمان بالكتاب القرآن ما قبله من كتب - كما جاء في الآية آنفة الذكر - ٣- الإيمان بالرسل، ٤- الإيمان باليوم الآخر، فهذه أربعة.

وبعض الشيعة اقتصر على: ١- الإيمان بالله بلفظ التوحيد، ٢- النبوة وتخص النبي (ﷺ) وتعم ما قبله. ٣- الإمامة باعتبارها خليفة النبوة. ٤- المبلغون لذلك بلفظ الشيعة. فهذه أربعة أيضاً. وأصحابه الشيعة الركنية يدعونها بالأصول ويدعونها بالأركان الأربعة.

ومعظم الشيعة تقول أنها خمسة: ١- التوحيد أي الإيمان بالله لا إله إلا هو وحده لا شريك له.. الخ. ٢- العدل. علماً بأنه من صفات الله تعالى. وإنما قرروه أصلاً من دون صفاته الأخرى. لأن من المسلمين من نسبوا الظلم إلى الله

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾. ٣- النبوة. ٤- الإمام - كما تقدم ذكرهما عند بعضهم. ٥- المعاد يوم القيامة وهو المقصود بـ اليوم الآخر.

ومما يذكر هنا أن اليوم الآخر (المعاد) متفقون عليه من جميع المسلمين من حيث المبدأ - كما يعبر - ويختلفون من حيث التفصيل. فهم على ثلاثة أقوال:

١- القول بالمعاد الروحاني فقط نظراً إلى أن الأرواح مجردة والمجرد باق والجسم مركب من عناصر شتى وإذا فارقته الروح دخل في عالم المفارقات هناك انحل ولحق كل عنصر بأصله وانعدم وتلاشى ذلك المركب والروح باقية وهي تعاد إلى الحساب. ولعل إلى هذا القول يشير الفارابي بقوله:

أصبح في بلابلي وأمسي ... يا حبذا يوم حلول رمسي
مطلع سعدي ومغيب نحسي ... من عرض يبقى بدار حسي
وجوهر يرقى لدار قدس ... وكل جنس لاحق بجنسي

٢- القول بالمعاد الجسماني فقط وهو مذهب جميع أهل الظاهر من المسلمين وبعض المتكلمين وهو لازم كل من وجود النفس والروح المجردة بل أنكروا وجود كل مجرد غير الله أما الملائكة والنفوس والأرواح فكلها أجسام وهي تختلف من حيث اللطافة والكثافة والعنصرية والمثالية كما يبدو من أقوالهم.

٣- القول بالمعاد جسماً وروحاً وعليه قامت الأدلة من الكتاب والسنة والعقل والعلم الحديث في أحدث تقريراته كدورة الماء من تبخر إلى سحاب إلى مطر مختلف الأحجام. ثم تبخر وهكذا ونحو ذلك وغيره.. الخ.

ومن المعلوم أن كل إنسان مثلاً مركب من جزأين المحسوس وهو البدن العنصري ويشاهد بالعين الباصرة، والجزء الذي يحس بعين البصيرة ولا تراه الباصرة؛ ألا ترى أن الإنسان قد يمر الشيء أمامه فلا يبصره أو يطرق الشيء سمعه فلا يعيه، عندما يكون الجزء الثاني المذكور منصرفاً عن ذلك كما يشير شوقي إلى هذا المعنى بقوله:

إني أعرتك أذناً غير صاغية ... ورب مستمع والقلب في صمم

إلى آخر ما هنا وهناك من أدلة تثبت أن قيام الإنسان مثلاً بوظائفه على أساس جزأيه جسماً وروحاً. فيترتب فيما يترتب على ذلك معاده جسماً وروحاً، لما يواجهه هناك و.. الخ.

وهذا القول هو الذي عليه معظم الشيعة وبعض السنة. وبهذا كفاية هنا عن أصول الدين.

أما الفروع. فهي الصلاة والصوم الحج والزكاة والخمس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعلم والجمعة والجماعة و. . الخ.

فإضافة إلى هذه قيل بعد ذكر الزكاة: الولاية لعلي(ع) وهذه يؤيدهم بها السنة وإن لم يدرج عند بعضهم مع ما تقدم فاعتراف جميعهم بخلافة علي(ع) رابعاً موجب لموالاته. بل اعترف بعضهم بالنص على ذلك كرئيس المجمع العربي الثقافي بدمشق الأستاذ كرد علي في كتابه خطط الشام ج٦ ص٢٥٠ بسنده عن أبي سعيد الخدري (رض) في حديث عن النبي(ص): أن الإسلام بني على خمس أخذ الناس بأربع وتركوا واحدة، الأربع هي: الصلاة والصوم والحج والزكاة. والواحدة ولاية علي بن أبي طالب (رض) فقيل له: أهي مفروضة معهم؟ قال: نعم إنها مفروضة معهم، وفيه عن حذيفة اليماني وسلمان الفارسي (رض) بايعنا رسول الله(ص) على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب.. إلى نحو هذا وشبهه.. الخ، مما في كتب السنة أنفسهم، وفق الله بين الجميع.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن مسألة الاجتهاد والتقليد ومما إلى ذلك

مما في القرآن ما جاء في الآية ٨٣ سورة النساء ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

وعلى هذا الأساس عرفوا علم أصول الفقه. كما والفقه نفسه على أساس الآية ١٢٢ سورة التوبة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ..﴾ الخ.

والفرق بين العلمين الفقه وأصول الفقه ما أجملته نظماً في أرجوزتي الفقهية أرجوزة الألفين ج١ ص٦

ودون ما واسطة من عمل	علق في مكلف - فقه - جلي
وعكس هذا بـ الأصول - عُرفا	ولهما تعريف علم أزفا

أشير بقولي ولهما تعريف إلى ما منه ما يخص الأصول، في خمساءتي المهدية في علم الأصول ج١ ص١٠

علم أصول الفقه قسمان قسم	فمبحث الألفاظ فيما قد رسم
ومبحث الأدلة الذي يلي	ومعه أصول نزع العمل
علم به (يستنبط) الأحكاما	(مجتهد) وينفع الأناما و.. الخ

فحديثي الآن عن الاجتهاد والتقليد لاحظ ج٢ ص٥٦ منها.

الاجتهاد قوة يستنبط	شرعاً به حكماً بأصل يربط
من قد وعى الفقه وقسمين قسم	فمجزء بالبعض منه متسم
خص به صاحبه لا غيره	ومطلق عم الجميع خيره و.. الخ.

أما التقليد فإنه:

يراد بالتقليد ذا أن يتبع	عوامنا مجتهداً فيما شُرع

ولا يـــراد بـــالضروري بـــأن		يجـــري بـــه التقليـــد ذا فـــانتبهن
والنـــاس في الغيبـــة إمـــا مجتهـــد		أو ذو احتيـاط أو فتقليـداً يـرد و . .

أراني أكثرت عليك من المنظوم علماً بأن هذا قليل من كثير فـأحيلك إلـى المنظومتين المذكورتين بعد ما تقدم إن أردت التوسع ، بنحو هذا مـن خلاصـات أجملتها تحت أضـواء الكتـاب والسـنة وكتب السنة . بما في ذلـك سـد بـاب الاجتهاد عند السنة مكتفين بما عن اجتهاد المذاهب (ره) كما ومـن الشيعة مـن سدوا باب الاجتهاد أيضاً مكتفين بما عـن اجتهـاد الشـيخ الأصـم . والشـيخ آل عصفور (ره) . فمن الشيعة وهـم الأكثريـة توقفـوا عـن تقليـد المـوتـى وأنـاطوه بالأحياء إلا أن يكون سابقاً حتى يتبين الأعلم الحي . لا أن يكون ابتداءً .

وكيفما كان علينا أن نحترم الجميع . وكل وشـأنه فهـو حـر فيـه مـا دام في ظل لا إله إلا الله محمد رسول الله . وما إليهما مـن إقامـة الفرائـض والامتنـاع عن المحارم . . . الخ ، ولا داعي إلى التفرقة . بـل المطلـوب هنـا هـو الاعتصـام بحبل الله جميعاً وإن ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

ومما يذكر هنا ، أن الاجتهاد لا يحتاج إلـى عصمـة فهـو عبـارة عـن ملكـة استنباط الحكم الشرعي عن أدلته الأربعة : القرآن والسنة والعقل والإجماع - كما هو مفصل في كتب الفقه - وأجملته في منظومتي آنفة الذكر وتحصـل علـى تلك الملكة بالتعمق بالفقه وأصوله وما إلى ذلك .

ومن الأدلـة علـى عـدم اشـتراط العصمـة في الفقيـه الحديـث الـذي يرويـه الجميع وهـو أن للمجتهـد أجـران إن أصـاب وأجـر واحـد إن أخطـأ . والمجتهـد مبلغ عن المعصوم .

وهذا الأجر الواحد له مقابل جهده الذي بذله . وعليه فلو كانت العصمة للمجتهد أيضاً لما جاءت فيه عبارة (وإن أخطأ فله أجر واحد) .

فالمعصوم إنما يكون مصوناً من الخطأ كالأنبياء(عليهم السلام) .

أما ما ذكره القرآن من الأخطاء للأنبياء فللعلماء في ذلك بحوث وعلى رأسها التفسير أو التأويل بترك الأولى وإلا لو كانوا يخطئون بالشكل الذي عليه سائر الناس لكان كما قيل :

فلا يأمن التنزيل منهم من الخطأ إذا كان يعروهم من الشك ما يعرو

في حين أن التنزيل ومن يؤديه منهم مأمونان من الخطأ. ولذلك يطمأن إليه بشكل قطعي. أما المجتهد فيطمئن إليه بشكل ظني مقبول.

وفي هذا كفاية هنا في الجواب على سؤال وجهه إليه شاب من دبي يدعى غدير سعيد عبد الله. فخير الكلام ما قل ودل.

اسم سيد هل يجوز للمخلوق، أم للخالق سبحانه فقط؟

سألني أحد الذين يتصل نسبهم بالنبي(ﷺ) أن أحد الأشخاص سأله عن اسمه. فعندما أجابه بأن اسمه: سيد أحمد، انحدر عليه السائل بكلمة: «شرك. هذا شرك. السيد الله أو بس» ثم أخذ يدعوه بعد ذلك بكلمة شيخ، وذلك لأنه شخص محترم وأستاذ.

وكان هذا يصر على كلمة سيد وذاك يصر على كلمة شيخ فهما في نزاع.

والأطرف من هذا أن بعضهم يسمي السيد (سيه) يعني سيئة. وبالمقابل تسمية شيخ بـ (شخة) يعني بولة. فيسألني عن الصواب مع من..؟ وهل هو آثم من يسمي هذه التسميات أم لا..؟

والجواب هو: (ما أرشدنا القرآن فيما أرشدنا إليه بقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ والرد إلى الله ورسوله الرد إلى القرآن والسنة). وبقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ..﴾ الخ وعليه:

١ - فأما القرآن فإنه لا يمنع بل يقرر أن يخاطب المخلوق باسم سيد مجازاً لا حقيقة فإن كلمة سيد بمعناها الحقيقي لله وحده، وعلى أساسه ما ذكره العزيزي في شرح الجامع الصغير من قول وفد بني عامر للنبي(ﷺ) أنت سيدنا. فقال: (ﷺ) السيد الله.. كما ذكر نحوه السيوطي.

ويبدو أنهم كانوا يقصدون المعنى الحقيقي الذي هو لله وحده لا شريك له. وإلا فإن كلمة سيد مجازاً مما أقره القرآن الكريم والنبي المكرم(ﷺ) ومن ذلك مثلاً قوله تعالى في يحيى(ﷺ): ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾ وقوله في يوسف وزليخا وزوجها: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾.

فلو قلت مثلاً أن هذه الآية عن حكاية قد لا يؤيدها القرآن . . فالجواب ما أيده من السنة الشريفة ، ومنها ما جاء في النهاية وغيره لابن الجزري في حديث عائشة (رض) : «كان سيدي رسول الله» وكانت له زوجة . فهل كانت تعني اشتراكه مع الله في كلمة سيد . . ؟ الجواب طبعاً . . لا .

هذا مع أن الآية المذكورة في يحيى(ع) وحدها كافية في جواز دعوة مخلوق باسم سيد ، يضاف على أساسه ما جوزوه حتى في غير الإنسان كما سيأتي .

٢- وأما السنة الشريفة فمنها مثلاً ما جاء في صحيح البخاري (ره) في باب الأدب المفرد بسنده عن أبي هريرة وجابر (رض) قول النبي(ﷺ) : أنا سيد ولد آدم والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . وفي النهاية قوله(ﷺ) في الحسن(ع) : إن ولدي هذا سيد . . الخ .

وفي سنن الترمذي وحلية الأولياء لأبي نعيم بسند عن عائشة قوله(ﷺ) : ادعوا لي علياً سيد المؤمنين .

وفي صحيح البخاري (ره) كما في إرشاد الساري شرحه ج٩ ص١٤٦ دعا رسول الله سعد بن معاذ رئيس الأوس والخزرج بـ (السيد) ونحوه في الفائق للزمخشري ص٣٠٨ ط الهند وغيره ومما ذكروا أيضاً ، أن عمر (رض) كان يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً (رض) .

وفي النهاية - المتقدم ذكره كما وفي غيره أيضاً - سئل النبي(ﷺ) من هو السيد . . ؟ فقال هو يوسف بن يعقوب(ع) قالوا : في أمتك سيد ، قال بلى : من آتاه الله مالاً ورزقه سماحةً فأدى شكره وقلت شكايته في الناس فهو سيد .

وعليه فالمتميز من الناس برئاسة أو منزلة شريفة أو فضيلة . يقال له - مجازاً - سيد . ولهذا فإن المتصل بالرسول(ﷺ) نسباً يقال له في اصطلاح : الشريف فلان ، وفي اصطلاح آخر : السيد فلان . فتلك منزلة شريفة . وأول من شرف بها الحسنان وأبوهما علي(ع) كما تقدم إلى جانب ما تقدم من عدم المناع من إطلاقها مجازاً لا حقيقة فالمعنى الحقيقية لله وحده .

وعلى أساس المجاز تجد في أحاديث وكتب المسلمين كلمة سيدنا أبو بكر سيدنا عمر سيدنا عثمان سيدنا علي سيدنا الحسن سيدنا الحسين وهكذا . . . وبهذا كفاية عن السنة الشريفة .

٣- خذ بعد ما تقدم مما جاء على أساس :

أ - فمن اللغة مثلاً ما جاء في كتبها في مادة سود ، ومنها كتاب مختار الصحاح الجوهري ص٣٢٠ السيد من ساد وسيد قومه ، وما في فقه اللغة للثعالبي لكلمة سيد وجواز إطلاقها مجازاً حيث فصلها إلى تسعة :

١ - الحلاحل : السيد الشجاع .

٢- الهمام : السيد البعيد الهمة .

٣- القمقام : السيد الجواد .

٤ - الغطريف : السيد الكريم .

٥ - الصنديد : السيد الشريف .

٦ - الأروع : السيد الذي له جسم ومهارة .

٧- الكوثر : السيد الكثير الخير .

٨- البهلول : السيد الحسن البشر .

٩- السيد المعمم : المسود في قومه . . وإلى نحو ذلك وغيره مما ذكروا .

ب - ومن الاصطلاحات في عصرنا هذا مثلاً قولهم : دولة ذات سيادة فهل يعنون أنها ذات ألوهية . . ؟ الجواب : طبعاً لا . وكذلك اصطلاح سيدة الموقف . والجندي يخاطب الضابط سيدي . والطالب يخاطب الأستاذ سيدي ، وفي الإذاعات والتلفزيونات : سيداتي وسادتي . وقال السيد فلان ، وتقرأ في الصحف وبطاقات الدعوات والمعايدات وعلى المظروفات ونحوها ، كلمة سيد فلان فهل تعني شريك الإله . . ؟ كما تسمع وتقرأ كلمة سيدة بالنسبة للمرأة المتزوجة فهل تعني الآلهة وهكذا . . الجواب طبعاً : لا . فكل ذلك يعني المجاز لا الحقيقة .

ت - ومن الأدب مثلاً قول ابن الوردي في لاميته الشهيرة :

قد يسود المرء في غير أب ... وبحسن السبك قد ينفى الزغل

ويعني : سيادة الشخص من دون أن يكون له أب سبق أن ساد . . فكيف بمن ساد أيضاً . . ؟

ث - ومن عوالم المخلوقات الأخرى من حيوان ونبات وجماد ، يقال للأسد سيد وللصقر سيد ، وللنخلة أو الزيتونة سيدة والرمان سيد والعقيق سيد واللؤلؤ سيد ونحو ذلك . . الخ .

ويعنون للأول سيادة الغاب وللثاني سيادة الطير وللثالثة أو الرابعة سيادة الأشجار والخامس سيادة الفاكهة وللسادس سيادة الأحجار الكريمة وللسابع سيادة الجواهر . . والخ .

وكل ذلك - أيضاً - لميزة خاصة . وما في ذلك ونحوه شرك بالله في كلمة سيد كما توهمه أو غالط فيه بعضهم وحسبنا ما تقدم مما جاء في القرآن والسنة . من جواز إطلاق كلمة سيد مجازاً على الأشخاص لميزات خاصة هي من نعم الله سبحانه . ومنها شرف الانتساب إلى رسول الله(ﷺ) .

وعليه فالذي يبدل كلمة سيد بـ كلمة شيخ المنتسب إلى رسول الله(ﷺ) فهو إما قليل معرفة وإما حاسد نعمة . . والذي ينتقص كلمة سيد بتعبير بـ (سيه) سيئة . وشيخ بـ (شخة) كما تقدم فهو كذاك ، إما جاهل أو آثم . فعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه . . لأن كلمة سيد مجازاً على الأشخاص الذين لهم ميزة خاصة كما تقدم ، شيء قرره وأجازه القرآن والسنة . . يضاف إليهما ما ذكرناه من متعلقات ومما يدور حولها من لغة وعرف واصطلاح . والقرآن والسنة فوق الجميع . إن هذه لذكرى وما كنا غافلين - فمع أدب واحترام - تنبهوا يا غافلين .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

معنى كلمة شرك وعبد وتسمية عبد الرسول ونحوه

ومما اتفق عليه تحت أضواء القرآن الكريم أن الشرك خمسة وإن كان اقتصر بعض الباحثين في أقل فإليكه:

١- الشرك بالله سبحانه وقد عرفوه بأنه يعدل بالله غيره ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ من آية ٣٦ سورة النساء. ومعنى ذلك لا تعدلوا به سواه.

٢- الشرك في إجلال كائن حي من خلق الله مع الله ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ من آية ١٠٠ سورة الأنعام. ونحو مقالة طائفة من النصارى بأن الله ثالث ثلاثة كما في آية ٧٣ سورة المائدة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ سماه كفراً تفظيعاً له، مع أن الشرك بألوانه كفر ينقصه فقط إنكار وجود الله.

٣- الشرك الرياء. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ من آية ١١٠ سورة الكهف. معنى يرائي، ذلك لأن العبادة تطلب بها مرضاة الله. فإذا طلب بها مرضاة من يراه.. فيها مثلاً ليقول عنه قولاً حسناً ونحو ذلك فقد أشرك.

ولا يقال له أشرك إذا نهي عن عبادة مثلاً فعملها كصوم العيد ونحوه. وإنما يقال له عاص.

٤- الشرك في الطاعة من غير عبادة، ومنه ما جاء في سورة إبراهيم آية ٢٢ حكاية عن إبليس: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾، ومعنى ذلك بإشراككم إياي مع الله إذ أطعتموني.

٥- الشرك في إحلال معبود عند جماعة من الناس مع المعبود الحق سبحانه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ من

آية ١٩٠ سورة الأعراف. والمعنى جعلا فيه شركاء في ذريتهما، كالأصنام ونحوها، كتسمية بعضهم بـ عبد العزى وعبد شمس. وهذا مما لا شك حرمه الإسلام حتى أن عبد الرحمن بن عوف كان اسمه عبد الكعبة.. وإنما سموه عبد الكعبة لأنها كانت مركزاً للأصنام. فسماه رسول الله(ﷺ) عبد الرحمن (رض).

أما عبد النبي ونحوه فليس من الشرك في شيء. لأن النبي غير معبود وليس بمضل كما تقدم عن ذكر إبليس. وليس بموضوع للضلال كالأصنام ونحوها، بل هو مثال لطاعة الله تعالى وداعياً إليه وطاعته مفروضة فيقصد من عبد النبي والخ.. وكلمة عبد: لغة مأخوذة من التعبيد في قولهم عبدت الطريق إذا وطأته، وذللته ومنه العبودية ولها عدة معان:

١- عبودية ملك وهي لله وحده، وإليها يشير فيما يشير قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، يعني وحدوه فهو المالك الوحيد. وقوله ﴿لله ما في السّماوات وَالأرْضِ﴾. وفي أخرى: ﴿..رَبُّ الْعَرْشِ..﴾ الخ.

٢- عبودية طاعة. وإليها يشير فيما يشير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾ - أي لا تطيعوه - وقوله: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ يعني أطيعوني..

وكون العبادة يراد بها في كثير من المواضيع الطاعة، لا التأليه. هذا شيء جاد حتى في قول عمر (رض): من كان يعبد محمداً فإن محمداً مات. يريد من كان يطيع محمداً.. الخ.

ذلك لأنه لا يوجد واحداً يؤله محمداً(ﷺ) كذلك لا تجد شيعياً واحداً يؤله محمداً(ﷺ) بتسمية عبد الرسول ونحوه.

وإذا كان بعض قليلي العلم أو أهل الغرض الخاص يلصقون تهم العلي الإلهية بهم وهم منهم براء فإن بعض قليلي العلم أو الغرض الخاص يلصقون بجميع المسلمين بعض الذين هم مسلمون فقط بدفتر النفوس أو الهوية بعبارة

أخرى. وهم في معزل عن الإسلام سواء كانوا شيعة أو سنة كمعزل ابن نوح(ع): كما في الآية ٤٢ سورة هود: ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فكذلك يوجد من هذا اللون في مجتمع المسلمين.

٣- عبودية خدمة مصدر خادم وغلمة جمع غلام وسخرة مصدر لمسخر فمما في القرآن الآية ٢٤ سورة الطور: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ أي خدم لهم. وفي الزخرف آية ٣٢: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أي خدماً وعبيداً، كما في التفاسير.

٤- عبودية تمليك وإليها تشير الآية ٣٢ سورة النور: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ يعني مماليككم وعبيدكم.

وهذه الآية وحدها كافية في الرد على من توهم الشرك في قول: هذا عبد فلان، كما تقول القبائل هذا عبد لقين. وذلك عبد جرول، وقول النحاة هذا غلام زيد ونحو ذلك، الخ.

وعليه فللتواضع كما ذكروا ما جاء في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج٤ ص٣١٢ (لا يقل عبدي وأمتي، فكلكم عبيد الله.. ونحوه في صحيح مسلم وأبي داود والنسائي فإنكم المملوكون والرب هو الله) ونحو ذلك. فهذا إما تواضعاً وإما تنبيهاً أن هذه عبودية تمليك لا ملك فتلك لله وحده.

ولم ينكر في عهد النبي(ﷺ) كما لم ينكر على من كتب عن سلمان الفارسي (رض) في أنه كان عبداً لامرأة من اليهود، وعن عمار (رض) ووالديه أنهم كانوا عبيداً لأمية بن خلف ونحو ذلك.. الخ.

وفي عصرنا هذا مثلاً يقال هذا عبد آل النقيب وذاك عبد آل الصباح، أو آل الخليفة وهكذا. فهل يقال هذا شرك؟

كما ويقال: فلان عبد الدرهم والدينار: أي منقاد لهما. وفلان عبد زوجته، ويعنون أنه مطيع لها، ونحو ذلك.. الخ. فهل ذاك يعني أنه يؤدي

الصلاة للدرهم والدينار، وهذا يؤدي الصلاة لزوجته، وليس لله عندما يصلي..؟

نصيحتي للمغالطين أو المتوهمين - مع الرفق والاحترام للجميع - نصيحتي إليهم نصيحة أخ مسلم لأخيه، أن يكفوا عن هذا الهوس ونحوه الذي فرق وما زال يفرق بين المسلمين.. وليتوعوا أن التفرقة لا تأتي بخير. وأن الخير كل الخير في حسن التفاهم وجمع الكلمة.

عليه.. ليس كل من دعي بكلمة عبد لإنسان، يعني أنه يعبده من دون الله ويكون مملوكاً له. ومما يذكر من الأسئلة المؤكدة على ذلك في هذا الباب: يقال الحصان ملك لمبروك، ومبروك ملك - أي عبد مملوك لسيده. أو - للأمير، والحصان ومبروك والسيد والأمير ملك لله وحده.

إن الملك والعبودية الحقيقية لله وحده.. وكل ما ذكرناه بعد ذلك لا يعدو إما الطاعة الخاصة المذكورة، وإما الانقياد وإما التمليك، وإما الخدمة. وليس في ذلك شرك.. فكذلك اسم عبد النبي وعبد علي وعبد الزهراء وعبد الحسين. ونحو ذلك. وكذلك غلام أو غلوم حسين ونحوه. كل ذلك في حدود المعاني المذكورة من الخدمة والطاعة. وقد قرن الله سبحانه طاعته بطاعة نبيه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ﴾ آية ٨٠ سورة النساء. فعبد الرسول يعني مطيع الرسول أو خادمه. وكذلك بالنسبة إلى آله(ع) وليس في ذلك أي شرك.

وفي عرف ما يدعى من باب الأدب والاحترام قول القائل مجازاً لمن يحبه ويطيعه: أنا عبدك، أنا خادمك، والحقيقة هو ليس بعبده أو خادمه.

ومن الأمثلة اليوم لقب العاهل السعودي بـ خادم الحرمين، في حين أنه ملك مخدوم وإذا كان خادماً - كما يفهم من هذا اللقب المشرف - فهل أن خدمة الحرمين شرك..؟

نعم لو سمي أحد من الشيعة مثلاً: باسم عبد الكعبة، أو عبد القبة، أو عبد القبر، أو عبد الضريح. ونحو ذلك لاعتبر شيئاً لا يقره الإسلام.

والشيعة لم يسموا ولن يسموا بذلك لأنهم سائرون على هدى رسول الله(ﷺ) . ومن ذلك مثلاً ما ذكروا من أن عبد الرحمن بن عوف (رض) كان اسمه عبد الكعبة فغيره رسول الله بالاسم المذكور . ولم يغير مثلاً اسم جده عبد المطلب ولم يلزم أحداً أن يذكره باسمه الأصلي - شيبة الحمد - ذلك لأن المطلب له شأن وإليه انتهت الزعامة في وقته وهو أخو هاشم والد عبد المطلب . وقد جاء من أخواله من بني النجار في المدينة وقصته معروفة في كتب التاريخ المعنية وفيما فيها أنه عندما سئل : من هذا الذي معك؟ وكانوا قد نسوا أن لهاشم ولداً هناك . فقال على سبيل الطرفة : هذا عبدي . . وكان شيبة الحمد ملازماً لخدمة عمه المطلب فمضى عليه الاسم عبد المطلب . مع أن المطلب عرفهم بعد ذلك بأن ليس بعبد وإنما هو ابن أخيه .

ولم ينكر رسول الله(ﷺ) ذلك عندما جاء إلى هذا العالم في حين أنه أنكر اسم عبد الكعبة لأن الكعبة حجر ، والمطلب بشر ، له فيما له - الأمرة - بعد الذين تقدموه .

واسمحوا لي أن أقول - مع تقديم اعتذار عمن أقول عنهم - إن إخواننا السنة أجازوا تسمية عبد الكعبة أو مكة ونحو ذلك ولم يجزه الشيعة . . ففي العصر الحاضر مثلاً عندنا في البصرة وبغداد مركزان لأوقاف مكة والمدينة . يديرهما أناس طيبون في سيرتهم وأخلاقهم وهم من العبيد السود المخاصي - وأكرم الناس عند الله أتقاهم لا أبيضهم أو أسودهم - يعرفون هؤلاء بعبيد مكة وعبيد الكعبة ، ويدعونهم للتكريم بـ أغوات مكة في حين أن أغوات مكة أمراؤها وشخصياتها طبعاً .

ويمكن أن يفسر جواز دعوتهم بـ عبيد مكة أو الكعبة - لأن الكعبة في وقت كان فيه عبد الرحمن بن أبي بكر (رض) كانت موضعاً للأصنام ثم طهرت منها - فهي إلى اليوم مركزاً للتوحيد . وبعد فهل من الإنصاف أن يفسر الشيعة ما يصدر من إخوانهم السنة من هذا ونحوه ، تفسيراً حسناً .

وبعض أهل السنة يفسر ضد الشيعة تفسيراً سيئاً ما هو جائز وحسن فيفرض تبديل اسم عبد الرسول ونحوه باسم عبد رب الرسول. متهماً إياه بالشرك. مع أن ذلك ليس بشرك وإنما يراد به الطاعة والخدمة كما تقدم تحت أضواء القرآن والسنة وما إليهما.. الخ.

وعليه. أما آن أن يتدارك ذلك ونحوه من يتجنى على أخيه وأن يعمل بكلمة (انصفوا تنصفوا). وإلا فالحقيقة فاضحة من يغالط فيها والحق يعلو.

جواب عن الاستعانة والنخوة يا محمد أو يا علي ونحوهما

ممن هنا وهنا من حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء ومن أهل الأغراض الخاصة من يغالط أو قد يتوهم في أن من قام أو قعد مثلاً . وقال : يا محمد أو يا علي ونحو ذلك . قال شركاً . إذ التوحيد أن يقول يا الله فقط .

ومجمل الجواب تحت هذه الأضواء هو : أن هذا لون من الاستعانة المجازية لا الحقيقية المعنية بقوله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ونحوها من الآيات . فتلك من الله وحده فلا يستعان بغير الله على أساسها . وفيها جاء القول المأثور : (من استعان بغير الله ذل) . . إلى نحو ذلك مما ورد .

أما المجازية فهي جائزة وليست شركاً وحسبك ما جاء في القرآن والسنة الشريفة .

ففي القرآن مثلاً قوله تعالى في قصة موسى (ﷺ) : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ..﴾ الخ . فهل قال موسى لا تستغث بي أو تستعن بي فإن ذلك شرك ؟ بل استغث بالله واستعن بالله . . ؟ أم أغاثه . . ؟ الجواب : لقد أغاثه وأعانه كما في الآية نفسها قال تعالى : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى..﴾ الخ .

وفي القرآن أيضاً قوله تعالى حكاية عن الإسكندر : ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً..﴾ الخ . والإسكندر هذا على رواية أنه نبي وعلى رواية أخرى أنه عبد صالح . فهل كانت استعانته هذه شركاً . . ؟

الجواب طبعاً كلا . . وإنما صدر منه ذلك في الاستعانة المجازية . . وهي جائزة وليست شركاً . وللذي يقول هذا صحيح لكنه خاص بالاستعانة أو الاستغاثة بالأحياء لا بالأموات . . فإنه مردود أيضاً من القرآن والسنة . .

كذلك. فمن القرآن مثلاً، قوله تعالى: ﴿يا قَوْمَنا أجيبُوا داعِيَ اللهِ وآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أليمٍ..﴾ ويجركم: يغيثكم وينقذكم في التفاسير.. والمقصود بالمنقذ هنا رسول الله(ﷺ). وقد أجمع المسلمون أن دعوة رسول الله(ﷺ) مستمرة حتى قيام الساعة.. فهل يقال: بأنه منقذ في حياته فقط أم هو منقذ بدعوته كذلك بعد مماته وحتى النهاية...؟

الجواب طبعاً أنه منقذ حياً وميتاً..؟ وهذا كذلك في مجال المجاز وإلا ففي الحقيقة المنقذ هو الله وحده. قال تعالى: ﴿وكُنْتُمْ عَلَى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأنْقَذَكُمْ مِنْها..﴾ الخ. وعليه فلا شرك في مجال المجاز في اعتبار محمد(ﷺ) ومن جرى مجراه منقذين أحياءً بجهادهم الشخصي وأمواتاً بما يستوحى من مثلهم العليا وعزيمتهم الفائقة الخالدة. وتقديس الله لهم وجعلهم من المقربين، بما قاموا به من أعمال جسام و.. الخ.

.. ومما يذكر في هذا الباب أن بعض المسلمين يقول في قضية ما: (على الله وعليك يا رسول الله) ونحوها.. الخ. فهذا ليس بشرك أو مساواة بأن يجعل الله وأحد خلقه سواء. فإن مما في القرآن في مثل هذا القول وأمثاله ما جاء في الآية ٥٩ سورة التوبة: ﴿ولَوْ أنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ..﴾ الخ.

فالمعنى المقصود فيما آتاهم رسوله هو ما جاء به من عند الله من توجيه، كذلك الذي يقول على الله وعلى النبي أو أحد آل النبي. فمرجع ذلك إلى ما جاء به النبي من ربه وفي هذا كفاية. ولننتقل إلى:

مما جاء في السنة الشريفة وحسبك ما جاء من قوله(ﷺ) ساعة احتضاره: «أعينوني يا ملائكة ربي». وهذا مما هو مشهور في كتب السير والتاريخ المعنية ونحوها فهل يقال لماذا لم يقل أعني يا الله فقط..؟

ومما روي عن ابن مسعود الصحابي (رض) قوله(ﷺ): إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا. فإن لله عباداً يجيبون.

وفي رواية: يا عباد الله أغيثوني فإن لله عباداً لا ترونهم.

قال إمام الحرمين في كتابه خلاصة الكلام بعد ذكره هذا وذاك ونحوه عن مصادر معتمدة. قال أن الفقهاء ذكروا ذلك في آداب السفر.

وفي كتاب الحصن الحصين لابن الجزري بهامش خزينة الأسرار للنازلي ص٨٤ وكلاهما من أهل السنة: أحاديث نبوية ووصايا للمسافر ما نصه: «وإذا أراد عوناً فليقل يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني».

وذكر مصادر هذا عن صحيح مسلم وسنن كل من الترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك والمصنف لابن شيبة.

وفيه عن ابن ماجه والنسائي والترمذي، ما ذكره بسنده في ص١٠٥ دعاء نصه: (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة. يا محمد إني أتوجه بك إلى الله ربي في قضاء حاجتي هذه فتقضى اللهم فسفحه في).

ومما في الأصل خزينة الأسرار ص١٧٢ ما نصه: (أخرج الطبراني عن عتبة بن غزوان (رض) عن النبي(ﷺ) أنه قال: من أراد عوناً - أي نصراً أو إغاثة أو معيناً أو مغيثاً - فليقل يا عباد الله أعينوني) يكررها ثلاثاً، وقد جرب ذلك وهو مجرب محقق كذا ذكره الفارسي في شرح كتاب الحصن الحصين المذكور.

ومثل هذا كثير. ولا يعارضه ما ذكروا عن أبي بكر (رض) أنه قال: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق. فقال(ﷺ): «إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله» فهذا الحديث لو صح فإنه يعني الاستغاثة الحقيقية لا المجازية. وإلا فمثلاً: هذا بلال (رض) مؤذن الرسول(ﷺ) - كما في الخلاصة لابن دحلان وفي غيره - أنه صح عنه بأنه ذبح شاة عام القحط فوجدها هزيلة فصار ينادي وامحمداه وامحمداه.

وفي كتاب شفاء الأسقام للسمهودي: أن عبد الله بن عمر (رض) خذلته رجله مرة. فقيل له اذكر أحب الناس إليك فقال: وامحمداه. فانطلقت رجله.

وقد يقول القائل: هذا صحيح لكنه خاص بالاستغاثة بالأحياء لا الأموات.

فالجواب هو: أن طلب ذلك إنما جاز من الحي - لما يميز على غيره من طاقات - والله وحده سبحانه خالق الطاقات.. كذلك جاز من الميت الذي خلد ذكره بطاقات من تلك الطاقات التي كان الله قد رزقه إياها. فإنه يستلهم من ذلك المستعين معنوية أو أكثر قد لا توجد في كثير من الأحياء في وقته الحاضر.

ما قولك أيها الأخ المعترض، في العربي في جاهليته وإسلامه حيث أقره الإسلام على ذلك فيما أقره عليه من النخوة في قضية ما.. أنا أخو فلانة، أو أنا ابن فلان.. أليس يريد معنوية النجابة من ذكر أخته. ومعنوية الرجولة في ذكره لأبيه.. أفيقال له أشركت.. لم لا تقول أنا مخلوق الله خالق النجابة والرجولة..؟ أم يقال: هذه نخوة فخر توحي بمعنوية، وتشحذ عزيمته، وتقوي همته.. وخالق جميع القوى هو الله وحده.. ومثل هذا كثير وحسبك قول رسول الله(ﷺ) عندما باشر القتال بنفسه في أحد. أو في حنين. كما ذكره أهل التاريخ والسير المعنيون.

أنــــا النبــــي لا كــــذب أنــــا ابــــن عبــــد المطلــــب

هذا مع أنه(ﷺ) لا يحتاج إلى بعث معنوية.. ولعله أراد بهذا تقرير جواز ذلك لأمته(ﷺ). وإذا كان مثل رسول الله(ﷺ) وهو في المقام العالي لا يرى بأساً في هذا الاتجاه من ذكر شخص ميت هذا المعنى مع أنه دونه(ﷺ) في المقام.. فهل من بأس إذا كان المذكور في المقام العالي بالنسبة للذاكر..؟ وهل ورد تقرير منه(ﷺ) بعدم جواز ذلك..؟

لقد ذكر رسول الله(ﷺ) في تلك الأزمة من هو أخفض مقاماً منه وهو: عبد المطلب. وذلك لمعنوية خاصة. فلو كان ذلك شركاً لما نطق به رسول الله(ﷺ)، ولما قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ الخ.

هذا مثل من نخوة الميت الأدنى من الحي الأعلى - وهي كما تراها جائزة تحت هذه الأضواء - فكيف بنخوة الحي الأدنى بالميت الأعلى مقاماً..؟

كقول الكثيرين من أعيان المسلمين فضلاً عن سائرهم. وفي الصدر الإسلام الأول، فضلاً عما تلاه.

ومن ذلك مثلاً حفيدة محمد المصطفى نفسه وربيبة بيته وبيت خليفته الراشد الإمام علي (ع) أعني زينب بنت علي (ع) في نخوتها واستغاثتها يوم الطف عندما شاهدت مصرع أخيها الحسين (رض) وامحمداه صلى الله عليك مليك السماء هذا حسينك بالعراء.. الخ. كما هو معلوم ومثله كثير، فهل يقال ذلك شرك..؟

ومما يذكر هنا ضرب ثالث من الاستعانة أو النخوة والاستغاثة بهيئة معنوية جاء ذكرها في الكتاب والسنة.

فمما في الكتاب ما جاء في سورة البقرة آية ٤٥: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

ومما جاء في السنة قوله (ص): «نعم المال العون على طاعة الله) وقوله: «الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» ونحو ذلك.. الخ.

فلو كان ذلك شركاً لقال: استعينوا بمن أمر بالصبر والصلاة. ولقال: في هذا لا عون من المال على طاعة الله لأن العون من الله وحده. ولقال: الله في عون العبد ما دام العبد في نطاق عون الله فقط. أفيقال في هذا أو ذاك أو نحوهما شرك..؟

وهاك ضرباً رابعاً من الاستعانة والنخوة أو الاستغاثة، وهو مما في حياتنا اليومية في كل مكان نرى عندما يفزع ضعيف إلى قوي يستعين به على ظالم. أو يستغيث به في أمر ما. كالذي ينادي ملكاً: أغثني يا صاحب الجلالة. أفيقال هذا شرك لأن الجلاله لله وحده..؟

ومما يذكر عند إخواننا السنة في هذا المجال ما هو مشهور في عدد من البلاد.

منها بغداد مثلاً في النخوة المعروفة (عبد القادر شيل الله) يعنون الشيخ عبد القادر الكيلاني (ره) وقد فسر أضدادهم في ذلك أنهم يعنون - والعياذ

بالله - أن عبد القادر شال الله - أي حمله - في قصة منامية يروونها. كما فسر أضداد الشيعة ما فسره من نخوتهم آنفة الذكر.

والحقيقة أن السنة جماعة الشيخ المذكورين ويعرفون بالقادريين أيضاً يقصدون بذكر الشيخ عبد القادر أن يخفف الله شيلهم (حملهم).

ومما يذكر أني سمعت أيضاً كلمة شيل الله هذه من راديو الكويت ساعة ٨ و٤٥د صباح الجمعة ٣٠ شوال ١٤٠٧هـ ٢٦/ ٦/ ١٩٨٧م نخوة برسول الله(ﷺ) هكذا: (هي يا الله شيل الله يا رسول الله). وإلى آخر ما هنا وهناك مما يطول الحديث أكثر فبهذا فوق الكفاية.

ولقد تجلى من مجموع ما تقدم، أن الاستعانة بغير الله حقيقة شرك. ونحن مع من يقول كذلك. وفي المجاز جازت الاستعانة على النحو الذي تستلهم به المعاني العالية والطاقات المتميزة، في الأشخاص الذين يستعان بهم حضوراً أو غياباً. . كـ يا محمد أو يا علي. . ونحو ذلك. . الخ.

وإذا كان كما في حديث نبوي مشهور - نعم المال العون على طاعة الله - فأكثر من نعم العون: المستعان بهم من وهبهم الله وحده تلك المواهب والطاقات في حياتهم والمعنويات بعد مماتهم وليس في ذلك أي شرك فقد اتضح ذلك تحت هذه الأضواء. نعوذ بالله من الظلام ومن المتخبطين به.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن القسم واليمين أو الحلف بالله. وهل يجوز بغيره..؟

القسم وما إليه على أربعة:

١- قسم الخالق سبحانه بما أو من شاء من خلقه ليعجب به المخلوقين ويعرفهم من قدرته العظيم عظمة شأن ما يقسم أو من يقسم به ولدلالة ذلك عليه.. كما قال هذا القسطلاني شارح صحيح البخاري ونحوه من العلماء والباحثين.. الخ.

ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. وقوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا..﴾ الخ. و﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ..﴾ الخ.. كما أقسم سبحانه بنبيه محمد(ﷺ) مخاطباً إياه بقوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ..﴾ فهل يقال هذا شرك.. ومصدره الله سبحانه وتعالى..؟

٢- قسم المخلوقين بالخالق سبحانه وحده لا شريك له.. القسم الذي يترتب عليه الأثر الأكبر بما في ذلك الكفارة الخاصة به على من أحنث.

وقد أوردته فيما أوردته منظوماً في أرجوزتي الألفين الفقهية في ١٥ بيتاً في ج٢ ص٩٨ - ٩٩ منها:

قولك (والله أتاكم مجرم) ... يمين أخبار وكذباً يحرم

وهو مؤكد ونحوه الطلب ... (بالله إفعل ذا) وذا لا يحتسب

والثالث البناء فيه أكدا ... كقولهم (والله نأتيكم غدا)

وذا هو -المقصود- وهو ينعقد ... باللفظ في شتى لغات اعتمد

لفظ الجلالة استوى والحسنى ... أسماء ربنا ولفظ يعنى

بقسم نحو (وحق الله) أو ... (وأقسمت بالله بأن كذا) رووا

إلى آخر الأبيات. وفيما فيها شروط وأحكام.. الخ، حول هذا القسم أو اليمين المسؤول. فقد ورد اللغو فيما ورد من قسم أو يمين غير مسؤول. ذكرتهما معاً الآية الكريمة: ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ..﴾ الخ.

٣- قسم المخلوقين بعضهم ببعض وهذا على لونين:

الأول: هو ما يجري على ألسنتهم كسائر الكلام من غير أن يقصد به ذلك القسم المسؤول، كما قال ذلك العلماء الباحثون ومنهم القسطلاني والنووي من شارحي صحيحي البخاري ومسلم (ره) ونحوهما وكالبيهقي صاحب كتاب السنن الذي يعد في الصحاح الستة، ونحوه.

والثاني: هو - على ما يبدو - ما يقصد به تعريف قدر الشيء وموضعه بين المخاطبين دون أن يقصد ذاك القسم وما يترتب عليه.

ومنه مثلاً، ما ذكره مسلم في صحيحه ج٤ ص٤١٩: أن رجلاً جاء لرسول الله(ﷺ) وقال له: أي الصداقة أعظم؟ فقال(ﷺ): أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح.. الخ.

وفيه أيضاً وفي موطأ مالك وغيره في قضية لأبي بكر (رض) وسارق حلي ابنته إذ قال له: أما وأبيك ما ليلك بليل سارق..

وفي أحد كتب الإمام علي لمعاوية قوله: ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لعلمت أني من أبرء الناس من دم عثمان.

وفي أحد كتب معاوية لعلي قوله: فإن كنت أبا حسن تحارب من الإمارة والخلافة فلعمري لو صحت لكنت قريباً من أن تعذر.

ومن التائبين مثلاً: عبد الله بن عمر العنسي وكان من عباد زمانه لما سمع بأن عمار تقتله الفئة الباغية تحول إلى معسكر الإمام علي وحدثهم بذلك وأنشد أبياتاً منها كما في كتاب صفين: لنصر بن مزاحم، ونحوه:

والراقصات ركب عامدين له إن الذي جاء من عمرو

ومثل هذا كثير بما في ذلك ما يكون في قبر لصاحبه شأن عظيم.

ومن ذلك مثلاً: ما جاء في سند الإمام أحمد (ره) عن عائشة (رض) قال لها مسروق (رض): سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله(ﷺ) في حق الخوارج.. ؟ الخ. فهل يقال لمسروق الصحابي (رض) أنه مشرك.. ؟ أم يقال لعائشة أم المؤمنين (رض) مشركة.. ؟ أم يقال لعلي بن الحسين الأكبر(ع) الذي اعترف له معاوية بأنه حقيق بالخلافة. فقد أقسم علي الأكبر يوم الطف بالبيت الحرام بقوله المثبت عند جميع المؤرخين:

أنا علي بن الحسين بن علي　　　نحن وبيت الله أولى بالنبي.. الخ

والواو في (وبيت الله) واو القسم يعني: نحن وحق أو وشأن بيت الله. فهل يقال هذا شرك؟ وهل يقال شرك للذي يقسم مثلاً بالحسين أو العباس على هذه الأسس بما فيها قسم الله بمحمد(ﷺ) كما تقدم في (لعمرك.. الآية وبالحسين(ع) كما فيه محمد(ﷺ) حسين مني وأنا من حسين، وبما فيها.. أعني هذه الأسس، قسم الله بوالد وما ولد. وقد فسروا ذلك بإبراهيم وآل إبراهيم. طبعاً ممن يليق بهم القسم من الطاهرين والطيبين لا غيرهم. وآل محمد هم صفوة آل إبراهيم بلا خلاف فهل يقال لمن أقسم بأحدهم على هذه الأسس من الكتاب والسنة وما إليهما: هذا شرك.. ؟

أجبنا على هذه الأسس لا على أسس الهوى يا من يقول هذا شرك.

قل في هذه ونحوها. ألف مرة شرك.. شرك.. فإنك تتعب نفسك إذ لا يكون ذلك شرك بمجرد قول قائل على غير هدى. فالهدى هدى الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم. والسنة النبوية التي قال فيها صاحبها(ﷺ): من رغب عن سنتي فليس مني.

أما القسم بالنبي(ﷺ) نفسه فقد قال الإمام الشعراني من إخواننا السنة في كتابه الميزان: أن الإمام أحمد بن حنبل (ره) تجوز الحلف بالنبي وأنه ينعقد - يعني مسؤول كما عبرنا عن القسم بالله سبحانه - قال: وأنه يلزم الكفارة

بالحنث - يعني كالقسم بالله - وأنه لكذلك عند المذاهب الآخرين . . وكذلك عند الشيعة عدا البراءة فيحرم الحلف بها ولكنه لا ينعقد بغير القسم بالله . ولا تسقط به الدعوى . يعنون القسم بالنبي(ﷺ) .

وعلى هذا فالشيعة من أشد الناس التزاماً بالقسم بالله وحده لا شريك له . . ولا يقسمون بغيره إلا بما جاء من قسم المخلوقين بعضهم ببعض كما تقدم من ذكر ذلك من كتب إخوانهم السنة والمذاهب الأخرى .

إن الأحاديث المذكورة في كون من أقسم بغير الله فقد أشرك . . فإنها لا تتعارض بما تقدم من ذكر جواز ذلك من الأحاديث النبوية نفسها وسيرة النبي والآل الصحابة والتابعين . فهي - كما قال المحققون من أهل الحديث - من أحاديث التغليظ والتهويل والتحذير ، وإلا لما جوز القسم بغيره عن طريق كتابه وسنة نبيه وما إلى ذلك ما تقدم ذكره .

وأحاديث التغليظ كثيرة ، فمنها مثلاً : لئن يلقى العبد ربه يوم القيامة سارقاً زانياً بأمه وسط الكعبة متمسحاً بأستارها سبعين مرة خير من أن يلقاه وقد أكل درهماً من ربا .

ومثلاً حديث للإمام علي(ع) : من قبل غلاماً بشهوة فإنما قتلني بالسيف سبعين مرة . ونحو ذلك للحد من تيار المعاصي ، كالمسارعة إلى الربا والاسترسال في تقبيل الغلمان ونحو ذلك . . الخ .

وعليه فللحد من تيار القسم بغير الله سيما والقوم حديثو عهد بجاهلية جاءت تلك الأحاديث وإلا لما كان القسم على أربع . كما تقدم ذكره تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة ، وما إليهما .

١ - قسم الخالق بما شاء من خلقه - فهل يقال - ذلك شرك . . ؟ وقد ذكر ما جاء منه في القرآن .

٢ - قسم المخلوقين بالخالق سبحانه وحده لا شريك له وهو القسم المسؤول . . لا اللغو غير المسؤول .

٣- قسم المخلوقين بعضهم ببعض. . كما تقدم ذكر ذلك من الأحاديث والسيرة النبوية والآل والصحابة والتابعين. والمذاهب والعلماء وكتب الصحاح ونحوها. . مما يذهب قيمة من يقول هذا شرك أو كفر. . وأن في هذا لتبصرة ومن أبصر فلنفسه.

٤- ما يدرج في موضوع التوسل من قسم. مثلاً بصيغة: (بحق أو بجاه فلان) أي أقسم و. . الخ. فإلى الموضوع التالي في التوسل وما إلى ذلك تحت هذه الأضواء.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

عن معنى بدعة وصلاة التراويح وتطرق إلى المأتم الحسيني

مما في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ من آية ٩ سورة الأحقاف.

وقوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلْنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ الله..﴾ - إلى قوله - ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ..﴾ من آية ٢٧ سورة الحديد.

مما جاء في التفاسير للآية ﴿ما كُنْتُ بِدْعاً﴾، لست بأول رسول فتنكروا نبوتي. كما في موجز البيان. وجاء في تفسير المؤمنين ص١٠٤: «لست إلا رسولاً يسير على سنة الرسل السابقة ويجمع بيننا إننا جميعاً نسير على درب واحد..».

وقبل التحدث بعد هذا عن معنى بدعة لا تفوتنا الإشارة إلى ما يتوهمه بعضهم من أن الشيعة مبتدعون مثلاً في إقامة المأتم الحسيني وما إلى ذلك - مما سيأتي في موضوع خاص به - أن ذلك ليس بدعاً، ولا بدعة.

ليس بدعاً لأن ذلك سبق في سنن الأنبياء حتى سنة محمد(ﷺ) كما سيأتي.

وليس بدعة لأنه خارج عن تعريف البدعة. كما سأذكره بعد قليل.

فبين أيدينا الآن بعد الآية السابقة، الآية التي فيها جملة ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها﴾. ﴿ثُمَّ قَفَّيْنا عَلَى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا﴾ وهذا مؤيد ما جاء في الآية الأولى من معنى ﴿وَقَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْناهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

نستفيد فيما نستفيد من هذه الآية ثلاثة أمور:

١ - اتباع الأنبياء. فالشيعة في ذلك ونحوه إنما هم متبعون كذلك كما سيأتي.

٢ - و٣ - صفتان من الصفات الحميدة في الدرجة الأولى وهما: الرأفة والمودة.

وهل تلك المظاهر المأتمية إلا من دوافع حميدة بما فيها الإعراب عن الرأفة والرحمة والمودة لأهل البيت(ﷺ) الذين أمر الله بمودتهم فيما أمر بقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ آية ٢٣ سورة الشورى.

ولا ينسى أن الله سبحانه وصف نبيه(ﷺ) - أعني الرأفة والرحمة - في قوله: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ آية ١٢٨ سورة التوبة.

وكان مما قاله سبحانه: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ الخ آية ٢١ سورة الأحزاب.

وتأتي بعد جملة ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ جملة ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ﴾.

جاء في التفاسير: الرهبانية تلك هي الانقطاع لله بعيداً عن كل شيء من الملاذ.. الخ.

وقوله: ﴿ابْتَدَعُوها﴾، معناه اخترعوها من أنفسهم ولم تفرض عليهم من قبل.

ثم بين الهدف منها وهو ﴿ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ﴾ وهو عين الهدف من مجالس الذكرى الحسينية (المأتم).

١ - فريق يؤتيهم الله أجرهم وهم المؤمنون لقصدهم ابتغاء رضوان الله، قال تعالى: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾.

٢ - فريق لا يصيب شيئاً من الأجر وهم: الفاسقون. تشير إليهم الآية في ختامها بجملة: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾.

وتحت هذه الأضواء يتبدد اتهام كل هؤلاء بما يشين، ففيهم الشين وفيهم الزين، في نشاطات ابتدعوها. لم تكن مكتوبة عليهم - أي غير مفروضة - وكان قصدهم ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وأنتقل وإياك ما وعدتك به من التعرف على:

معنى بدعة:

البدعة لغة - كما في المنجد والميسرة العربية - ما يؤخذ على أنه من الدين وليس منه. وقال فيمن قالوا ومنهم مؤلفو الميسرة: أطلقت البدعة ونحوها على مخالفة السنة وما لم ير عليه النبي(ﷺ) كحلق اللحية، وكان يحفها.

وفي التعريفات للجرجاني ص٩: هي الفعلة المخالفة للسنة، سميت بدعة لأن ما فيها ابتدعها من غير مقال إمام. والبدعة هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي.

وفي دستور العلماء للقاضي البكري ج ص ٢٣٢ ما نصه: (البدعة هي الأمر المحدث وفي شرح المقاصد البدعة المذمومة هي المحدث في الدين من غير أن يكون في عهد الصحابة والتابعين ولا عليه دليل شرعي، ومن الجهلة من يجعل لكل أمر لم يكن في زمن الصحابة بدعة مذمومة. وإن لم يقم دليل على قبحه تمسكاً بقوله(ﷺ): إياكم ومحدثات الأمور. ولا يعلمون أن المراد بذلك أن يجعل في الدين ما ليس منه).

وأتبع هذا بقوله ما نصه: (وقال مولانا داود: أن من الجهلة لا يعلمون أن البدعة خمسة أقسام: ١- واجبة ٢- محرمة ٣- مندوبة ٤- مكروهة ٥- مباحة.

وذلك أنها إن وافقت قواعد الإيجاب فواجبة، أو قواعد التحريم فهي محرمة، أو المندوب فهي مندوبة أو المكروه فهي مكروهة، أو المباح فمباحة.

١- الواجب كالاشتغال بعلم النحو والأصول إذ بهما حفظ الشريعة وحفظ الشريعة واجب. وما لا يتم الواجب إلا به فواجب.

٢- ومحرمة كمذهب الجبرية والقدرية ونحوهما.

٣- والمندوبة كإحداث المدارس والكلام في وثائق التصوف ونحوه.

٤- والمباحة كالتوسيع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، هؤلاء - الجهلة ونحوهم - وهؤلاء المتمردون لا يميزون بين هذه الأقسام ويجعلون جميع ذلك من المحرمات.. وهل هذا إلا نقمة وضلالة..؟

ولأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس. الكتاب الذي عليه مقدمة الأستاذ الاستانبولي وترجمة مؤلفه بقلم الأستاذ الطنطاوي الذي فيما قال عنه عن البداية والنهاية أنه برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحو من ٣٠٠ مصنفاً وكتب بيده نحو من ٢٠٠ مجلداً وله في العلوم كلها اليد الطولى.. الخ، ونحوه ما ذكره عن ابن كثير والذهبي وذكر عن ابن تيمية أنه قال عددت له أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك ما لم أره.. الخ. قال الطنطاوي وهذا موجود في الذيل لابن رجب (١: ٤١٦) وكان ابن الجوزي خطيباً إلى أعلى درجة في زمانه تحدث عنه ابن بطوطة وغيره أنه حضر مجلسه حوالي مائة ألف، بمن فيهم الخلفاء والملوك والوزراء ومختلف الطبقات.

وذكروا عنه ما يطول ذكره وهو كذلك.. فلنستمع إلى غزير العلم هذا. لقد قال ما به الكفاية ما نصه: «البدعة عبارة عن فعل ما لم يكن فابتدع والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان. فإن ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها كان جمهور السلف يكرهونه وينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وهو الاتباع.. وقد قال زيد بن ثابت لأبي بكر وعمر (رض) حين قالا له: اجمع القرآن. قال: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله..».

يعني - بحسب هذه الرواية لو صحت - يريد أن يبقى القرآن غير مجموع بين دفتين.

هذا مما ذكروه عن العصر الإسلامي الأول . . أما مما ذكروه عن العصور التي تليه حتى اليوم عند بعضهم أيضاً . من ذلك ما قالوا بأن التذكير والترحيم بدعة لم يكونا في عهد النبي(ﷺ) هذا مع العلم بشمول رجحان ذكر الله والصلاة على النبي(ﷺ) ونحو ذلك إضافة إلى مكان قوله تعالى : ﴿وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً..﴾ .

إن البدعة – كما في تعاريف المراجع والأعلام من الشيعة والسنة – لا تكون بدعة إلا إذا فعلت بعنوان أنها من الدين . . وجاء في فقه الإمام الشافعي (ره) . أن البدعة اثنان : بدعة ضلال ، وبدعة هدى . لا تصادم المشروع فلا مانع منها . .

ولنعود إلى صاحب الكتاب المذكور آنفاً – أعني ابن الجوزي (ره) – فإنه لم يفته كما لم يفت نحوه من كبار الباحثين أن يبين موقفه فيما يتخذ في هذه المسألة .

أنه بعد ذكره لما تقدم مما أوردته لك بنصه وهو في ص١٦ من الكتاب المذكور قال في ص ١٧ منه ما نصه : « . . قد بينا أن القوم كانوا يتحدرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد مرت محدثات لا يصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً . كما روي أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحداناً وكان الرجل يصلي فيصلي بصلاته الجماعة فجمعهم عمر بن الخطاب (رض) على أبي بن كعب (رض) فلما خرج فرآهم قال : نعمة البدعة هذه . لأن صلاة الجماعة مشروعة . وإنما قال الحسن في القصص نعمة البدعة كم من أخ يستفاد ودعوة مستجابة لأن الوعظ مشروع ، ومتى أسند المحدث إلى مشروع لم يذم» .

وعليه فكذلك هذا مما يؤيد كون المجالس الحسينية ليست بدعة تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليه فلم ير بأس بها . لأن الوعظ مشروع والذكرى مشروعة أيضا –كما سيأتي– وكمن من أخ يستفاد ودعوة مستجابة . . ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم .

وجاء في كتاب دستور العلماء ج٢ ص١٨٦ للقاضي الأحمد بكري وهو من أعلام الأخوة السنة بأن صلاة التراويح سنة من سنن الصحابة (رض) فلا يلام من جاء بها ولا يطالب من تركها. لأنها ليست من سنة رسول الله(ﷺ).

عليه فليحجز الأخوة عن الطعن في المجالس الحسينية.. الحاجز الذي حجزهم عن الطعن في صلاة التراويح بأنها سنة الصحابة (رض) محترمة. فلينظر إليها - على حد نظرهم - كسنة لأهل البيت(ﷺ) محترمة. وإن لم يقل مذهب أهل البيت(ﷺ) بسنة غير سنة جدهم رسول الله(ﷺ) وإنما هي عندهم من باب الوعظ المشروع والذكرى النافعة المشروعة.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن أسس إقامة المأتم أو المجالس الحسينية

في ختام الموضوع السابق، تجلى بكل وضوح تحت أضواء الكتاب والسنة أن المجالس الحسينية ليست بدعة تذم. بل تحمد لأنها مسندة إلى أصل مشروع هو الوعظ وأخ مستفاد ودعوة مستجابة.. الخ فإليك هنا مما هو مرادف للوعظ في الأصل ألا وهو الذكرى وتشمل مجالس المواليد أيضاً.

والوعظ - عزيزي القارئ اللبيب - ترادفه الذكرى. ومن الآيات التي وردت في ذلك قوله تعالى: ﴿.. وَجاءَكَ فِي هذهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ..﴾ آية ١٢٠ سورة هود.

وفي القرآن الكريم ٢١ آية فيها كلمة ذكرى فضلاً عن الصيغ الأخرى لما يتعلق بكلمة ذكرى.

وتكفينا فيما تكفينا هنا من الآيات ما تتحدث عن الذين شرفهم الله بما شرفهم به نتيجة سبق علمه بأنهم يأتون من الأعمال.. أو أتوا فعلاً من الأعمال ما كان لهم به الشرف عنده وما إلى ذلك ومنها مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ﴾ آية ٤٦ و٤٧ من سورة ص. لاحظ أن التحدث عن هؤلاء ذكرى مجيدة.

وقوله فيمن أنعم عليه من الأنبياء بالأهل وذوي المودة وما إلى ذلك: ﴿وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ﴾ آية ٨٤ سورة الأنبياء. وفي سورة ص آية ٤٣: ﴿وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا وَذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ﴾.

لاحظ أن الآيتين يجمعهما إطار واحد في ذكريين: ذكرى للعابدين وذكرى لأولي الألباب (العقول). وقوله تعالى في سورة هود آية ١١٤:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ جعل التحدث عن عمل الحسنات وأنهن يذهبن السيئات، ذكرى للذاكرين.

إلى نحو هذه الآيات وغيرها مما تتحدث عن قصص أهل الشرف وعن نعم الله وعن عمل الحسنة واجتناب السيئة.. الخ. وهل المجالس الحسينية إلا قائمة على ذكر قصة الحسين (ع) وما يدور حولها من موعظة وذكرى للذاكرين..؟ على أساس ما رسمه القرآن والسنة.. الخ بما في ذلك الحزن والبكاء وما إليهما. وسيأتي ذكر ذلك في الموضوع القادم.

وبقدر ما تزداد أهمية الذكرى. تزداد أهمية مجالس الذكرى هذه.. بما في ذلك كون هذه الذكرى ونحوها للتقوى التي هي خير الزاد. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

ومما جاء في القرآن – التهديد الموجه إلى رفض الذكرى ونعته بالشقوة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى..﴾ الخ، آية ٩ – ١٢ من سورة الأعلى.

ومما جاء كون من يقبل الذكرى هو إنسان طبيعي محمود ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ آية ٣٧ سورة ق.

اقرأ هذه الآيات ونحوها بتأمل وأمعن النظر في المجالس الحسينية المهذبة. تجدها كذلك. ولذلك من المناسبة إضافته مثلاً كون إقامة تلك الذكرى داخلة في معنى شعائر، وقد جاء ذكر كلمة شعائر في أربع آيات فاليكها وتفسيرها من موجز البيان المصحح من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

١ – في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من آية ١٥٨ سورة البقرة. جاء في التفسير المذكور: شعائر الله علائم دينه، ونحو ذلك من التفاسير الأخرى.

٢- في قوله تعالى : ﴿لا تُحلُّوا شَعائرَ اللهِ﴾ آية ٢ سورة المائدة . لا تتهاونوا بها .

٣- ﴿ذلكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائرَ اللهِ فإنَّها مِنْ تَقوَى القُلُوبِ * لَكُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ آية ٣٢ سورة الحج ، وفيها قالوا أنها الهدايا التي تهدي في الحج للذبح وتعظيمها اختيارها سماناً .

٤- قوله : ﴿وَالبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائرِ اللهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ﴾ آية ٣٦ سورة الحج . ومعنى البدن ما يهدى للكعبة من الإبل سميت بذلك لعظم بدنها هي من شعائر الله التي شرعها لكم فيها خير ديني ودنيوي ، كذا في التفسير المذكور ونحوه .

ولا ننسى بالمناسبة ما جاء فيها ما يشمل نحوها كمن يذبح ذبيحة لوجه الله - كما سيأتي في الموضوع المعنون بالذبح . . الخ . فما جاء في الشعائر المذكورة من قوله تعالى : ﴿لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ﴾ . آية ٣٧ سورة الحج . وأن التقوى لها ارتباط وثيق بالذكرى . قال تعالى : ﴿وَلكِنْ ذِكْرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ . كما تقدم الاستشهاد بهذه الآية ، في الحديث - في هذا الموضوع - عن الذكرى .

وعليه ، أليست المجالس الحسينية أسست إعلاماً لدين الله . وما يكون كذلك فلا يتهاون به . كما وهي موعظة قائمة على أصل الموعظة المشروعة وذكرى قائمة على أصل الذكرى .

وفي كتابي كفاية الخطيب وقد طبع ٤ مرات مما تجده على هذه الأسس واعتراف الأباعد والأقارب وتبديد كل الأوهام والمغالطات التي وردت من بعضهم ضدها حيث تتجلى الحقائق بما فيها ما أشرت إليه بقولي :

غمر التطور عصرنا فتفتحت ... للدين والدنيا به أبواب
ومجالس الذكرى بعاشورا بها ... بهدى النبي ثقافة وثواب

. . الخ

ومما جاء في هذا الشأن ما أجاب به الدكتور الشرباصي الأستاذ في الأزهر الشريف في كتابه يسألونك ج ص ٥٣٣ ما نصه: «عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وفيه يتذكر المسلمون استشهاد الحسين بن علي (رض) وهي ذكرى جهاد واستشهاد والذكرى تنفع المؤمنين». وبهذا هنا كفاية.

لماذا بناء حسينيات مع وجود مساجد

اقرأ - عزيزي القارئ - أولاً موضوع تشييد البنايات لتذكر المقبول وغير المقبول تحت هذه الأضواء ثم اقرأ ما يلي:

مما يعبر به عن الحسينيات أو المجالس والمآتم الحسينية. كونها نوادي. وبعبارة أخرى قاعات للذكرى والمحاضرات وما إلى ذلك وقد تقدم في الموضوع السابق عن كلمة ذكرى وما إليها تحت هذه الأضواء أيضاً.

أما اتخاذ مجالس خاصة بها وما إليها من مداولات ومذاكرات.. الخ، فما المجالس الخاصة بذلك ونحوه واستقلالها عن بيوت العبادة بنكر. بل على العكس من ذلك. فهو محبب في الإسلام بما في ذلك ما أقره منها في الجاهلية؛ كدار الندوة في مكة فهي خارج البيت الحرام وفي الإسلام كسقيفة بني ساعدة في المدينة خارج المسجد النبوي، ولم ينه الإسلام إلا عن منكر يمارس في أي ناد كان أو مجلس، قال تعالى في توبيخ قوم شعيب(ع) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ آية ٢٩ سورة العنكبوت. فيما ذكر عنهم المفسرون أنهم كانوا يتضارطون.. و.. الخ.

ومما جاء في القرآن في التحلي بالآداب، في المجالس ما جاء في الآية ١١ سورة المجادلة ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..﴾ الخ.

وكان النبي(ﷺ) - على ما يبدو - من بعض الآيات القرآنية قد اتخذ له أكثر من مجلس خاص خارج المسجد كالآية ٥٣ الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ..﴾ الخ.

وكالآية ٤ سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ..﴾ الخ.

كما اتخذ في مكة من دار الأرقم بن الأرقم مجلساً له. جاء ذكر هذا ونحوه في السيرة النبوية. و.. الخ. وكان الإمام علي(ع) قد اتخذ مجلساً خاصاً له في الكوفة خارج مسجدها ويدعى بـ دكة القضاء. كما اتخذ الحسين(ع) من دارهم المعروفة في مكة بدار عقيل مجلساً له. و.. الخ.

وعليه لما كان المسجد للعبادة وذكر محمد وآل محمد عبادة لمكان ذكرهم في الصلاة حتى قال الإمام الشافعي (ره) كما في الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٤٨ ط م.

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وإن ذكر سيرة محمد وآل محمد وذكر سير آخرين بالأثناء وقصص وأخبار مختلفة قد يجر إلى جدال وخصومات وأحياناً إلى أكاذيب ومغالطات وتهديدات، وكذلك دخول بعضهم المسجد جنباً أو وسخاً. وقيل: وقال وكل هذا ونحوه منهي عنه أشد النهي في المساجد، فكان بناء الحسينيات لصيانة المساجد بما لا يليق بها ولتؤدي من بين ذلك:

١- عبادة نابعة من ذكر محمد وآل محمد(ص).

٢- ذكرى نافعة.

٣- دروساً مفيدة، انتبه لها الأباعد فضلاً عن الأقارب كمسيو ماربين الألماني مثلاً ففيما قال في كتابه (الإسلام والمسلمون) ما حاصله (حضرت تلك المجالس ومعي مترجم فإذا هم يقولون فيما يقولون الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا ومن تجب طاعته ومتابعته علينا. اختار الموت بعزة على الحياة بذلة. وكان وما زال مثلاً أعلى في الصبر والأخلاق الكريمة والشجاعة والعلم والتضحية في سبيل الحق و.. الخ. فإن كنتم تحبون الحسين فسيروا على نهجه إلى قوله: فرأيت بعضهم يدرس بعضاً وهذا مما تكافح من أجله الشعوب.. الخ.

. . على أن الشيعة في حال عدم وجود حسينية لجماعة منهم أو مكان مناسب لتلك المجالس الحسينية يلتجئون مؤقتاً إلى إقامتها في مسجد وهم في طلب حسينية لتصون المسجد عما قد يفرط منهم ما لا يليق به - كما تقدم - ولتخرج الحسينية أو المجلس الحسيني من ثمرات العبادة والذكرى والدرس ما يخرج رغم ما قد يحدث من مغاير فهو ينطبق عليه فيما ينطبق وصف الآية ٦٦ سورة النحل: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾.

جواب عن إنشاد الشعر واتخاذ النوادي والرباطات

مما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ - إلى قوله - ﴿إِلاَّ الَّذِيـــنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.. الخ آية ٢٢٧ سورة الشعراء. استثنى هؤلاء ممن يذمون من الشعراء.

وعليه فإن الشعر القائم على الإيمان بالله والعمل الصالح هو المطلوب في الإنشاد لما فيه من محتوى ومن مضمون في ذلك.

ولهذا كان رسول الله(ﷺ) يستنشد الشعر ويقر من ينشده وقد حفل عصره(ﷺ) بعدد من الشعراء المؤمنين كعبد الله بن رواحة وحسان وكعب (رض) ونحوهم. ومن الشاعرات المؤمنات كالخنساء ونحوها. وكان مما قاله(ﷺ): أن من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحرا ولا مانع من اتخاذ النوادي له، لا لسواه، وما إلى ذلك من منكرات. كما جاء في المنحرفين من قوم شعيب(ﷺ) قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَـــرَ﴾ آية ٢٩ سورة العنكبوت. ففيما جاء في التفاسير أنهم كانوا يتضارطون.

والنادي لغة: المجلس. ومنه ما جاء في سورة مريم آية ٧٣: ﴿وَأَحْسَـــنُ نَدِيًّا﴾ أي أحسن مجلساً.

وأي مجلس أحسن من مجلس يذكر الله فيه كثيراً سواءٌ كان في شعر أو نثر.

والندوة: الاجتماع للمشورة ودار الندوة بمكة بناها قصي أحد أجداد النبي(ﷺ) لأنهم يندون فيها أي يجتمعون.

والنادي جمع أندية، ومنه الحديث (متعرض المقال في أندية الرجال).

والمجلس أو النادي يجتمع فيه لأمر طارئ أو لمناسبة معينة. يسمى محلف وحفل. كالاجتماع بمناسبة عرس مثلاً فيقال حفل عرس ونحو ذلك.. الخ.

والمكان الذي يجتمع فيه الدراويش وأهل الطرائق يسمى محفلاً. ويقال له أيضاً تكية ورباط من ربط أي شد ومنه الدعاء وربط الله على قلبه واستعمل في ثغر يدفع عمن وراءه ممن أرادهم بسوء.

وفي حديث عن النبي(ﷺ) وقد سئل عن الرباط فقال أسباغ الوضوء في السبرات ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة فذلكم الرباط.

وعليه فكل ما قام على هذه الأسس من مكان يجتمع فيه فهو مقبول.

جواب عن مجالس أو حفلات المواليد النبوية

وهذه مما سألني عنها عدة أشخاص في دبي والشارقة فضلاً عن غيرها والجواب هو:

وكما أن المجالس الحسينية - كما تقدم - فالمواليد قائمة على أصلين مشرعين هما: ١ - ما قصه القرآن من أخبار مواليد الأنبياء وغيرهم. ٢- ما يتبعه من السنة الشريفة وما إلى ذلك.. الخ. إذ تقام مجالس المواليد في خمس مناسبات. الأولى: في ذكرى مواليد كل من النبي أو أحد الأئمة من آله(ﷺ) والثانية والثالثة في حفل عرس أو ختان. والرابعة: كنذر قربة إلى الله. والخامسة: لسفر حج أحدهم وزيارة مدينة المحتفل بذكر ميلاده وعلى رأسها ذكر الله به تطمئن القلوب. يقام الحفل في بيت الحاج المسافر ويدعى له ولمن معه بالعودة إلى الوطن سالمين وفيما في المواليد تذكير ما لله وأنبيائه وآياته وفوائد ذلك وثواب ذكره. وتتألف تلك المجالس من خمس مواد:

١ - قصة المولد وما إليه من أخبار. ٢ - رفعة الذكر ورفع الصوت بالصلوات.

٣- مدائح نبوية. ٤- ما يسمى بـ الجلوات، أشعار فيها شيء من الغزل والنسيب مركزة على مدائح نبوية بطرائق خاصة تردد البيت الأول جماعة حول منشدها وهم إما جلوس أو وقوف بترنح لاستحسان مضامينها وطريقة إلقائها. ٥- الصلوات والدعوات بالخير والبركات. وكل هذا له أسس من القرآن والسنة.

أما القرآن فقد جاء فيه ذكر عدد من قصص المواليد وما إليها من أخبار، فمثلاً من ذلك قصة:

١ - إبراهيم وولده إسحاق(ع) ﴿وبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ..﴾ الخ آية ٢٨ و٢٩ و٣٠ سورة الذاريات ونحوها من سور أخرى بصيغ مختلفة بعضها مضافة بخبر ولادة أخرى. كالآية ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ و. . الخ.

ومن أهداف ذلك عرض جانب من قدرة الله غير المحدودة بما حدده في الطبيعة وذكر توالي نعمه.

٢- ميلاد موسى(ع) ومن ذلك مثلاً آية ١٠ سورة القصص: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ . . . الخ. وفي آية ٧: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ..﴾ الخ. ونحوها في سورة طه آية ٣٩ ومما فيها: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ..﴾ الخ. وفي القصص آية ١١ - ١٣: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ..﴾ الخ. وهذا من أهداف قصة هذا المولد.

٣- مولد مريم(ع): ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ و..﴾ الخ.

٤- قصة ميلاد المسيح(ع): ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ - إلى شرح قصة الميلاد ومكانه وهز جزع النخلة وتساقط الرطب وتكلم موسى في المهد و. . الخ. بما في ذلك ذكر الهدف ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾. لاحظ سورة مريم، وسورة آل عمران ونحوها. . الخ.

٥- قصة زكريا ومولد يحيى(عليه السلام): ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى..﴾ الخ. والهدف إبراز جانب من جوانب قدرة الله تعالى: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ لاحظ سورة مريم ونحوها أيضاً.

٦- قصة مولد الإنسان. أي إنسان: ﴿حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين..﴾ الخ. آية ١٤ سورة لقمان. وفي آية أخرى: ﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً..﴾ الخ، والهدف ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ ونحوها.

٧- رفعة الذكر، والمناسبات التي يتحدث فيها عن نبينا محمد(ﷺ) ولادة ونشأة وبعثة وإسراء ومعراجاً وجهاداً ووفاة و. . الخ. كان المطلوب منها هو ما قرره الباري سبحانه من رفعة الذكر لنبيه محمد(ﷺ) بقوله في سورة الانشراح ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فمجالس مولد النبي(ﷺ) قائمة أيضاً على أساس ذكره بالرفعة.

ومن ذلك ما نشاهد هنا وهناك من الإذاعات والتلفزيونات منها وكنت أكتب هذا الموضوع وأنشودة من راديو وتلفزيون الإمارات هي:

صلـــوا علـــى محمـــــد صلـــى الله عليـــه وســـلم

ويليه آله وصحابته بنحو من ذلك على أساس من القرآن أيضاً في ذكرهم بالرفعة كآية التطهير والمباهلة ونحوها. وآية ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. وآية: ﴿والذين آووا ونصروا..﴾ الخ.

قال الدكتور الشرباصي في كتابه يسألونك ج٦ ص٢٢٤ ما نصه: (وإذا كان الاحتفال بذكرى مولد الرسول لم يكن في زمن النبوة ولا الصحابة أو التابعين فإن الاحتفال بهذه الذكرى يكون ثمراً نافعاً على الوجه المحقق لثمرات الذكرى والاعتبار) وهذا يعني أن يكون غير منحرف عن أساس القرآن والسنة وهو المطلوب).

ومما ليس كلما يذكر هنا: ما رد به الدكتور محمد البهي في إذاعة ابو ظبي في ١٢/ ١١/ ١٤٠٣هـ، ٢٧/ ١٢/ ١٩٨٢م على مَنْ توهم أن حفل المولد النبوي بدعة. قال ما خلاصته: إنه احتفال بالقرآن والإسلام. ودعا إلى مزيد من الاحتفال بذكراه(ﷺ) مولداً وهجرة وإسراء ومعراجاً.. الخ. وفي حفل المولد النبوي لعام ١٤٠٤هـ استشهد بالآية ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا..﴾ والآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وأن حفل الميلاد هو لذكرى مولد الرحمة والنور.. الخ. وسفه من عارض ذلك ورد عليه رداً عنيفاً.. الخ.

وقد سبق للإمام الشهرستاني ببغداد أن استنبط مشروعية الاحتفال بذكرى المولد من الآية سورة المائدة: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَ..﴾ الخ. بأنه إذا كان قد أجيز العيد لنزول مائدة (أكلة) فكيف لمولد النور محمد(ﷺ) وإخراجه الناس من الظلمات إلى النور بأن يكون عيداً وفرحاً ممتداً إلى آخر الأمة.

وأما رفع الصوت وبعبارة أخرى الجهر بالصلاة والسلام على النبي وآله، فلا مانع له بل مندوب إليه. قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ..﴾ الخ. وآيات الصلاة والسلام منها ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ وآية: ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، و﴿سَلامٌ عَلَى آلْ يس﴾، ونحوهما.. الخ.

وأما المدائح النبوية فيكفي ما أقره النبي(ﷺ) لمادحيه كحسان وابن رواحة وكعب بن زهير وغيرهم أبي سلمى بقوله:

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

ونحو ذلك... الخ.

وهذا من قصيدة مطلعها غزل (بانت سعاد.. الخ) ومما أقره(ﷺ) أنشودة نساء من بني النجار مع ضرب الدفوف:

نحـــن نســـاء مــــن بنــــي النجــــار   يا حبذا محمد من جار . . الـخ .

وفي زفاف ابنته فاطمة الزهراء(ﷺ) مثل ذلك كان من بعض نسائه ونساء أصحابه كقول أم سعد بن معاذ :

أقــــول قــــولاً فيــــه مــــا فيــــه   وأذكــــر الخــــير وأبديــــه

محمـــــــد خــــــير بنــــــي آدم   وما فيه مــن كـبر ولا تيـه . . الـخ

وفي حفل عرس حضره في المدينة طرح عليهم أنشودة خير مـن أنشودتهم فأنشدوها وهي على شكل جلوات :

أتينــــــاكم أتينـــــــاكم   فحيونــــــا نحييكـــــــم

ولــــولا الحبــــة الســــمراء   لـم نحلـل بواديكـم و . . الـخ .

وهذا مما يعطينا صورة عن اختيار الأجود بالمناسبة فضلاً عن العدول عما فيه باطل إلى ما فيه حق . كما هو مفصل في كتب السيرة والحديث والفقه بتفصيل ومنه في الموضوع القادم .

كذا مع إقامة الولائم في الفنادق . فلا مانع منها بشرط ألا تكون مع باطل . ومضل فيما تعني عدم الجواز وأما الدعوات بالخير والبركات ، فلا مانع منها بل مندوب إليها كالصلوات والتسليمات وقد تقدم ذلك .

وعليه فهذه المواد التي تتألف منها مجالس المواليد فكلها على أسس من القرآن والسنة كما رأيت ومن أبصر فلنفسه .

عن الغناء والطبل والرقص وعمن امتنعوا عنه ثم أجازوه بما في ذلك في الأعراس

١ - مما جاء في القرآن الآية ٦ سورة لقمان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴾ الخ. فسروا لهو الحديث بالغناء وقول الهجر.

وفي سورة الجمعة آية ١١: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ فسر اللهو بالطبل، كانوا يضربونه فيما يضربونـه إذا قدمت قافلة تجارية فتراهم - كما حدث فعلاً - أن تركوا رسول الله(ﷺ) قائماً في الصلاة ومضوا إلى حيث يضرب الطبل.

والغناء وما إليه من آلات اللهو في الأصل حرام. إلا أنهم اشترطوا حرمته في الباطل.

وهذا ليس في الغناء فحسب، بل في الإنشاد شعراً والإلقاء نثراً (الكلام المنثور) وعلى رأس ذلك الكذب والغيبة وما إليهما فهما أعظم جرماً من الغناء.

ونـوادي الغنـاء أهـون جرمـاً من نواد بها اغتياب أذيعا.. الخ[١]

وإلا فالغناء تعريفه في كتب اللغة والتفسير والفقه هو الصوت المشتمل على الترجيع المطرب أو ما يسمى بالعرف غناءً وإن لم يطرب سواء كان شعراً أم نثراً مما يلهي عن العملين المعادي (العبادي) و(المعاشي) التوجه إلى طلب الرزق المشروع للمرء نفسه أوله لعياله.. الخ. فيكون في تلهيه عن هذين العملين بالاستماع إلى الغناء داخل فيما جاء في السنة الشريفة من حديث عن

(١) للمؤلف من كتابه المطبوع الأوليات.

النبي(ﷺ) أنه قال: من استمع إلى ناطق فقد عبده. ونحو ذلك.. الخ، إلا ما استثنى منه لحدو الإبل. وفعله للمرأة في الأعراس مع عدم الباطل مباح. كما جاء في تفسير الكاشاني وشروح المكاسب لعدد من الفقهاء الأعلام وفي مجمع البحرين. مادة غناء مما على أساسه كان مما نظمته في أرجوزتي الألفين الفقهية:

والصوت في ترجيعه إذ يطرب أو غير مطرب غناءً يحسب

وجاز في العرس وفي حدو الإبل وهو مع الباطل إطلاقاً حضل

وبعضهم قد جوز الأغاني مع عدم الباطل كالكاشاني

فهو يعتبر فيما يعتبر إعلاماً، لا لهواً.

ومما للإعلام والبشارة لا للهو ما ذكره التاريخ والسيرة عن وصول النبي(ﷺ) إلى المدينة وخبر:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وما ذكروا من أنه(ﷺ) دعي إلى عرس فأبدل أنشودة كانوا ينشدونها بأخرى خير منها:

فتلك ونحوها مما تشعر الطرفين بتبادل التحية والإعراب عن القصد المحبوب في مشاركة الآخرين بأفراحهم على نحو مشروع محبوب. فهذا ونحوه مما لا يمتنع عنه الشيعة وإنما يمتنعون عما يجري خلاف ذلك فيما تطور في عصرنا هذا.

وكون بعضهم لا يتحرجون عن المتطورات المنحرفة بعد امتناعهم عنها. فذلك ليس عند بعض الشيعة فحسب، بل عند معظم السنة. حتى عند أشدهم تحرجاً. كالسنة الوهابية مثلاً فإن الإذاعة في أول تأسيسها عندهم، لا تسمع منها الأغاني مطلقاً. فقد كانت مقتصرة على تلاوة القرآن والحديث النبوي، وما إلى ذلك من تفسير وتاريخ. وبعض الموسيقى العسكرية إضافة إلى افتتاحها واختتامها بالسلام الوطني. حتى لقد أنشد أحد الأدباء معجباً بذلك مخاطباً عاهل البلاد:

وذي إذاعتك الأولى برامجها جاءت كسمط نظير الدر منتظم

لم تقبل اللهو إذ في اللهو منقصة والنفع بالذكر (القرآن) والأخبار

أما منذ عهد قريب جداً فقد أصبحت كسائر الإذاعات فيما تذيعه من غناء وما إليه. فقد اقتضت الضرورة ذلك لما حدث من انصراف خاصة الشباب إلى استماع الإذاعات الأخرى بما فيها المناوئة الضارة إذ يساق فيها ما يريدون مع الانسياق في الأغاني.

وهذا تطور لا بأس به في حدود لا تخرج بالشباب خاصة إلى ما هو أضر. وقد سئل أحدهم عن ذلك فأجاب اقتضت الضرورة مراعاة شعور الآخرين لئلا ينصرفوا إلى استماع غير إذاعة بلدهم. فقيل له. كذلك يطلب مراعاة شعور الآخرين من المذاهب الإسلامية في إقامة شعائرهم. مع مراعاة عدم الخروج عن حدودها إلى ما يدعو إلى الاستهجان أو السخرية. نحو ما عناه الأخرس البغدادي - وهو من السنة أيضاً - بقوله في بعض مجالس الذكر:

أقال الله صفق لي وغني وقل هجر أو سمي الهجر ذكرا

فإن تلك السيادة باخضرار فإن السلق أشرف منك قدرا

وكيفما كان فالمطلوب إصلاح ما شذ بالحكمة والموعظة الحسنة بعد التأمل والتفهم والدراسة الموضوعية..

لا أنا نزيد الشذوذ برد الفعل شذوذاً فيتسع الخرق على الراقع.

لقد سألني عن هذه المسألة التي كتبت هذا الموضوع جواباً عليها - أعني مسألة الغناء وما إليه - وقبول من قبل به مطلقاً، خاصة من بعض الشيعة كما من بعض غيرهم. وليس محدوداً كما تقدم بشكل جائز غير ضائر.. ومما إلى الغناء والطبل - وقد تقدم الكلام عنهما.

يأتي الرقص. وهو لغة: الاضطراب أو الحركة المضطربة بعبارة أخرى وحال الماء في الغليان والموج يعلو وينخفض والإنسان بنحو ذلك، والنزة - كما في تعبيرهم أيضاً - ومنه رقصت المرأة ولدها أن نزته.

ومما يذكر هنا أن فاطمة الزهراء(عليها السلام) كانت ترقص ولدها الحسن في طفولته وهي تقول:

أشبه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن

واعبد إلهاً ذا المنن و............ الخ

وتقول وهي ترقص ولدها الحسين(عليه السلام):

أنت شبيه بأبي لست شبيهاً بعلي و.. الخ

ونحو ذلك مما يدل على أن الرقص من المباحات على شرط أن لا يصاحبه محرم أو قبيح قول أو عمل. وهذا ما يقصد بالمجاز في الأعراس.

لقد سألني شاب من الشارقة بالإمارات يدعى عبد الله العبودي بمحضر من التاجر المعروف يوسف حبيب، عن هذه المسألة. فقلت له: إن من أجوبتي المتواضعة جواب عن حفلات المواليد النبوية وما إليها، تقام في الأعراس أيضاً. قال: نعم، ولكن نريد تفصيلاً أكثر، إن هؤلاء من الناس أنت مسؤول عنهم فهم يقولون إن بيدهم ورقة منك بجواز ذلك. وهذا منكر حيث الرجال من جانب يغنون والنساء يغنين ويرقصن، وقد تزين بعضهن بخلاعة ومعهن الطبل وما إليه من موسيقى. فالمطلوب منك الرد على ذلك والجواب.

١ - أما الورقة التي أشار إليها العبودي فهي فتوى من الإمام الخوئي مع عدد من الفتاوي، جاء إلى مرسلي استفتاءاتها بواسطتي كوكيل له وحاصلها هو: أن الحرام من ذلك ما كان للهو، لا ما كان في الأعراس كإعلام أو تعبير عن فرحة على شرط خلوه من المحرمات كشرب المسكر مع الطبل والموسيقى وقول الباطل ومعانقة امرأة أجنبية في الرقص وأن يجلس الرجال لمشاهدة النساء في ذلك إضافة إلى ما جاء من مشاهدة بعضهن لبعض فذلك لم يسمح به في أعراس المؤمنين التي قاطعوها لحد الآن وعليه فجائز ما كان على الشرط المذكور وأنا كمبلغ لا أكثر.

وإذا قلب بعضهم الجائز إلى غير الجائز، فالمسؤولية عليهم لا على من أجاز ما هو جائز، كمن يقلب ذلك إلى اللهو المنهي عنه وهو ما يشغل عن الأمور الواجبة ومثلاً من ذلك ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أجمع المفسرون - كما تقدم - أنهم كانوا يضربون الطبول إعلاماً بقدوم قافلة تجارية. فلم يمنع ذلك رسول الله(ﷺ) وإنما منع الانصراف إليها وقت الصلاة ونحوها حيث تنقلب من إعلام أو فرحة إلى لهو، وإلا فهو جائز في حدود ما أقره في ثنيات الوداع وفي زفافه ابنته الزهراء(عليها السلام) وعلى هذا الأساس من إعلام أو فرحة مما هو مستعمل في راديو وتلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران والمملكة العربية السعودية ونحوهما.. الخ.

إن حكم الشريعة الإسلامية في تحريم الغناء وما إليه: لا يتغير، وإنما يتغير العنوان. فيكون له حكم آخر من أحكام الشريعة نفسها بما في ذلك دور الشرط. وهو الخلو من الباطل. والخروج عن إطار ما عنته الآية الكريمة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ آية ٦ لقمان. لا لمجرد أنه غناء أو طبل أو رقص.. فكلما تغير العنوان وحسنت النية كان له حكم من الشريعة نفسها خاص به.

جواب عن جواز إقامة ولائم الأعراس في المساجد لا في المآتم

مما في القرآن ما جاء في الآية ٣١ الأعراف: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

دلت هذه الآية فيما دلت على جواز الأكل والشرب في المساجد.

وتتبعها بعد آية في التأكيد على عدم تحريم ذلك ونحوه، آية فيما هو محرم بإجمال هي: ﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ وجاءت السنة الشريفة فيما جاءت به تأكيد ذلك، أعني الزينة - طبعاً بحدودها الشرعية - والأكل والشرب. فنقل الطعام إلى المسجد لأهل الصفة ولغيرهم وأقيمت الولائم بمناسباتها، المباحة بما في ذلك ولائم الأعراس ومن أبرزها أنه (ﷺ) أولم في المسجد لزواج علي من فاطمة (عليها السلام) وكانت له فيما كانت معجزتان بالمناسبة:

١ - أنه كان يفصل لحم الكبش الذي ذبح للوليمة ولم ير على يده أثر دم.

٢ - أنه أشبع الجمع الكبير حتى من أهل النخيلات والزروع من تلك الوليمة التي أمر (ﷺ) أن ينادي لها. أن أجيبوا رسول الله (ﷺ).. الخ.

وأن القرآن يأمر فيما يأمر بالأسوة الحسنة برسول الله (ﷺ).

ولا مانع أن تقام وليمة عرس في بيت العريس أو العروس أو قريب أو صديق. أما إقامتها في فندق فجائز أيضاً بشرط أن لا يتخللها محرم كذلك، وقد سألني أحد كهول الشارقة يدعى حسن علي الملا، عما إذا كان الذين يعملون في الفندق من المسيحيين مثلاً. فأجبته فيما أجبته: إن الإسلام غير مضيق على ذويه سيما في هذه الأمور ونحوها حتى أن فيه من المطهرات غيبة

المسلم يعني إذا غاب عنك ويده طاهرة وطاهر ما يحمله ثم عاد إليك فلا مانع أن تأخذ ذلك منه إلا أن تعلم نجاسته.

ومما نظمته على أساس ذلك ما نظمته في أرجوزتي الألفين الفقهية في ١٧ بيتاً في المطهرات ج١ ص٦ منها:

وغيبــــة بشـــــرط أن لا تعلمـــــن وما به ينزح بئر فأعلمن و.. الخ.

فكذلك ما في يد الكتابي المسيحي على فتوى بعض المجتهدين الأعلام.

وعليه حتى ولو أن بعض المسيحيين يعلمون في الفندق فلا مانع من ذلك. وإذا كان فيهم كفار أو مشركون يعملون معهم - وهم نجس - فالمسؤولية على صاحب الفندق المسلم باعتبار خذ من يد المسلم - وطبعاً ما خرج عن يده - ولا تسأل، إلا أن ترى بعينك كفاراً أو مشركين يمارسون صنع الطعام وما إلى ذلك.

والغريب أن السائل المذكور أخبرني أن أحد أئمة الجماعة هناك نهى عن حضور ولائم الأعراس في الفنادق وأمر بمقاطعتها، ولم ينه عن إقامتها في الحسينيات. وطلب إلى آخر من وجهاء دبي يدعى ميرزا حسين الفردان أن اكتب استفتاءً بذلك إلى المرجع الإمام الخوئي. فلبيت الطلب وجاء الجواب، طبقاً لما سبق أن قلته بعدم جواز ذلك بموجب دراساتي فاقتنع وأراد إقناع من قد لا يقتنع من محبي الجدل. إلا أن يأتي من مرجع الجميع. فجاء التصريح التالي هاكه بخطه وتوقيعه.

واتبع الأخ السائل المذكور سؤاله بسؤال لاحق. هو: أيجوز أن نقاطع من يقيمون ولائم الأعراس ونحوها في الحسينيات. مقابل مقاطعتهم لمن يقيمونها في الفندق..؟

فأجبت: كلا. لا يجوز ذلك لقول خليفة رسول الله الإمام علي (ع) إياكم والتدابر والتقاطع وعليه بالتواصل والتباذل.. الخ، ذلك لأن المسؤولية عليهم وما عليك إلا أن تفهمهم كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ الخ.

وخلاصة ما تقدم أن إقامة ولائم الأعراس - للسائلين عنها - هي جائزة في المساجد بل ومستحبة كما يبدو من فعل النبي(ﷺ) ومباحة في أي دار كانت عدا الدار أو الأرض المغتصبة. كما وغير جائز إقامتها - بموجب الفتوى المذكورة - في المأتم فما عين مأتماً لا يجوز تشغيله بغير عنوانه من مشاغل أخرى.. الخ.

وبهذه المناسبة لا تفوتني الإشارة إلى أن جماعة في البلد نفسه أقاموا سوقاً خيرية في مأتم هناك يدعى مأتم العدواني، وفيما فيها أصابيغ للنساء ولعب للأطفال ونحو ذلك. وجناح خاص فيه لتجميل النساء للأعراس، وجمعية مقاولة على الطبخ للأعراس. فأرسل استفتاء إلى المرجع الخوئي. وجاء الجواب بعدم جواز ذلك أيضاً فطبع ونشر في حينه ورقة من أوراق إعلانهم عن ذلك. أصلحهم الله وإيانا وجميع المسلمين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مما في القرآن ما جاء في سورة آل عمران آية ١٠٤ : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..﴾ الخ.

ومما في السنة الشريفة في كتب الطرفين قوله(ﷺ): (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلط عليكم شراركم..) الخ.

ومما في وصية الإمام علي - وقد رواها الطرفان -: ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.. الخ.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أجمع المسلمون على وجوبه وجوباً كفائياً. إذا قام به بعضهم سقط عن الآخرين. ولكن هذا ليس معناه أن يظل هؤلاء جامدين عن تأنيب أولئك.

وأمة في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ أقل ما جاء في تعريفها: الفرد، فضلاً عن الجماعة. فقد عرف القرآن فيما عرف به أبا الأنبياء إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً..﴾ الخ.

ومما جاء في السنة الحديث النبوي عن أبي ذر (رض) أن أبا ذر أمة وحده، يموت وحده ويبعث وحده.. الخ. وعليه فلا يجهلن الفرد نفسه، إذا اجتمعت عنده شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يقول: أنا وحدي فماذا أعمل..؟

وشروطهما: المعرفة. وأن يكون ذلك ذا أثر وغير معقب ضرر، وأن يكون عاملاً بما يأتي به وينهى عنه. وإلا فإنه ملعون كما جاء في الحديث النبوي: لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له. الناهين عن المنكر العاملين

به. وأن يكون أمره بمعروف كما جاء في الحديث: من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف. ومعنى ذلك أن لا يدعو أمره أن نهيه إلى نكر كاستعمال الكلمات المنفرة، التي قد تنتج رد فعل.

وليس معنى أن يكون ذا أثر. أن يترك ذلك إذا لم يجد أثراً له. كالذي يأمر عياله فلا يطاع. فإن ذلك يترك أثراً - هو تذكرهم فيما بعد لصواب ما أمر به ونهى عنه - فيندمون، ويؤوبون للصواب. وإذا لم يكن ذلك فيكون قد ألقى عليهم الحجة. وتخلص من المسؤولية.. ومما نظمته فيه من أرجوزتي الألفين الفقهية في هذا الخصوص خمسة أبيات لاحظ ج١ ص٦٦ منها:

وهو على رب العيال يجب	عينا كذا المتبوع منه يطلب
وتركه يشجع الأشرارا	ويفسد الدعاء والديارا
وهو على مراتب ١- فالقلب	وبعده ٢- اللسان ٣- ثم الضرب

ومعنى معرفة - فيما تقدم ذكره من شروط - دراسة الشيء دراسة موضوعية للتأكد منه إذا أمر به أهو معروف..؟ وإذا نهى عنه، أهو منكر..؟

كما ويطلب ملاحظة منزلة الأشخاص فيما قد يشتبه في بعض ما يأمرون به أو ينهون عنه. فلا يتسرع بالحكم على الشيء. فقد يرى المعروف في شكل منكر. والمنكر في شكل معروف، كما وقع فعلاً بين موسى والخضر (عليهما السلام). وكمن يرى رجلاً يضرب صبياً أو امرأة - طبعاً ضرباً غير مبرح - يقصد به التأديب كما شرع الله فهذا ونحوه ليس منكر. و.. الخ.

جواب عن الحزن ومشروعيته ودرجاته

١ - في القرآن الكريم أربعون آية جاء فيها ذكر الحزن بمختلف صيغ ألفاظه ومعانيه ومصادره وموارده.. ويكفي أن من تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ..﴾ آية ٨٤ سورة يوسف. وقوله تعالى في نفس السورة آية ٨٦: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ..﴾.

فالآية الأولى تحدثنا فيما تحدثنا أن الحزن مشروع وقد بلغ أقصاه في نبي الله يعقوب(ع) فلو أنه غير صحيح لما استسلم له هذا الاستسلام.

والآية الثانية تعطينا فيما تعطينا صورة عن جهل المعترضين عليه في حزنه ورده عليهم. فالآية التي قبلها هي قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ و﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ..﴾ الخ.

ومن الآيات الواردة فيها ذكر الحزن ما يشير إلى أن من الحزن ما يدخل الحزن على آخر بتكذيبه إياه على غير أساس علمي مع علمه بأن ذلك ليس إلا ظلماً وتحديداً لغاية خاصة قال سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ آية ٣٣ سورة الأنعام.

هذا بالإضافة إلى كون هذه الآية تقرر كون الحزن مشروعاً عند رسول الله(ﷺ) غير متوقف على درجة واحدة بل هو في عدة درجات، تقررها آيات أخرى كما سيأتي بعد قليل.

لقد ذكر الثعالبي في كتابه فقه اللغة تسع درجات للحزن . أذكرها لك هنا بالمناسبة مع بعض آيات من القرآن الكريم . للاطلاع على أن الحزن بمختلف درجاته مقرر في القرآن ذكر الثعالبي في فقه اللغة :

١ - أولها بسوء الحال والانكسار ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ..﴾ الخ ، آية ٩٧ سورة الحجر وفي سورة هود آية ١٢ : ﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ .

٢ - الترح وهو ضد الفرح وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ذٰلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾ الخ ، آية ٧٥ سورة غافر .

٣ - الأسى أو الأسف وهو حزن على الشيء يفوت وهذا على قسمين أسى يتعلق بأهل الكفر أو الفسق لا يؤسى عليه وإليه يشير قوله تعالى : ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ آية ٦٨ سورة المائدة . وقوله : ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ﴾ آية ٢٦ نفس السورة . والعكس فيما هو متعلق بأهل الإيمان والتقوى .

٤ - السدم وهو هم في ندم وإليه يشير قوله تعالى حكاية عن قابيل : ﴿يا وَيْلَتى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرابِ - إلى قوله - فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ﴾ آية ٣١ المائدة .

٥ - الوجوم وهو هم يسكت صاحبه وإليه يشير قوله ﴿وَلَمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْواحَ﴾ آية ١٥٤ سورة الأعراف .

٦ - الأسف : وهو حزن معه غضب وإليه يشير قوله تعالى : ﴿وَلَمّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً﴾ . آية ١٥٠ سورة الأعراف .

ويلاحظ في هذا مصاحبة الغضب له كما يلاحظ فيما تقدمه ، كون الغضب مقدمة للوجوم المذكور .

٧ - الكرب : وهو الذي يأخذ بالنفس . كحصول ظلمات البر والبحر فإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ﴾ - إلى قوله - ﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنها وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ آية ٦٣ و ٦٤ سورة الأنعام.

٨- الكمد: وهو حزن لا يستطاع إمضاؤه. وعرفوه بأنه الحزن المكتوم. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ﴾ آية ١٣ سورة القصص.

٩- البث: وهو أشد أنواع أو درجات الحزن مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن يعقوب(ع): ﴿إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ الآية ٨٦ من سورة يوسف. المتقدم ذكرها في صدر هذا الموضوع. وفي هذا كفاية لكي ينفسح المجال للانتقال إلى:

٢- مما في السنة النبوية.. ومن ذلك ما ذكره الماوردي الشافعي في أعلام النبوة عن عائشة (رض) أنه(ص) دخل الحسين والنبي يومي له فصعد على منكب رسول الله فقال جبرئيل يا محمد إن أمتك ستقتله من بعدك ويقتل ابنك هذا.. إلى آخر الحديث في حزنه(ص) عليه، وفي منتخب العمال عن الطبراني وغيره نحو ذلك وكذلك في ينابيع المودة للحنفي.. ونحوه.. الخ. وفي الاستيعاب نحوه أيضاً.

ومن صور تعميم هذا الحزن - وليس كل الصور فهناك منها في كفاية الخطيب ونحوه - من تلك الصور ما ذكره الحافظ الخوارزمي ص١٦٢ بسنده عن شرحبيل بن عوف (رض) عن النبي(ص) عن جبرئيل(ع) أن ملكاً من ملائكة الفراديس نزل إلى البحر ثم نشر أجنحته وصاح صيحة قال فيها يا أهل البحار البسوا ثياب الحزن فإن فرخ محمد مقتول مذبوح فضجت الملائكة بالبكاء.

وأعود وإياك إلى المصادر المذكورة آنفاً بما فيها الاستيعاب ففيه أيضاً أخبار عن حزن النبي(ص) على حمزة (رض). وفي ترجمة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب (رض) خبر حزنه عليهما وقوله(ص): ومؤنساي ومحدثاي. وما أخرجه البخاري (ره) عن أنس (رض) أن النبي لما رأى ولده

إبراهيم يجود بنفسه اغرورقت عيناه فقال عبد الرحمن بن عوف (رض): وأنت يا رسول الله؟ فقال(ﷺ): يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى: إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون. وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود (ره) أن ابنة رسول الله(ﷺ) أرسلت إليه أن ابناً لي قُبض، ففاضت عيناه فقال سعد: ما هذا..؟ قال(ﷺ): هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده المؤمنين.. إلى نحو ذلك وغيره مما ذكرته في كفاية الخطيب عن هذه المصادر ونحوها.. الخ.

وفي هذا ونحوه يعلمنا رسول الله(ﷺ) كيف يكون الحزن.

ومما يذكر هنا مثلاً كون الحزن غريزة طبيعية ليس في الإنسان فحسب، بل في جميع الأحياء إلا ما شذ منها. وقد أشار إلى كونه غريزة: (أن القلب ليحزن) وفي حديث آخر كره أن يذبح حيوان أمام آخر وعلى أساسه قلت في أرجوزتي الألفين في الفقه فيما قلت في ج٢ ص١٠٣:

ولم يجز في الذبح ضغط طائر وذبح حيوان أمام آخر

كذلك يحزن الحيوان على فقد أو نقص علفه أو فقد إلفه، أو صحته أو نتف رشيه ونحو ذلك.. الخ.

وأول درجات الحزم عبر عنها منها الانقباض والتأوه. وقد عرف صاحب كتاب دستور العلماء الحزن بأنه ضد السرور وأنه الانقباض بحدوث ما يؤلم.

والتأوه والبكاء والنحيب واللطم والعويل والرثاء والتأبين ونحو ذلك بحسب درجات الحادث كما في تاريخ الحزن البشري منذ ابتداء حياة أبينا آدم(ع) في حزنه على فراق الجنة، ثم حزنه لقتل ولده هابيل. حتى لقد ورد أن أول شعر قيل هو ما قاله في رثاء هابيل، أو قيل عنه فيما بعد كلسان حال. قال:

تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الأرض مغبر قبيح

بكت حواء.. الخ.

ثم حزن أولاد آدم على فقده إياه ثم حزن بعضهم على بعض أو على فقدان شيء ما يعز فقده، سيما فقد الأنبياء وخلفائهم والصالحين. وقد سمعت في الآية الكريمة المفتتح بها هذا الموضوع أن يعقوب النبي(ع): ﴿ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ..﴾ الخ.

وعليه فمهما بلغ حزن موالي أهل البيت فإنه لا يصل إلى هذه الدرجة.. ولا إلى الدرجة التي وصل إليها زين العابدين رابع الأئمة عند الشيعة وأستاذ أبرز الفقهاء التسعة المعروفين الممتازين عند جميع المسلمين وقد ألف في ذلك فيمن ألف الأستاذ الشرقاوي كتاباً بهذا الاسم. كان على رأسهم زيد بن الإمام زين العابدين فقد كان أبوه أستاذه وجده الإمام علي(ع) أستاذ أبيه كما في ص١٦ من الكتاب المشار إليه: (أئمة الفقه التسعة) وصاحبه من أعلام السنة وفيما قال عنه قليل له مثل في عصره. ونحو هذا ما ذكره شيخ الأزهر الشريف الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه الإمام زين العابدين.

هذا الإمام بلغ من حزنه على أبيه الحسين(ع) ومن معه من شهداء كربلاء أنه ما رؤي مبتسماً حتى جيء برأس ابن زياد إليه إلى المدينة ثم عاد إلى كآبته مدة حياته بعد أبيه ما قدم بين يديه طعام أو ماء إلا وسالت دموعه وردد كلمة له أشبه ما تكون بالمناحة وهي أأكل وابن رسول الله قتل جائعاً، أأشرب وابن رسول الله قتل عطشاناً.. الخ.

وكانت مناحة يعقوب النبي على فراق ولده يوسف(ع) حبيبي يوسف من كنت أوسده بيميني وأدثره بشمالي. لقد غاب عني اليوم ولم أره.. حبيبي يوسف ليت شعري في أي جب طرحوك أم في أي واد قتلوك.. الخ.

هذه مناحة نبي وتلك مناحة إمام كما ذكرها مترجموها وأخبار حياتهما.

ولقد قال أبو حمزة الثمالي، وهو شخصية إسلامية معروفة: أما آن لحزنك أن ينفد وعبرتك أن ترقى أنتم أهل بيت القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة..؟ فأجابه قائلاً: نعم القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. لكن

أرأت عيناك أم سمعت أذناك سبيت لنا امرأة. فوالله ما ذكرت عماتي وأخواتي وفرارهن من خيمة إلى خيمة يوم هجم القوم علينا بعد قتل أبي الحسين وأضرموا النار في تلك الخيام. والله ما ذكرت ذلك إلا وخنقتني العبرة.. الخ.

وعليه فلا وجه لانتقاد من قد ينتقد الشيعة على حزنهم وتعابيرهم المختلفة عن حزنهم لما جرى على أهل البيت من الغصص والآلام من غير ذنب لهم، إلا إنكار المنكر الذي يعتبره الآخرون ذنباً لا يغفر.

ما ينقم الناس منهم غير أنهم ينهون أن تعبد الأوثان

كما يعد الآخرون حبهم ذنباً لمحبيهم وينقمون عليهم المظاهر والتعابير عن حزنهم على مصابهم مع أنه لم يبلغ إلى ما بلغ حزن كل من يعقوب النبي وزين العابدين الإمام..

كما لم يبلغ في عصرنا هذا إلى ما بلغ ببعضهم من إحراق نفسه وسط الشارع تعبيراً عن حزنه على هضم العدالة فلا ينكر ذلك عليه. وينكر على الشيعي بكاؤه أو لطمه أو تطبيره المحدود عن بلوغ درجة إنزال الضرر البليغ بالنفس فذلك منهي عنه في فتاوى علمائه الأعلام وقد ذكرت منها حوالي ٣٠ فتوى في كتابي المطبوع الفتاوى والتقارير و.. الخ.

أما تجاوز بعضهم الحد المقرر فالذنب ذنبه لا ذنب الجميع، ولا يسوغ ذلك أن يطلب إليهم ترك تلك التعابير المحدودة أمام مصائب من أمر الله بمودتهم في ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ آية ٢٣ الشورى ونحوها من الآيات تتبعها السنة في أحاديث النبي (ﷺ) عن حبهم ورحم الله الشافعي إذا قال:

إذا كان ذنباً حب آل محمد فذلك ذنب لست عنه أتوب

يصلي على المبعوث من آل هاشم ويغزى بنوه إن ذا لعجب و..

وبالنسبة لتكرار ذكرى أحزانهم وما إليها كل عام فلا وجه لانتقاده أمام ما عليه الأمم من إقامة ذكرى عظمائها المحزنة من جانب والمسرة من جانب آخر. ما دامت تلك الذكريات شرعاً سواء عند جميع الأمم لما يستوحى منها

من المثل الرفيعة والدرس والعبرة والعظة وما يتسوحى . . الخ ، كما هو الحال في ذكرى الحسين(عليه السلام) ميلاداً أو استشهاداً . بل بما طور الحزن إلى استفادة الحزن والنوح على هضم العدالة . ومن ثم بعث الهمم للعمل على نصرها عند أول فرصة سانحة .

وعلى أساس ما تقدم ثم على أساس هذا ، لا يعتد :

بمستهزئ بالحزن عائث بفكره   أضاليل آراء إلى الجهل تنتمي . .

لذلك لا يلتفت ولا يعتد بمستهزئ بالبكاء واللطم وما إلى ذلك فإن له أسس مماثلة وستأتي في الموضوع القادم .

ومما يذكر بالمناسبة . . أن الأمر لم يقتصر عند بعضهم على إعابة الحزن وما إليه ، مع كونه مشروعاً - كما تقدم - بل تجاوز بعضهم إلى مقابلته بالفرح .

قال الدكتور الشيبي - وهو من الأخوة السنة - قال في كتابه عن الحسين ص٩٨ : «وقد تنبه الأمويون إلى خطر ذكرى الحسين التي يقيمها الشيعة فحاولوا مقابلتها بالفرح فجعلوا منها عيداً سنّه الحجاج لأهل الشام في بدء الدولة المروانية واستنه صلاح الدين الأيوبي ومن تلاه بعد الدولة الفاطمية كما في خطط المقريزي ص٣٨٥ ج٢ وأيضاً هدم المتوكل قبر الحسين لمنع الناس من زيارته . . » . وإلى هذا يشير أحد الأعلام في رثائه الحسين(عليه السلام) :

كانت مآتم بالعراق تعدها   أموية بالشام من أعيادها . . الخ

على أن ذلك ما لبث أن زال ، وإن بقي منه شيء ، فإنه لا يقابل بما زاد من إقامة ذكرى الحسين المجيدة . . لأنها ليست كذكرى تمت إلى الدين بصلة أو أكثر فحسب ، بل أنها كشيء يحتاج إليه طبيعياً . . للدرس والاعتبار في مجرى الأحداث . ولهذا قال ابن بناته الخطيب المصري الشهير وهو من الأخوة السنة أيضاً قال :

مصيبة قدم الزمان بوقدها   و- الحادثات من الأيام- تذكيها . . الخ

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن البكاء وأقسامه وما يتعلق بالحسين(ع)

١- مما في القرآن مثلاً ما جاء في سورة النجم آية ٤٣ : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ فهو الموجد سبحانه فيما أوجد لكل منهما في محله أعني الضحك والبكاء.

٢- مما جاء في وصف من وصفهم من عباده المؤمنين العابدين في الآية ٥٨ سورة مريم: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾.

٣- مما جاء في أخذه آخرين في حالات أخرى ما جاء في سورة الإسراء آية ١٠٩ : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾.

٤- ومما جاء استنكاراً على من هم خلاف عباده المؤمنين: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ..؟﴾ آية ٦٠ سورة النجم.

٥- ومما جاء في تقريع وإنذار هؤلاء ونحوهم: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ آية ٨٢ سورة التوبة.

٦- وقوله مخبراً عن أحد أحوال أولاد النبي يعقوب(ع) في قصة يوسف: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ آية ١٦ سورة يوسف.

٧- وفي قوله تعالى في عصاة تركوا ما تركوه برغمهم من نعيم فلم تبك عليهم سماء تظلهم لأنهم تركوا ذلك: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ..﴾ الخ، آية ٢٩ سورة الدخان. وفي هذه الآية إشارة إلى كون السماء قد تبكي على من هم على العكس من ذلك ممن كانوا على درجة عظيمة في طاعة الله.. الخ. وعلى هذا الأساس وقد فيما ورد من أن السماء بكت على يحيى النبي(ع) وعلى الإمام الحسين(ع) وقد أوردت ذلك ونحوه بتفصيل فيما أوردت عن مصادر موثوقة معتمدة في كتابي كفاية الخطيب وقد طبع ٤ مرات فراجعه إن شئت. فحديثنا هنا عن البكاء نفسه بعدما تقدم من الحديث عن الحزن. تحت

هذه الأضواء وكل ذلك شرع وليس ببدع اللهم إلا ما يخرج عن الإيمان في حالة جزع. وذاك مما لا تجده عند أهل الإيمان المقتدين بالنبي وآله الأمجاد وصحابته الأجواد والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الأشهاد.

وبالمناسبة أذكر لك مما جاء في التفاسير لإحدى الآيات التي أوردتها لك مع آيات في البكاء وشيء من ذلك حول بعضها. فمما جاء في تفسير ابن عباس (رض) للآية التي فيها: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ أن أهل النفاق ليبكوا في النار مدة عمر الدنيا ولا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم.

أجل إن أهل النفاق يبكون هناك لكن أهل الإيمان والولاء لأهل البيت(ع) لا يبكون هناك بل يضحكون. قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

ولقد جاء مسنداً عن النبي(ﷺ) أنه قال: كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله وعين بكت على ولدي الحسين(ع).

ومن المعلوم أن البكائين يرجعان إلى أصل واحد؛ ذاك خوفاً من عقاب الله أو شوقاً إلى لقائه. وهذا تعبيراً عن التألم لما جرى على حبيب النبي المختار وعن عبرة لأولي الأبصار وسخط على الظالمين واستنكار.

وعلى هذا الأساس جاءة مشروعية ذلك وعمله فعلاً. ومما جاء في ذلك ما يفيدنا أموراً ثلاثةً وهي بكاء النبي على بعض ذويه وأصحابه. وبكاؤه على الحسين(ع)، وعدم المانع في تذكر ذلك واستمراره وإجرائه في مناسباته. فهناك من مجموع ذلك - وليس كل ذلك - فيما يلي:

١ - بكاء النبي(ﷺ) على ولده إبراهيم وصبي لإحدى بناته، وبكائه على عمه حمزة (رض) وابن عمه جعفر (رض) ومنه مثلاً: ما جاء في صحيح البخاري ج١ ص١٥٢ وما بعدها من أبواب الجنائز بسنده عن أنس بن مالك قال: دخلنا عليه وإبراهيم (رض) يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان. فقال له ابن عوف (رض): وأنت يا رسول الله؟. قال(ﷺ):

إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى وقال: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا تقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

وفي ص١٥٢ منه وفي ج١ من صحيح مسلم (ره) باب البكاء على الميت، عن أسامة (رض): أرسلت ابنة النبي(ﷺ) إليه أن ابناً لي قبض فآتنا، فقام ومعه سعد ومعاذ وأبي بن كعب وزيد بن ثابت (رض) فرفع الصبي إلى رسول الله(ﷺ) ففاضت عيناه. فقال سعد يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وجاء في الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة حمزة. وفي شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص٣٨٧ وغيرهما أن النبي(ﷺ) لما رأى عمه حمزة قتيلاً بكى فلما رأى ما مثل به شهق. وفي تاريخ الواقدي في ذكره حمزة أن النبي كان إذا بكت صفية على أخيه حمزة بكى لبكائها وإذا نشجت نشج.

وجاء في الاستيعاب في ترجمة جعفر (رض) أن النبي(ﷺ) بكى عليه وعلى زيد بن حارثة وقال: أخواي ومؤنساي.

ونحو هذا ما ورد في أخبار بكائه على آخرين.. الخ، وعند قبورهم في زيارات له. ومنه ما جاء في صحيح مسلم ج١ باب البكاء على الميت، عن أبي هريرة (رض) أن النبي(ﷺ) زار قبر آمنة (رض) فبكى وأبكى من حوله. وبهذا كفاية.

٢- بكاؤه على الحسين(ع) ومن أخباره ما رواه أهل الصحاح والسنة والكتب المعتبرة بأسانيد معتمدة. فمنها مثلاً ما ذكره وإياهم الماوردي الشافعي في كتابه أعلام النبوة عن عائشة (رض) أن الحسين(ع) دخل والنبي(ﷺ) يُومي له فصعد على منكبه، فقال جبرئيل: إن أمتك ستقتله من بعدك ويقتل ابنك هذا. وأتاه بتربة بيضاء وقال له: في هذه الأرض يقتل واسمها: الطف.

فلما ذهب جبرئيل خرج(ﷺ) إلى أصحابه والتربة بيده وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة (رض) وهو يبكي فسألوه. فقال: لقد أخبرني جبرئيل

أن ابني الحسين يقتل بأرض الطف وقد جاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه.

وفي كنز العمال قال أخرج الطبراني في الكبير عن أم سلمة (رض) قالت: كان النبي ذات يوم في بيتي فقال: لا يدخلن علي أحد. فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج النبي وهو في حجرته فوالله ما علمت به حين دخل فقال النبي(ﷺ) أن جبرئيل كان معنا في البيت فقال أتحبه..؟ قلت: نعم. قال: إن أمتك ستقتله بأرض يقال لها كربلاء فناوله جبرئيل من ترابها فبكى(ﷺ).

ومثل هذا كثير.. وقد ذكرت منه أكثر من هذا.

وأكثر من هذا ورد وقد ذكرت منه في كتابي المطبوع كفاية الخطيب فإن رمت المزيد فراجعه. وقد اقتصرت على ما تقدم هنا لئلا يطول الحديث أكثر. وليفسح المجال إلى:

القسم الثالث: وهو كجواب على من يعترض قائلاً: هذا الذي ذكرته ونحوه صحيح. وهو مقرر في وقته وأنتم تستمرون على ذلك حتى اليوم فهل جاء عن النبي(ﷺ) ما يقرر ذلك..؟ فالجواب نعم. لقد جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل (ره) ج٢ أن رسول الله(ﷺ) لما رجع من أحد جعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال(ﷺ): ولكن حمزة لا بواكي له. ثم نام وهن يبكين. قال فهن إلى اليوم إذا بكين يندبن حمزة (رض).

وفي الاستيعاب في ترجمة حمزة وعن تاريخ الواقدي وغيره.. أنه لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول رسول الله(ﷺ) لكن حمزة لا بواكي له إلا بدأت بالبكاء على حمزة (رض) حتى اليوم.. وإلى آخر ما ورد في هذا الباب من مشروعية استمرار ذلك للذكرى والعبرة والمؤاساة، وعلى هذا الأساس قال الشريف الرضي – وهو شخصية علمية أدبية، له مكانة ممتازة عند جميع المسلمين – قال فيما قاله في الحسين(ﷺ):

ميـــت تبكـــي لـــه فاطمـــة   وأبوهـــا وعلـــي ذو العـــلا

لـــو رســـول الله يحيـــى بعـــده   قعـــد اليـــوم عليـــه للعـــزا

وليس الرضي وحده أنشد هذا ونحوه فالألوف وأكثر من الألوف من جميع المسلمين من أنشد ذلك متأكدين من صحته، وأنه لم يورد شيء خلافه من الكتاب والسنة.. ومن إليهما.. الخ.

أذكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الفقيه إبراهيم بن نصر قاضي السنة في السلالية بالموصل. وكانت دراسته في المدرسة النظامية الشهيرة ببغداد وسمع بها الحديث على الوزير عون الدين بن محمد الحنبلي (ره) وكانت وفاته عام ٦١٠هـ جاء ذكره في طبقات الشافعية وتاريخ ابن خلكان وفيات الأعيان ونحوهما. فإليك ما قاله في قصيدة له. ذكرها فيمن ذكرها صاحب نشوات المحاضرة، قال:

يـــا شـــهر عاشـــوراء أذكرتنـــي   مصـــارع الأشـــراف مـــن هاشـــم

أبكـــي ولا لـــوم علـــى مـــن بكـــى   وإنمـــا اللـــوم علـــى اللائـــم

وتجد هذين البيتين وسبعة أبيات بعدها - في كفاية الخطيب ج٣ مجلس ٢ - وتفسيرها تفسيراً صحيحاً تحت هذه الأضواء ومثل هذا أمثال. وإنما أوردت ذكره كأنموذج منهم. وفي كفاية الخطيب أيضاً نماذج أخرى كهذه وأكثر و.. الخ.

عزيزي القارئ اللبيب، لم يكن بكاؤنا على الحسين تقليداً لأننا رأينا من قبلنا يبكون. أو أن هذا البكاء أسىً على ما فات فإننا أمة دستورها القرآن وفيما فيه ذم المقلدين تقليداً أعمى وفيما فيه قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ - إلى قوله - ﴿لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ الخ آية ٢٢ سورة الحديد.

وعليه إذن، فما هذا البكاء..؟

الجواب أولاً: إن من البكاء عبادة لله سبحانه وقد جاء ذكره في أكثر من آية كما تقدم ومنها قوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ وهذا

الخشوع يمكن استخدامه مئة بالمئة في الطاعة وكم تمخضت الطاعة عن مقاصد عالية، وقوله في عباده المؤمنين: ﴿إذا تُتلى عَلَيهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكِيّاً..﴾ والحسين(ع) لا ينكر كونه مجموعة من آيات الرحمن. دل على ذلك ما ظهر منه حياً وميتاً وذلك أشهر من أن يذكر.

ثانياً: إن هذا البكاء تعبيراً عن التألم وصرخة في وجه الظلم.

ثالثاً: إننا لسنا وحدنا نبكي في هذا العالم فما أكثر أخبار كبار المفكرين بخصوص البكاء على فقد أم حنون أو أب عطوف، أو قريب أو صديق، أو رجل خدم أمته، أو عظيم خدم البشرية كلها.

وباعث مجموع ذلك إما الحب الشخصي أو التقدير الإنساني. والحسين جمع الصفتين وأكثر كما فصلت ذلك في كفاية الخطيب فراجعه إن شئت، مما يعطيك على هذه الأسس أكثر من صورة في كوننا مثابون بالبكاء عليه من جهة. سعداء بالأخذ بسيرته وما إليها من جهة أخرى. مما فيه خير الدنيا والآخرة حيث يوضع نصب الأعين إلى جنب فضل البكاء، ذلك المعنى الذي أشار إليه شاعر النيل حافظ إبراهيم في رثائه سعد زغلول باشا (ره) إذ يخاطبه قائلاً:

وقد كنت لا تبكي وتنكر أن يرى ... أخا الضعف في بعض المواطن باكيا

فرخص لنا اليوم البكاء وفي غد ... ترانا كما تهوى جبالاً رواسيا

الحسين وأصحابه أبكوا عيونهم في وقت ما.. وأبكوا سيوفهم بدماء الأعداء وكانوا أعظم وأثبت من الجبال الرواسي أمام الطواغيت فما وهنوا وما استكانوا حتى قال فيهم أحد الأباة مصعب بن الزبير:

وأن الألى بالطف من آل هاشم ... تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

أكتفي بهذا القدر فمجموعه - كما رأيت - تحت أضواء الكتاب والسنة وما إليهما. عما هو المقصود من البكاء.. الخ.

وأقسامه بما فيها هذا القسم من مقاصد هي أجل من أن يتناولها متطاول مكابر أو حاقد أو جاهل.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن لطم الصدور وما إلى ذلك في العزائيات الحسينية

فيما نشاهد خلال آيات القرآن: إجراءات خاصة يجريها الإنسان في ظرف معين فمثلاً في بعضها إنزاله القتل أو الموت في نفسه ابتغاء مرضاة الله. نحو ما جاء في الآية ٥٤ سورة البقرة: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ..﴾ الخ.

وفي آية أخرى ذكر إلى جنب هذا ترك الأوطان: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ آية ٦٦ و٦٧ و٦٨ سورة النساء.

ففي مجموع ما تقدم من الآيات:

١- إنزال أقصى الضرر في النفس وهو القتل وقد تقدم القول أن ذلك في حالات وظروف خاصة يفهمنا القرآن - كما سيأتي بعد قليل - الهدف المطلوب.

٢- الخروج من الديار وهذا إنزال الضرر أيضاً لكنه أخف من الأول وهو القتل.

وعليه فما العزائيات الحسينية فيما يكون فيها من إنزال ضرر: إلا أقل من ذلك مع جمعها في إطارها ﴿ما يُوعَظُونَ بِهِ﴾ فهل يا ترى تستنكر إذا قصد بها ما يقصد في أحد الفعلين المذكورين من الهدف العالي الذي ذكره القرآن، كما يلي تحت رقم ٣ مباشرة.

٣- جملة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً..﴾ الخ. وهي تخص ما تقدم ذكره من الفعلين القتل والخروج من الديار، وتعم كل فعل من هذا

القبيل أو قريب منه . . مما يجمعه إطار ﴿ما يُوعَظُونَ بِهِ..﴾ والمتأمل يرى أن العزائيات الحسينية مما يوعظ به، وليست هوساً. ولهذا تجري في ظرف معين ولهدف عال معين أيضاً.

إن الهدف الذي ذكرته الآيات بعد ذكر القتل في الآية الأولى هو تعبير أصدق ما يكون تعبيره في صدق التوبة. وهو من جانب آخر خير للآتي به ولمشاهده ومتناقل خبره في الثبات أمام أصعب شيء يفرض تنفيذه.

وفي الآية الثانية نفس هدف الخير، وإضافة إليه ما قدمنا ذكره من الثبات. . الخ. وتعقبها فيما تعقبها آيتان تتحدثان عن العطاء مقابل ذلك، ألا وهو: الأجر العظيم، والهداية إلى الصراط المستقيم.

والممارسون عزاء الحسين(ع) إضافة إلى تعابيرهم المختلفة عن مودة ذوي القربى الذين أمر الله بمودتهم. . الخ، إضافة إلى ذلك إنما يهدفون هذه الأهداف العالية المذكورة.

فإضافة إلى ما يترتب على ذلك من الأجر العظيم، والمواساة. . كم من معوج أمامها وجد على نفسه لزاماً أن يتجاوب ولو على قدر أدنى مع الصراط المستقيم. كما سيأتي الحديث عن هذا الجانب في نفس موضوعنا هذا بعدما يلي من عدم المانعية من أبرز أعمال العزاء. ألا وهو:

٤- اللطم: ويكفي الاستدلال على جوازه بالشكل المحدود المتعارف عليه لتخفيف الوجد والكبت فضلاً عما يعبر به عن مقصد سام بشرط عدم إنزال الضرر البليغ في الجسم - يكفي من ذلك ما جاء في السنة مما ذكرته كتب السيرة النبوية والتاريخ المعنية من قضية صفية بنت حي بن أخطب لما جيء بها إلى النبي(ص) رأى في وجهها أثر اللطم، فسألها عن ذلك فقالت: مر بي هذا الحبشي. . وأشارت إلى بلال (رض) مر بي هذا الحبشي على جسد أخي مرحب فرأيته قتيلاً وبدمائه غسيلا فلطمت بيدي على وجهي. . فالتفت النبي(ص) إلى بلال وقال له: ما أقسى قلبك أتمر

بالمرأة الضعيفة على المقتول من أقاربها . . هل تطيق أخت أن تنظر إلى أخيها وهو مضرج بالدم . . الخ .

يفهم من هذه القضية ونحوها . . أن النبي(ﷺ) لم يستنكر اللطم - بل عذر صاحبه مع أنه كان على الوجه . وهو أوجع من اللطم على الصدر لرقة الوجه واحتوائه على مارق ، وإنما استنكر على الذي سبب اللطم لها . وهذا كما يكون للنساء يكون للرجال . ولا فرق بين امرأة ورجل في ذلك عندما يجمعها إطار الضعف أمام المآسي والحوادث المؤلمة وما يوقع النكبات .

ولهذا . . ترى اللاطمين ، في ذكرى مأساة الحسين(ؑ) إنما يعبرون عن العواطف الجياشة والمودة الصادقة . من جانب ، كما يعبرون من جانب آخر بنفس لطمهم ، يعبرون عن السخط على الظالمين المتسلطين ، ابتداءً من هنالك وصولاً على هنا ، وامتداداً حتى النهاية . ففي كل الأزمان يزيد وابن زياد ، وفي كل زمان ضعفاء يعبرون عن ذلك باللطم ونحوه . . الخ .

فترى فيما ترى الذين لا يدركون هذا المعنى يهزؤون بهم ويسخرون . . وترى فيما ترى أصحاب السلطة الظالمة منهم - وليس أصحاب كل سلطة - يتضايقون ويحاولون تشويه ذلك بدعاياتهم أو قمعه بيد القوة والبطش . . الخ . فكأن يد اللاطم لا تضرب على صدره نفسه بل تصفع رؤوس أهل البغي والعدوان . . الخ . في معنى . . وتعطي معنى للوله على المظلومين والتعاطف معهم ومع أمثالهم في كل زمان . في ميادين الإيمان والتضحية في سبيل الحق والموت بالعز على الحياة بالذل . كما تعطي معنى لإيقاظ شعور حتى من هم أقل ما يكون في مستوى الشعور - ولذلك قال حيون الفرنسي كما أوردت ذلك ونحوه في كتابي كفاية الخطيب عن مصادره وما إلى ذلك - قال : «إنها توقظ شعور من لا شعور لهم» يقصد ذكر الطف وما إليها من تعابير صارخة . . الخ .

ومعنى رابع - بل وأكثر - يهدف إليه اللطم ونحوه ، ألا وهو عدم الغفلة مع الغافلين والتلهي مع اللاهين عمن تحل بهم المآسي والنكبات كمأساة

فلسطين ونحوها. فيتلهون عنها بالولائم والسهرات أو إشادة معارض فنية ونحوها تصرف فيها الآلاف بل الملايين من النقود وكان أولى أن تصرف لمعالجة المأساة والعمل على الخروج من النكبة وإيجاد الوسائل الناجحة للجبر بعد الكسر والانطلاق بعد الأسر حتى تحقيق النصر.

وأذكر بالمناسبة في عام ١٩٥٥م أقيم معرض فنون البصرة في ظروف أشد ما تكون ضراوة. فكان مما قلت في قصيدة لي بالمناسبة - لم يهزني بإطرائه عليها مشكوراً الدكتور صفاء خلوصي وأمثاله - لما كان يحز في نفسي ما ذكرته فيها. وقد نشرتها مجلة العرفان اللبنانية في ذلك الوقت. قلت:

للفن شيدنا معارضنا ولم يعرض لكف الغصب أي معارض

لم لا نشيد للمآسي مأتماً يملي دفاع حواجز وعوارض

ونرى -فلسطين الجريحة- لم تزل هي بين معترك وشر مناهض.. الخ

ولم يقتصر الحال على ذلك الوقت، بل استمر حتى الآن على ذلك ونحوه وأكثر.. بما في ذلك الدبك والضحك والرقص.. ومن ذلك مثلاً: في الظروف التي كانت فيها مذابح صبرا وشاتيلا وما تلاها حتى مذابح الفلسطينيين فيما بينهم ويا للأسف. نشاهد فيما نشاهد مثلاً: مساء السبت ٢٢/ ١٠/ ١٩٨٣م ١٥/ محرم/ ١٤٠٤ في تلفزيون أبو ظبي - وليس وحده كذلك بل غيره أيضاً وربما أكثر - شاهدنا رجالاً في صفين متقابلين في هنجلة، يرفسون الأرض بأرجلهم رائحين جائين يرددون مستهل قصيدة غرام ولهو شعبية يلقيها عليهم أحدهم:

حجيي خله يبو مزعل لو سمعته ما تمله

هؤلاء يضربون بأرجلهم واللاطمون يضربون بأيديهم على صدورهم.. ويرددون مستهلات قصائد أيضاً:

وين العدالة يهل الرسالة.. الخ

بالله عليك أيها القارئ اللبيب، أي الفريقين أولى بالسخرية، وأيهما أجدر بالعناية والتقدير؟ الذي يلهو ويغفو.. أم الذي يوقظ ويدعو..؟

أما غير اللطم من أمور أخرى فيما للمآتم الحسينية.. فتلك تعابير أيضاً عن هذه المعاني وما إليها.

وقد ألفت في ذلك كتاباً عنوانه الفتاوى والتقارير في العزاء والشبيه والسلاسل والتطبير.. الخ، وهو مطبوع وعليه: إذا كان في اللطم أو فيها ما ينتقد على الوجه الصحيح من النقد، فذلك قل أن يسلم منه أي مظهر من مظاهر التعابير المختلفة في ميادين الحياة الخاصة والعامة.. مما ينبغي تصحيحها، لا إلغاؤها.. ما دام أصلها، التعبير العالي المطلوب.

أما إذا كان النقد الموجه على غير الوجه الصحيح.. فهو مما يصح أن يقال أمام موجهيه عندنا لطم، وإلى جانبه لطم على لطم فيما قاله أحد الشعراء:

مؤذننا هندي وكردي خطيبنا تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم

وإذا عرف اللطم ونحوه بأسلوب حاد للتعبير عن السخط فيما يعبر به. فالحالة التي يقابلهم بها المعارضون - وبعضها هستيرية - هي في الحقيقة لطم أيضاً على افتضاحهم في المعارضة سواءً شعروا بذلك أم لم يشعروا فنصيحتي إليهم أن يتبينوا الأمور لئلا تصيبوا ﴿قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾ ونصيحتي للاطمين ونحوهم في الإعراب عن المقاصد العالية أن لا يتجاوزوا الحدود فما تجاوز حده انقلب إلى ضده. وكذلك بالنسبة لمن تجاوز في نقده.

مسألة المقابلة بالمثل في التعديات مع مراعاة تقوى الله

مما في القرآن ما جاء في الآية ١٩٤ البقرة ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أما السنة وكتب السنة لا تمنع من مقابلة المثل بالمثل. كذلك مع مراعاة تقوى الله.

ومن ذلك مثلاً كان في مقابل هجاء بعض شعراء المشركين رسول الله(ﷺ) ما قابله شعراء من الصحابة (رض) كعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت. ومنه قول أحدهما يخاطب أحد أولئك المعتدين المشركين:

أتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء و. . الخ

لقد سبق في موضوع اللعن والسب والشتم وما يجوز منهما وما لا يجوز أن معاوية أول من بدأ بذلك بشكل مفرق ممزق. وليس الشيعة.

كما وهو، ومن بعده الحجاج الثقفي بدؤوا بالتمثيليات الشنيعة إضافة إلى السب والاضطهاد ومن ذلك:

١ - مثلاً خبر عبادة المخنث المشهور وهو أنه كان أصلعاً ويربط وسادة على بطنه، ويدخل المجلس في مشية مضحكة فيستقبل بالضحك والتشجيع وكلمة جاء الأنزع البطين أبو تراب يعنون علي بن أبي طالب. حتى أن أحد جلساء معاوية من قومه لم يطب له هذا التمثيل فأنكر ذلك. وفيما قاله لمعاوية أتجرؤ مثل هذا على ابن عمك علي وأنشد:

إذا كنت أكالاً لحوم بني أبي فلست بمهديه إلى كل جازر

فلم ينفك معاوية عما هو فيه، بل استمر في ضحكه، وهو ينظر إلى من حوله ويشير إلى المعترض ويقول:

غـــار الفتـــى لابـــن عمـــه رأس الفتـــى في حـــر أمـــه

وهذه وأمثالها مما دفع ببعض الشيعة ليس كلهم - إلى تمثيليات بالمقابل في ربيع الأول - ثم تركوها، لنهي علمائهم عنها لاعتبارات منها:

ولئن جريت مع السفيه كما جرى فكلاكمـــا في جريـــه مذمـــوم

٢- ومثلاً من ذلك أيضاً ما ذكره الشيخ الأنطاكي في كتابه لماذا اخترت مذهب الشيعة؟ ص٣٠٣ وكان سنياً من قبل. قال في معرض رده على من يعارض المجالس الحسينية وما إليها، قال ما نصه: «فأي بأس بهذه الأعمال المقدسة المحبوبة عند الله ورسوله والصفوة من آله - يشير إلى ما تقدم ذكره ونحو ذلك مما في موضوع المجالس الحسينية ونحوه في كتابنا هذا تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة فراجعه إن شئت - قال في ص ٣٠٣-٣٠٤: أي بأس على الشيعة فيها، لكن البأس كل البأس والنقد الشديد موجه إليكم وهو أنكم أخذتم ببدعة يزيد بن معاوية الطليق بن الطليق إذ إنه جعل في كل سنة في العشر الأول من المحرم عيداً يقيم فيه الأفراح وينصب الزينة وتقام مهرجانات ويسميه عيد النصر والفوز وأشفعه ببدعة أخرى تدل على خسّته ودناءته فإنه أتى بمومس تشبه في صفتها جدته هند بنت عتبة فيجمع الأخساء من بني الشجرة الملعونة ويأتي بآلة الطرب والخمر وكل ما يلزمه من الأشياء وتعزف الموسيقى وتقدم تلك المرأة ذات العهر والفجور للرقص وأطلق عليها (الحاج زينب) يريد تشبيهها بعقيلة الوصي زينب الكبرى بطلة كربلاء. فأي الفريقين أحق بالأمن يا مسلمون؟ فدعوا الشيعة وشأنهم فإنهم نعم الفرقة التي عناها رسول الله(ﷺ) من الثلاث والسبعين فرقة. لهذا اعتنقنا هذا المذهب الشريف وتركنا المذهب السني..».

هذا ما نقلته هنا بالمناسبة عن الكتاب المذكور بنصه من غير زيادة أو نقصان. وليس في الشيعة من يفعل مثل هذا فيما يقوم به بعضهم من تمثيل واقعة الطف فهم يقتصرون على تمثيل بعض مشاهد الفاجعة لا أكثر.

ومن الطريف ما حدث في الدمام عام ١٩٦٤م من مداهمة مجلس حسيني هناك وأحد أعضائه يدعى ميرزا أحمد يقرأ كتاباً في مولد النبي(ﷺ) وسيرته. وذلك في أول ربيع الأول في جماعة حوله. فظن به بعض أفراد السلطة أنه يقرأ ما هو من قبيل ما تقدم ذكره من تمثيليات مضادة فاعتقلوه وأفراداً معه أياماً. وتفحص الكتاب فلم يجد مما ظنّوه، فأطلق الرجل ومن معه. نسأل الله التبصير والهداية للجميع.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب : هل يجوز التوسل إلى الله بالأحياء والأموات أم لا؟.

١ - مما في القرآن الكريم : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ آية ٦٤ النساء والآية : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ وفي موسى (ع) آية ٦٩ من سورة الأحزاب ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ وفي عيسى (ع) آية ٤٥ آل عمران : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

فلم تنتزع الوجاهة من موسى وعيسى بل هي مستمرة كما هي مستمرة لمحمد (ﷺ) من حال الحياة حتى بعد الممات وإلا لما قبل وجاهتهم إليه للمهمة المذكورة.

وإلى مجموع ذلك وما إليه أشرت في أبيات من قصيدة لي في مناسبة بقولي :

فوجاهة ووسيلة	قرآننا لهما ارتضى
في سورة الأحزاب مو	سى للوجاهة عرضا
وبآية في آل عمـ	ـران المسيح بها حضى

تلكم الآيات مما في القرآن.

٢ - وأما مما في السنة ما جاء في سنن النسائي وسنن الترمذي، أن النبي (ﷺ) علم بعض أصحابه أن يدعوا فيقول : «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربي في قضاء حاجتي ليقضيها لي. اللهم شفعه في». وفي وفاء الوفاء للسمهودي وخلاصة الكلام لابن دحلان والجوهر المنظم لابن حجر ومصباح الظلام للحافظ ابن النعمان عن علي (ع) أن أعرابياً جاء ورمى بنفسه على قبر النبي (ﷺ) بعد وفاته بثلاثة أيام وحثا من ترابه على رأسه وتلا الآية :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ..﴾ الآية المتقدمة الذكر - وتوسل إلى الله تعالى بالنبي(ﷺ) فلم ينكر عليه ذلك أحد.

هذان الحديثان بالإضافة إلى كونهما يستفاد منهما التوسل إلى الله سبحانه بنبيه(ﷺ) حياً وميتاً. يشير الحديث الأول إلى مسألة الشفاعة. وستأتي في موضوع خاص من مواضيع هذا الكتاب. والحديث الثاني يشير إلى قداسة التربة التي ضمت جثمان الرسول(ﷺ) كشيء يعرض فيما يعرض في مجال التوسل.

ونعود إلى الموضوع: فمما يطرح نفسه من أسئلة بخصوصه. سؤال هو: عما إذا كان لمخلوق حق إلزامي على الخالق سبحانه فيقسم به عليه ويتوسل إليه..؟

والجواب: ليس لمخلوق على الخالق أي حق إلزامي. وبعبارة أخرى حق واجب على الخالق سبحانه إلا ما تفضل به فأوجبه على نفسه وهو على قسمين في تنفيذه.

١- ما يكون ابتداءً منه سبحانه حيث قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آية ٤٧ سورة الروم. وجاء في الأدعية المأثورة: «يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله..» الخ.

٢- ما يكون إجابة لمن سأله. والأحاديث والوقائع في ذلك كثيرة.

فإضافة إلى الحديث المتقدم في تعليمه لبعض أصحابه، ما ذكره الحاكم في الكبير والأوسط والطبراني ونحوهما من قوله(ﷺ): «اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي» الخ.

وفي وفاء الوفاء ج٢ ص٤٢٢ في مقابلة أن الإمام مالك (ره) قال: له المنصور الخليفة العباسي في مسجد رسول الله(ﷺ) استقبل وأدعو أم أستقبل رسول الله(ﷺ)؟ فقال له: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به ليشفعك الله. قال

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً..﴾ الخ. الآية

وهذا ما اتفق العلماء على صحته كما في خلاصة الكلام لابن دحلان والشفاء للقاضي عياض وشفاء السقام للسبكي ووفاء الوفاء للسمهودي والمواهب للقسطلاني وتحفة الزائر والجوهر المنظم لابن حجر وغيرهم.. الخ.

وفي المستوعب للشاوي الحنبلي وعنه نقل السمهودي فيما نقله، أن يجعل الزائر قبر النبي(ﷺ) تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ويقول في دعائه: «اللهم إنك قلت في كتابك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ..﴾ الآية الخ، وإني أتيت إلى نبيك» الخ ص٢١٦.

ورغم ما جاء في رسائل الهدية السنية للشيخ محمد عبد الوهاب الذي ينتمي إليه إخواننا الوهابيون. رغم ما جاء في الرسائل المذكورة من أمور يختلف بها عن الآخرين من المسلمين فإنه قرر في الرسالة الثانية منها بأن رتبة النبي(ﷺ) أعلى مراتب المخلوقين وأنه حي في قبره حياة برزخية وأنه من أنفق أوقاته بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدنيا والآخرة.

ويبدو فيما يبدو من قوله أعلى مراتب المخلوقين يريد المخلوقين المخصوصين بالرتب العالية - فقد أورد لفظ أعلى - ولم يورد لفظ سائر.. ذلك لأن في المخلوقين من ذوي الرتب العالية متنعمين بتلك الحياة البرزخية.. ومما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ..﴾ الخ.

ولم يكن التوسل مقتصراً على هذه الحدود فقد ذكروا فيما ذكروا توسل بعض المذاهب الإسلامية (ره) ببعض إلى الله سبحانه، وتوسل بعض المؤمنين بالآخرين وبنفسه إلى الله بقضاء حوائجه.

فمن الأول مثلاً ما جاء في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، لابن حجر (ره) فصل ٢٥ أن الإمام الشافعي (ره) كان يزور أبا حنيفة ويتوسل به إلى الله في قضاء حوائجه وأن الإمام أحمد بن حنبل (ره) توسل إلى الله سبحانه بالإمام الشافعي (ره) حتى تعجب منه ولده عبد الله (ره) فقال له الإمام أحمد: بني إن الشافعي كالشمس للناس والعافية للبدن.

وإن الإمام أحمد لما بلغه أنّ أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى بالإمام مالك (ره) لم ينكر عليهم.

وفي الصواعق المحرقة من توسل الإمام الشافعي نفسه فضلاً عن غيره منهم بأهل البيت(عليهم السلام) قوله:

آل النبـــــي ذريعتـــــي وهـــم إليـــه وسيلتي

أرجـــو بهـــم أعطـــى غـــداً بيدي اليمـين صحيفتي.. الخ.

ومن الثاني مثلاً ما جاء في سنن ابن ماجه في الخارج إلى الصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين إليك - وبحق ممشاي هذا».

ونحو هذا وذاك كثير مما يطول المقال بذكره، وهذا كاف. فهل يقال بعد هذا وذاك ونحوهما فيمن يتوسل إلى الله سبحانه على هذه الأسس القويمة هذا شرك؟.

٣- مما إلى القرآن والسنة:

يجري المسلمون اليوم كما بالأمس، ويجري غيرهم كذلك. وإن كانوا لا يمتون إلى القرآن والسنة بصورة مباشرة فهم يجرون وفق ذلك.

ومن ذلك مثلاً أن ملوك الأرض تفتح الأبواب لرعاياهم وفي مقدمتهم بعض الوجهاء منهم لإخلاصهم ويأتي بعض المقصرين من الرعايا إلى أولئك الوجهاء يتوسلون لرفع أمرهم إلى أولئك الملوك ويتفضل الملوك - دون أن يجبرهم أولئك الوجهاء - يتفضلون بالعفو عن أولئك المقصرين وليس في ذلك من بأس.

فكيف بالله سبحانه، وله المثل الأعلى، وقد جعل من خلقه وجهاء عنده لإخلاصهم له وقد قال في بعضهم: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً..﴾ الخ. وفي بعضهم بصيغة دعاء واجعلني عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة، كما تقدم ذلك في صدر هذا الموضوع.

وعليه فلو أن كل خلقه في المنزلة سواء، لما دل سائر خلقه على وجهاء من خلقه عنده، وهل الوجاهة، إلا أن يستفيد بها صاحبها ويفيد الآخرين، ولا جبر في ذلك، وإنما هو التفضل وحده. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء..

فهل يقال بعد هذا وذاك ونحوهما. فيمن يتوسل إلى الله سبحانه على هذه الأسس القويمة.. هذا شرك..

جواب هل يجوز التبرك بما للأنبياء والصالحين أم لا..؟

مما في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة في آية ٢٤٨ : ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ..﴾ الخ. فمما في هذه الآية ذكر ما مسه أولي الأنبياء المذكورين.. مما يعطي صورة من صور التبرك للخلاص مما هم فيه واقعون.

وكان رسول الله(ﷺ) يتبرك ليس فقط بما لمسه التبرك بل حتى بما يلمس ما فيه التبرك ومن ذلك ما ذكروه من خبر المحجن في ملامسته الركن المبارك..

كما يحل البركة فيما تمسه يده أو جسمه أو ثيابه.. الخ.

ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ذكر فاطمة بنت أسد (رض) بسنده عن ابن عباس (رض) أنها لما ماتت ألبسها رسول الله قميصه واضطجع معها في قبرها. فقالوا يا رسول الله ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه؟ فقال: إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر لي منها. إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون ما عليها.. الخ.

وفي وفاء الوفاء ج٢ ص٨٨ عن ابن أبي شبة عن عبد العزيز بن عمران في حديث لما توفيت فاطمة هذه اضطجع(ﷺ) في لحدها وقرأ فيه من القرآن ونزع قميصه وأمر أن تكون فيه لتأمن من ضغطة القبر. وفيه عن جابر الأنصاري (رض) أنه نزع قميصه لتجعل به وتمعك في اللحد. ولما سئل(ﷺ) قال: أما قميصي فأريد أن لا تمسها النار وأما تمعكي ليوسع الله عليها في قبرها.. الخ.

ومثلاً مما تبرك به الناس مما إليه(ﷺ) منبره الشريف، وقبره المقدس.

وأخبار التبرك عنه(ﷺ) كثيرة ومنها مثلاً أن أبا أيوب الأنصاري (رض) الذي كان لبيته شرف نزول رسول الله(ﷺ) من دون كل البيوت في المدينة يوم

هاجر إليها إلى أن بنى مسجده وبيتاً لابنته فاطمة(ﷺ) وبيوتاً لأزواجه حول المسجد، فقد روى قاضي القضاة تقي الدين السبكي صاحب كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام. بسند صحيح متصل موثوق به أن مروان بن الحكم أقبل يوماً فرأى رجلاً ملتزماً قبر النبي(ﷺ) فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فقال: إني لم آت الحجر ولم آت اللبن إنما جئت رسول الله(ﷺ). سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله. قال المطلب بن عبد الله بن حنطب وذلك الرجل هو أبو أيوب الأنصاري (رض).

وروى هذا الخبر فيمن رواه السبكي عن أبي الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر في كتابه أخبار المدينة. كما رواه أيضاً السمهودي في وفاء الوفاء المذكور آنفاً، في موضعين أحدهما في ج٢ ص٤١٠. والثاني قبله بقليل بسند معتمد آخر ذكر فيه قول أبي أيوب (رض) لم آت الحجر ولم يذكر اللبن وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

وكان السبكي المتقدم الذكر قد أورد في الرد على من زعم عدم جواز التمسح بقبر النبي للتبرك كما ذكر وذكروا أيضاً تمريغ بلال مؤذن النبي(ﷺ) وجهه على قبره(ﷺ).

وفيه - أعني كتاب وفاء الوفاء - وصاحبه شافعي المذهب عن تحفة ابن عساكر الدمشقي، وهو حنبلي المذهب بسند صحيح عن طريق طاهر بن يحيى عن الحسيني عن أبيه عن جده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي(ع) أنه لما رمس رسول الله(ﷺ) جاءت فاطمة فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينيها - وفي نسخة وقبلتها - وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا..

قال: وذكر الخطيب بن حملة أن عمر (رض) كان يضع يده اليمنى على قبر النبي(ﷺ) وأن بلال(رض) وضع خده عليه. ومما هو مشهور - كما في وفاء الوفاء أيضاً ونحوه - أن أبا بكر وعمر (رض) أوصيا بأن يدفنا عند قبره(ﷺ) تبركاً بتلك البقعة التي ضمت جسده الشريف.

ومما يذكر أن المأمون الخليفة العباسي أمر بدفن الإمام علي الرضا(ع) إلى جنب قبر أبيه هارون وقال: أرجو أن ينفعه الله ببركة ابن رسول الله(ﷺ).

ونعود إلى أصل الموضوع ففيما رووه أيضاً - بمن فيهم صاحب وفاء الوفاء وقد جمع ذلك عنهم - ومنه أن عبد الله بن عمر (رض) مسح يمنة النبي(ﷺ) تبركاً به وأن سعيد بن المسيب (رض) مسح بردائه ذلك المنبر تبركاً به أيضاً ومثل هذا ونحوه وأكثر منه كثير وكثير..

ومن ذلك مثلاً ما رووه بسند عن أبي خيثمة أنه كان ابن المتكدر (رض) تصيبه الصمات فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي(ﷺ) ويقول أنه: تصيبني خطرة فأستشفي بقبر النبي فيشفيني الله وكان يأتي موضعاً من المسجد في الضحى فيتمرغ فيه ويضطجع له في ذلك فقال: إني رأيت النبي(ﷺ) أراه قال في النوم..

قال السبكي في كتابه شفاء السقام: «إن من المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه وفيه حط لرتبة النبي إلى درجة غيره وذلك كفر بيقين فإن من حط رتبة النبي عما يجب له فقد كفر، فإن قيل هذا ليس بحط، ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب. قلت هذا جهل وسوء أدب ونحن نقطع بأن النبي(ﷺ) يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب في ذلك من في قبله شيء من الإيمان (انتهى كلام قاضي القضاة السبكي الشافعي (ره).

وبما في مجال المذهب الحنبلي (ره) ما ذكره العزيز بن جماعة عن كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (ره) سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى. . قال: لا بأس به.

وبما في مجال المذهب المالكي ما رووه أيضاً عن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك (ره) أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسن - يعني بذلك الإمام مالك نفسه - وإلا فإن شيخه لو لم يستحسن ذلك لما فعله.

وبما في مجال المذهب الحنفي: ما هو أكثر بما سبق. وفيما يراه كل أحد من مسح قبره نعشه من قبل زائريه حتى اليوم ببغداد فضلاً عن عمل زوار قبر النبي(ﷺ) من أتباعه بمن مسح قبر النبي(ﷺ) ومن إليه والتقبيل والتوجه عنده بالدعاء إلى الله سبحانه. وكذلك اتباع المذاهب الإسلامية المذكورة وغيرهم بمن فيهم اتباع مذهب أهل البيت(ع) ليعطي الدليل تلو الدليل على جواز ذلك وأن ما نقل عن بعضهم خلاف ذلك فهو إما تأول أو توهم مردود أو نقل مستورد مشبوه أو قول من قبيل الأقوال الشاذة التي لا يعتد بها.

جواب عن شد الرحال أهو للمساجد الثلاثة؟

السؤال هنا . . عن حديث : لا تشد الرحال إلا لثلاثة : إلى البيت الحرام ، أو المسجد الأقصى ، أو مسجدي هذا» . هل يحرم السفر - إلى غيرها - كما تأوله أو يتأوله متأول . . أم لا . . ؟

الجواب : مردنا هنا - كما في كل هذا الكتاب - إلى القرآن والسنة وما إليهما .

مما لا جدل فيه أن شرعة الله واحدة وما كلف الأنبياء به من التبليغ . . وكان خاتمهم نبينا محمد (ﷺ) وكان مما أقره عليه الأنبياء قبله شد الرحال للسفر إلى ما هو مشروع مما لم يحصر في مساجد أو أماكن ثلاثة .

فهؤلاء مثلاً أخوة يوسف الصديق (ﷺ) ذكر فيما ذكر من خبرهم مما لا ينكر عليهم : شد الرحال إليه .

ومما جاء في ذلك في سورة يوسف آية ٦٢ : ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ..﴾ الخ ، آية ٦٢ وهذه رحلة الشتاء والصيف يقرها القرآن ويجعلها تنبيهاً على عبادته وشكره على نعمه إذ قال تعالى : ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ومما يستفاد من الآية ٤٢ سورة التوبة ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة...﴾ : ما جاء في التفاسير : لو كان المكان الذي تقصدونه قريباً والسفر إليه سهلاً لاتبعوك ، لكنهم وجدوه صعباً وبعيداً فتخلفوا . . الخ . ففيما في هذه الآية نقد موجه لمن تثاقل وتخلف عن السفر المشروع . . لمنافع مشروعة ديناً ودنيا وعلى رأسها السفر للجهاد وكما في سياق الآية والتي قبلها وبعدها . . الخ . ولا خفاف في

أن الجهاد أصغر وأكبر وكلاهما دعا إليه كل من القرآن والسنة الشريفة . . الخ . بما في ذلك قصد المساجد لما في ذلك الإعداد الروحي والفكري .

ولقد درب رسول الله (ﷺ) الذين معه . . على ذلك وحثهم وشجعهم عليه ؛ حتى أنه كان إذا شد رحلاً إلى سفر قريب لم تفته الإشارة في التشجيع على البعيد . .

ومن ذلك مثلاً مسجد قبا - وهو غير المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث - ويبعد عن مركز المدينة المنورة القديمة فضلاً عن غيره من الأقطار حوالي عشرة كيلومترات ؛ وتستغرق من الوقت في ذلك العصر أكثر من عصرنا هذا .

روى البخاري في صحيحه كما وفي شرحه إرشاد الساري ج٢ ص٣٣٢ أن النبي (ﷺ) كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشياً وراكباً وإن عبد الله بن عمر (رض) كان يفعل ذلك .

وفي الكتاب المذكور مما ورد في فضله عن ابن أبي شبة في أخبار المدينة بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص . قول النبي (ﷺ) : «لأن أصلي في مسجد قبا ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس (المسجد الأقصى) مرتين ، لو يعلمون ما في قبا لضربوا إليه أكباد الإبل» .

وهذا الحديث ينص على الاستحباب الأكيد للسفر إليه من بعيد فإن ضرب أكباد الإبل يعطي صورة عنه . . وفي سنن النسائي : ويعد من الصحاح الستة بسند له أن النبي (ﷺ) كان يأتي قبا راكباً وماشياً وأنه قال من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قبا فصلى فيه كان له عدل عمرة . ومثل هذا ما نقله عن الطبراني صاحب إرشاد الساري . .

ومسجد قبا هذا لم يكن من المساجد الثلاثة المذكورة في حديث لا تشد الرحال . . الخ ، وقس على ذلك كما يقال وعليه . فلا منع في شد الرحال إلى غيرها . وإنما ذكرها لإبراز فضلها .

قال النـووي في شرح صحيح مسـلم ج٢ ص٣٣٣: إن في هـذا الحديث بيان عظيم فضيلة هـذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها لأنها مساجد الأنبياء ولفضل الصلاة فيها.

وعـن قصـد المواضـع الفاضلـة الأخـرى كالمسـاجد الأخـرى وقبـور الصالحين. قال: إن الصحيح عند أصحابنا. وذكر الجويني والقـاضي عياض وإمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره.

واستدل السمهودي في كتابه وفاء الوفاء ج٢ ص٤١٤ بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَـدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، استدل على مشروعية شد الرحال للسفر لزيارته(ﷺ).

وفي تهذيب المطالب لعبد الحـق ج٢ ص٤٠٨ أن ممن شـد الرحـال لزيـارة قبر رسول الله(ﷺ) من الشام إلى المدينة الصحابي بـلال (رض)، وروي أيضاً أن بلال ابتدأ بزيارة فاطمة كما كان رسول الله يبدأ بزيارتها عندما يقدم من سفر. ولما لم يجدها زار قبرها..

وولد فاطمة داخلون في فضيلة زيارة فاطمة(ﷺ) ومن ذلك مـا ورد في حديث النبي(ﷺ) لعلي(ﷺ) أن الله جعل قبـور أهـل بيتي - وفي نسخة ذريتي - بقاعاً من رياض الجنة.. الخ. وذرية النبي من فاطمة وعلي(ﷺ) كما هو معلوم..

وقد سبق للنبي(ﷺ) أن قال - كما هو معلوم أيضاً - ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة.

وعليه فشد الرحال إلى زيارة روضة من رياض الجنة، أمر محبب للغاية إضافة إلى ما هناك من متعلقات به مهمـة للغاية أيضاً.. ولهذا أنه لما أسلم كعب الأحبار وعمـر (رض) بالشـام - كمـا في كتـاب فتـوح الشـام - دعـاه أن يسير معه ليزور قبر النبي(ﷺ).

وعليه فليس حديث لا تشد الرحال.. الخ بمانع عن شدها لغير المساجد الثلاثة، وإلا لما جاءت مشروعية قصـد مسـجد قبـا وزيـارة قبر النبـي وآلـه

والصالحين . . الخ . والسفر للجهاد ، إذ قال سبحانه : ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً﴾ والسفر إلى مختلف نواحي الأرض للعلم والتجارة والعلاج وللاعتابرة والتنزه . . إذ قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا..﴾ الخ . بل حث على ذلك إذ قال سبحانه : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها..﴾ الخ . . وإنما جاء الحديث المذكور كما قال النووي شارح صحيحي مسلم فيما تقدم وكما قال غيره أن ذلك لبيان فضلها لا للمنع من شد الرحال إلى غيرها - كما تقدم - .

ولأضرب لك مثلاً : لو جاء حديث في أن لا طيب في الطعام إلا في الأحمرين خبز البر واللحم . فهل لا يطيب غيرها . . ؟ أم ذلك لإبراز أهميتها . . ؟

ومثلاً رواية صحيح البخاري (رض) وغيره في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ . إن النعيم هو الرطب والماء البارد فهل أن غيرها ليس من النعيم . . ؟ أم لكونها بلذة إلى درجة بارزة . . ؟

وللمساجد الثلاثة المثل الأرفع . في الغاية من إبراز فضلها لمن لم يعرفه بعد . لا بأن لا يجوز شد الرحال إلى غيرها . . وبهذا كفاية .

معنى خليفة وخلافة هارون وعلي وعدد خلفاء النبي(ص)

السؤال من الحاج عزيز داود مؤذن مسجد الحسين بأم خنور في الشارقة، يوم افتتحه. فالجواب ما يلي:

لكلمة خليفة ستة معاني:

١- الخليفة: البدل. ومنه ما جاء في الآية ٣٠ سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ الخ، أي جاعل آدم(ع) ومن إليه، بدلاً من الذين كانوا من قبل فكان آدم أول خليفة.

٢- الخليفة النبي أو الممثل عن النبي كخلافة هارون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي..﴾ الخ، آية ١٤٢ الأعراف، وتعني: مثلني.

وكما كان هارون خليفة ممثلاً لأخيه موسى(ع) كان علي(ع) خليفة لرسول الله(ﷺ) ممثلاً له وقد مثله في عدة أمور مهمة منها في إبقائه في مكة ليلة الهجرة ليؤدي الودائع لأهلها ويأتي بالفواطم إلى المدينة وما إلى ذلك.. الخ، ومنها تمثيله في أداء سورة براءة. ومنها يوم توجه إلى تبوك خلفه في المدينة وقال فيه قولاً لا يختلف فيه أحد من المسلمين: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي..» الخ.

هذا إضافة إلى تعيينه إياه للخلافة، ابتداءً من حديث الدار إلى حديث الغدير إلى ما بعده و.. الخ.

ناداهم من يؤازرني يكن خلفي ... بعدي ويغدو أميراً حاملاً علمي
فلم يلب نداه من عشيرته ... سوى علي علي القدر والشيم
لذاك صار له حق الخلافة في ... يوم الغدير بفضل الله والهمم[1]

---

(١) من وحي البردة للمؤلف.

وحديث الغدير في تخليف النبي(ﷺ) علياً(ع) ألف فيه أكثر من كتاب واحد ومراجعة واحدة.

وإننا لنرى الملك أو الرئيس إذا غاب عن بلده يخلف من يقوم مقامه ولا يترك الناس سدى.

٣- الخليفة داود النبي(ع) في قوله تعالى: ﴿يا داوُدُ إنّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقّ..﴾ الخ، آية ٢٦ ص.

والخلافة ليست أمراً سهلاً فمما ورد في هذا مثلاً: أن لقمان الحكيم(ع) نادته الملائكة من حيث يسمعهم ولا يراهم: هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس..؟ فقال: إذا أمرني ربي فالسمع والطاعة لأنه إذا فعل بي ذلك أعانني وعلمني وعصمني وإذا هو خيرني قبلت العاقبة قالت الملائكة: لم..؟ فقال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل في الدين وأكثر فتناً وبلاء.

فعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه. فلما أمسى أنزل عليه الحكمة وغشاه بها. فلما انتبه من نومه نطق بها واشتهر.

ولما لم يقبل الخلافة أمر الله الملائكة فنادته في المحراب داود(ع) فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان فأعطاه إياها وابتلي بها وكان قد يهوى في خطأ فيقيه الله ويغفر له. وكان لقمان يكثر زيارته ويعظم بمواعظه وكان يقول له داود: طوبى لك لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية. وأعطي داود الخلافة وابتلي بها.

٤- الخليفة الرابع في هذا العد هو: علي بن أبي طالب(ع) فقد أنزل الله فيه فيما أنزل كما في عدد من التفاسير وأسباب النزول ونحوها.. الآية ٦٧ سورة المائدة: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾.. وفي مصحف ابن مسعود لفظ - في علي - كتفسير وذكر الإمام شرف الدين في المراجعات مع البشري شيخ الأزهر الشريف

ذلك وغيره من أسانيد كتب السنة أنفسهم يمكنك مراجعتها في الكتاب المذكور والغدير.

٥- الخليفة الساكن ومنه ما جاء في سورة الأعراف آية ١٢٩ : ﴿عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ونحوها من الآيات بما فيها الآية ٥٥ سورة النور: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً..﴾ الخ، أي يسكنهم الأرض بتمكين وأمن.. الخ.

٦- الخليفة الولد ومنه ما جاء في الآية ٥٩ سورة مريم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي ولد وذرية.. الخ. والولد والذرية: الخلف على قسمين:

١- قسم ممن تشير إليهم هذه الآية بعد الجملة فخلف من بعدهم خلف - ﴿أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً * إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً..﴾ الخ.

٢- قسم ممن تشير إليهم الآية ٢١ سورة الطور: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾ الخ.

وعلى رأس تلك الذرية، ذرية النبي(ﷺ) وعلي(ع) الخلفاء من أهل البيت الطاهرين المعنيين إذ لا يعقل أن مثل محمد(ﷺ) الذي شهد له بأصالة الرأي حتى الأجانب الأباعد فضلاً عن الوحي وما إلى ذلك. فكيف يعقل ويقبل إنكار ذلك؟ وكيف يعقل أن يترك الناس فتذهب ثمرات جهاده وتحل الفوضى؟ فلقد كان(ﷺ) كما حكى القرآن عنه في الآية ٩ سورة الأحقاف: ﴿ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ فسيرته سيرة الأنبياء(ع) في تعيين خلفائهم.

فمما ورد عنه في ذلك من الأحاديث ما ثبت سنده واعتمد عند جميع المسلمين. منها مثلاً ما رواه البخاري (ره) في صحيحه ج٤ ص١٧٥، ومسلم

في صحيحه ج٢ ص١٩١، وأبو داود في صحيحه ج٢ ص٢٠٧، والحنفي في ينابيع المودة ص٤٤٦، والإمام أحمد بن حنبل (ره) في مسنده ج٥ عن ٣٤ صحابياً. ورواه غيرهم وغيرهم. وهو قوله(ﷺ) بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من بني هاشم. وفي نسخة كلهم من قريش، وهذا الحديث - كما تراه - لا ينطبق إلا على الأئمة الإثني عشر، أولهم علي وآخرهم محمد بن الحسن المهدي(ع).

مجداً تورث كابر عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب.. الخ.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

أن الخلاف في الخلافة لا يبرر المشادات بدلاً من المرونة

مما جاء في القرآن قوله تعالى في سورة الإسراء آية ٥٣ : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ..﴾ الخ. و: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ آية ٩٦ سورة المؤمنون. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ آية ١٢٥ سورة النحل، ونحوها من الآيات.

فمن مرحلة الدعوة بالحكمة وإذا لم يع قوم ما هي الحكمة، فالموعظة الحسنة، وتأتي المجادلة لمن يحاول التملص، فتسليم المعاند إلى الله بعد هجره كما في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً..﴾ الخ.

وفي كل هذا الالتزام بالقول الحسن - كما تقدم في الآية - ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ الخ.

وبالأخذ بالأحسن ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آية ٥٥ سورة الزمر. وفي الإجراء مقابل إساءة المعاند ونحوه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ - ثم أردف ذلك بقوله - ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ و.. الخ، ولا يجاز الجهر بالسوء بالمقابل إلا عند الضرورة أيضاً: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ .. الخ، فإذا لم تكن ضرورة: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية.. الخ.

على هذا النهج سار المخلصون للإسلام من بعض الشيعة والسنة - وليس كلهم - فمن بينهم متطرفون متشددون جنوا على أنفسهم كما جنوا على الأمة جمعاء.

إذا كان مثلاً الخلاف في الخلافة وما إليها فإن ذلك لا يبرر ما حدث من مشادات وتعديات. . الخ. فالخليفة لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة :

١- إما أن يكون خليفة واقعياً.

٢- وإما أن يكون خليفة حقيقياً.

٣- وإما أن يكون جامعاً للصفتين.

فالخليفة الواقعي أمثال معاوية مثلاً من بني أمية والمنصور الدوانيقي من بني العباس ونحوهما ممن يدعى بـ خلفية رسول الله ويسلم عليه بإمرة المؤمنين. وأن التاريخ يحدثنا مثلاً عن مرونة الشيعة في اتفاقية أحد أئمتهم - أعني اتفاقية الصلح بين الحسن(ع) ومعاوية - وحلول عام الجماعة. والخليفة الحقيقي الحسن(ع) بلا ريب فمما رواه غير الشيعة حديث : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة وبعدها فملك عضوض) واتفقوا على أن الحسن أكمل تلك المدة بعد أبيه الخليفة الراشد. كما اتفقوا على أن الخلافة عهد. ويكفي هنا أن أشير إلى ما ذكره اليافعي في تاريخ بغداد ج ١٤ ص٩٨ بسنده عن أبي برزه الأسلمي من قول النبي(ﷺ) : «إن رب العالمين تعالى عهد إلي في علي بن أبي طالب». على أن هناك أكثر من حديث واحد في امتداد عهد الخلافة في آله(ع) ومثلاً من ذلك ما جاء في صحيح البخاري (ره) منها قوله(ﷺ) بعدي اثنا عشر خليفة. . الخ, ونحوه.

ومما يذكر عن الأخوة السنة أيضاً قول الشيلنجي في نور الأبصار باب ذكره زين العابدين(ع) ما نصه : (أن أهل البيت صرفوا عن الخلافة الظاهرية وقد عوضوا عنها بالخلافة الباطنية) - يقصد الحقيقية - ومثل هذا ونحوه كثير.

والخليفة الجامع لكونه حقيقياً وواقعياً وهو الإمام علي(ع) فهو خليفة بالنص من رسول الله(ﷺ) كما في نزول : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ و ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ..﴾ الخ. وحديث الغدير والمنزلة، ونحو ذلك وغيره مما هو مذكور في كتب الطرفين، وهو - أعني علياً - خليفة بالاختيار الذي عليه من بين المسلمين بعد من تقدمه. فكان خليفة حقيقياً وواقعياً في آن واحد.

وفي كل الأدوار كان للشيعة كما لإخوانهم السنة من المرونة في تكييف أجوائهم مع من أسندت إليه الخلافة سواء كان واقعياً أم حقيقياً . أم جامعاً للحقيقة والواقع . . ولم يختلف بعضهم عن بعض إلا بشكل محدود ولفترة محدودة . عدا الذين تقدم وصفهم بالتطرف ، والتطرف المتجاوز للحدود فوق ما يتصور ، ممن انقرض منهم وممن خلفهم في التطرف الذين لم تجن منه الأمة إلا الويلات إثر الويلات ، لفقدهم تلك المرونة باتباع الهوى المضل المردي للإنسان ومن خير ما نضعه نصب الأعين للجميع قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..﴾ آية ٢٦ سورة ص ، وقوله مستنكراً : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً..﴾ الخ ، آية ٨ سورة فاطر .

وقوله تعالى في أحسن ما يطلب من الجميع ولا شيء أحسن منه ذلك ما جاء في كتابه الذي لا يأتيه الباطل مما بين يديه ولا من خلفه في قوله جل شأنه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ..﴾ الخ .

أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة عامة ، والعربي والعربية خاصة ، نصيحتي لكم - كما وهي نصيحة كل مسلم عارف غيور - نصيحتي لأبناء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله من الذين يرون أنفسهم مسلمين فقط وغيره من أبناء هذه الكلمة غير مسلمين . ويعملون على ضمهم إليهم بالضغط والأذى والقوة إن هذه الرؤية الضيقة هي رؤية من وصفهم الله بالوصف النابي الممقوت . الذي ذكره فيمن ذكره بسند عنه(ﷺ) كل من الباري في صحيحه والحلي في السيرة النبوية ونحوهما . . الخ .

ذلك الوصف الذي تطور فيمن وصفوا به من سيئ إلى أسوء . . إلى درجة أن أعداء الإسلام إذا ما ارتكبوا فيما بينهم أو فينا منهم على الأكثر ، إذا ما ارتكبوا من فاحش القول ومنكر الفعل قالوا : نحن تعلمنا هذا منكم ، فكم مثلها وأكثر فيما بينكم سنة وشيعة .

ومن ذلك مثلاً: خلافات حاجة. أو مذبحة من المذابح أو هتك أو نهب وما إلى ذلك.. الخ. مما فتح وما زال يفتح أكثر من ثغرة علينا، أعني المسلمين الذين فقدوا فيما فقدوا المروءة فيما بينهم في حل مشاكلهم وجمع صفهم. كما كان من قبل سداً منيعاً في وجوه الطامعين، وركناً وثيقاً يلجأ إليهم فيه غيرهم من المسترشدين الراغبين في الانضمام إلى صف موحد. لا إلى جمع مبدد فئات وأحزاباً كالذين ذمهم القرآن في الآية ٥٣ سورة المؤمنون: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ..﴾:

كونـوا جمـاعيين في إسـلامكم ... تـالله مـا الإسـلام ديـن ضيـق
كونـوا جمـاعيين عـن رشـد لكـم ... ينقاد مغربها لكم والمشرق.. الخ

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن معنى إمام وإمامة علي وأئمة الهدى وأئمة الضلال

كلمة إمام لها خمسة معاني، ذكرها صاحب كتاب الوجوه والنظائر والراغب في المفردات والتفاسير الموسعة.. الخ:

١- الإمام القائد للخير، ومنه ما جاء في الآية ١٢٤ سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾. وما جاء في الآية ٧٤ سورة الفرقان: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ يعني قادة في الخير يقتدى بهم.

وهذا على مراتب، ويدخل في إطار هذا المعنى حتى إمام الجماعة لإمامة الصلاة وهي خير طبعاً بشرطها وشروطها.. الخ.

٢- الإمام: اللوح المحفوظ ومنه ما جاء في الآية ١٢ سورة يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ من جهة. ومن جهة أخرى ما استوعب ما ينبغي استيعابه وإحصاء ما ينبغي إحصاؤه وهو ما يتمثل أو يمثل بالإمام المعصوم بعد النبي (ﷺ).

٣- الإمام يعني كتاب بني آدم ومنه ما جاء في الآية ٧١ سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، يعني الذين عملوا في الدنيا.

٤- الإمام: يعني التوراة في الآية ١٧ سورة هود: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً﴾.

٥- الإمام: الطريق الواضح ومنه ما جاء في قرية لوط وشعيب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾، آية ٧٩ سورة الحجر.

ومما يذكر هنا.. وليس كل ما يذكر - فذلك يؤلف أكثر من كتاب ضخم - مما يذكر عن الإمامة وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ﴾ الآية التي ذكرت منها في أول هذا الموضوع جاء في تفسير المنار ج١ ص١١٣ عن هذه الآية والإمامة ما نصه: (أن كل الولاية حق أهل الإيمان والعدل وأن الله لم يعهد بإمامة الناس وتولي أمور الظالمين فكل حاكم ظالم مناقض لعهد الله).

والمنار هذا لثلاثة من أبطال العلم هم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. هذا فضلاً عما جاء في غير هذا من التفاسير بنحو هذا وأكثر كتفسير الرازي والقرطبي والزمخشري و. . و. . الخ. مما يزيد تأكيداً - وأنّ مثل هذا لا يحتاج إلى مزيد من التأكيد - ذلك لأنه من باب ما قاله فيه المتنبي:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات نور الشمس تذهب

فلقد كان الإمام علي(ع) وما زال - كما قيل فيه فيما قيل: صوت العدالة الإنسانية - ومن له الإمامة والوصية بعد رسول الله(ﷺ) ولقد ألفت كتب عديدة في الإمامة عن كتب الطرفين ككتاب غاية المرام للتويلي والألفين للحلي ركزه على ألفي دليل على إمامة علي وبطلان إمامة من خالف شروطها تحت أضواء الكتاب والسنة وما إلى ذلك أيضاً.

وجمع إمام: أئمة وهم على قسمين أئمة هدى وإيمان كما في الآي ٢٤ سورة السجدة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا..﴾ الخ. وأئمة ضلال وكفر كما في الآية ٤١ سورة القصص: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ والآية ١٢ سورة التوبة: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ..﴾ الخ. وبهذا هنا كفاية.

جواب عن بيعة الغدير ولماذا انصرفوا عنها مع الاعتراف بها

سبق أن أشرت خلال موضوع معنى خليفة . إلى الآية ٦٧ سورة المائدة : ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ..﴾ الخ ، أنها نزلت في علي(ؑ) وأن في مصحف ابن مسعود(ﷺ) لفظ في علي كتفسير للتبليغ بأن علياً خليفته من بعده وإلى أن الإمام شرف الدين في كتابه المراجعات مع شيخ الأزهر البشري ذكر الآية وغيرها وما إلى ذلك من كتب السنة أنفسهم . فإليك هنا ما ذكره منها ثم ما ذكره غيره فيما يلي :

١ - أسباب النزول للواحدي ص ١٥٠ سورة المائدة عن عطية العوفي وأبي سعيد الخدري أنها تفي ﴿بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يوم غدير خم .

٢- نزول القرآن للحافظ أبي نعيم في تفسير الآية المذكورة عن أبي سعيد وأبي رافع .

٣- فوائد السمطين للإمام الحمويني بطرق متعددة عن أبي هريرة .

٤ - الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير .

٥- السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ .

٦- الرازي في تفسيره ج٣ ص٦٣٦ .

٧- النيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش تفسير ابن جرير ج٦ ص١٩٤ ، ٨ - الشوكاني في تفسيره . ٩-القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص١٢٠ .

١٠ - الألوسي في تفسيره .

١١ - تفسير المنار للإمام محمد عبده ونحوهم . . الخ . مما يطول ذكرهم فأنتقل وإياك إلى ما نزل بالمناسبة في غدير خم أيضاً بعد فراغ رسول الله من

التبليغ بخلافة علي(ﷺ) ذلك ما جاء في الآية ٣ سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..﴾ الخ. ففي الدر المنثور للسيوطي عن ابن مردويه وابن عساكر إلى أبي سعيد الخدري.

قال لما نصب رسول الله علياً(ﷺ) يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبرئيل بهذه الآية، ومن طريقهما وطريق الخطيب البغدادي في تاريخه بغداد ج٨ ص٢٩٠ بسند متصل عن أبي هريرة لما أخذ النبي(ﷺ) بيد علي وقال: ألست ولي المؤمنين..؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..﴾ الآية، ونحو هذا ما جاء في فرائد السمطين للحمويني والمناقب للخوارزمي ص٨٠ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٢ و.. الخ. كما ذكروا عن آية المعارج ونزولها بالمناسبة نفسها في علي ورد المعارضين. الخ. فضلاً عن الآيات الأخرى المؤكدة لنص كآية الولاية إنما وليكم الله.. الخ. وآية المباهلة. وأداء براءة ونداء النبي(ﷺ) بعدها بالناس في عرفات ألا لا يؤدي عني إلا علي.. إلى آيات ثم أحاديث في ذلك منها ما ذكره الإمام شرف الدين في كتاب المراجعات مع البشري شيخ الأزهر من أربعين حديثاً من كتب السنة أنفسهم بما فيها الصحاح الست ونحوها. وما ذكره الدكتور التيجاني في كتابه ثم اهتديت ص١٣٥ والشيخ مرعي قاضي القضاة بحلب في كتابه لماذا اخترت مذهب الشيعة، وكانا سنيين من قبل زادهما الله وأمثالهما وإيانا هدى وصلاح والفوز بحسن العاقبة.

ومما قال التيجاني أن الباحث إذا تجرد للحقيقة يجد النص على علي واضحاً جلياً كقوله(ﷺ) بعد منصرفه من حجة الوداع من كنت مولاه فهذا علي مولاه وعقد لعلي موكب التهنئة حتى أن أبا بكر وعمر كانا من المهنئين للإمام يقولان بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن

ومؤمنة . . الخ . وهذا النص مجمع عليه من الشيعة والسنة ولم أخرج هذا البحث إلا عن مصادر السنة والجماعة - وذكر عدداً منها وقال - مع ذلك لم أذكرها كلها فهي أكثر بكثير مما ذكرت .

ومن المصادر التي ذكرها مسند الإمام أحمد وتذكرة ابن الجوزي ورياض الطبري وكنز العمال وتفسير الرازي وصحيح البخاري وتاريخ ابن الأثير والطبري والحاوي للزوطي وتاريخ ابن قتيبة وابن عساكر وشرحي النهي وسر العالمين للغزالي وغيرها لبحث له مستفيض في ذلك وأكتفي هنا بما ذكره عن سر العالمين المذكور ص١٢ وفي ص٣٠ بعد قول الشيخين لعلي بخ بخ . . الخ قال (ثم حملهم بعد ذلك غلب الهوى وحب الرئاسة على الخلف واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون . وذكر قول أبي بكر على منبر النبي ليس بخيركم وعلي فيكم ولي ذلك من الاعتراف أعقبه الانصراف ، بدون مبرر أو أي تأول أو عذر مقبول) فكل ذلك مردود من جميع الوجود تجده في تفاصيل الكتب المعنية ومنها الغدير في الكتاب والسنة والأدب والتاريخ ، ويقع ما طبع منه في ١٣ مجلداً ، فضلاً عن أمثاله مما ألف سابقاً ولاحقاً وفي هذا كفاية لطلاب الهداية .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن معنى وصية وكون علي وصي رسول الله (ص)

الوصية هي الأمر بالشيء مع التشديد عليه والتأكيد به ولها أربعة وجوه من المعاني:

١- كلمة الإسلام والنبوة والإمامة ومن ذلك ما جاء في الآية ١٣٢ سورة البقرة: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾.

٢- الوصية: الشريعة. ومن هذا المعنى ما جاء في الآية ١٣ سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الخ.

٣- إطاعة الوالدين كما في الآية ٨ سورة العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ..﴾ الخ، ونحوها من الآيات.

٤- ما يهم المرء حال وبعد وفاته قال تعالى في سورة البقرة آية ١٨٠: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ونحوها من الآيات.. أما السنة الشريفة فقد جاء فيها من الأحاديث ما يؤكد الوصية. ومنها حديث من مات بغير وصية فقد مات ميتة جاهلية..

والوصية إذا حضر الموت منها ما يخص أمور الدين ومنها ما يخص أمور الدنيا. ولهذا أول ما تقرأ في وصايا الأنبياء ومن إليهم جملة أول وصيتي أني أشهد أن لا إله إلا الله و.. الخ. وقد ألفت كتب خاصة عديدة في الوصية والوصايا. فضلاً عما جاء خلال الكتب الأخرى ومن أبرزها كتاب إثبات الوصية للمسعودي - وهو من السنة أيضاً - وأن أورد عبارات قد تشعر بميله إلى الشيعة فكثير أمثاله في هذا الباب ونحوه، مما ينساق به الكاتب إلى اعتراف بحقيقة ما وإن كانت على غير مذهبه.

فموضوع كتابه المذكور تسلسل في ذكر وصايا الأنبياء إلى من يليهم من أنبياء أو خلفاء. من آدم(ع) إلى الخاتم(ص) بحيث لم يترك أي نبي كان أو وصي من يوصى إليه بالقيام بمهام الرسالة الإلهية إلى جانب الوصية إلى الأمة باتباعه. فمن أخذ بها سلم من العثار. كما قال دعبل الخزاعي في هذه الأمة:

ولو قلدوا الموصى إليه أمورها لزمت بمأمون من العثرات

أخا خاتم الرسل المصفى من القذى ومفترس الأبطال في الغمرات. . الخ

وتعيين علي بن أبي طالب وصياً للنبي(ص) كان منذ بدء الرسالة المحمدية فمما جرى يوم ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. وقوله(ص): من آزرني يكن الوصي والخليفة من بعدي. . الخ، فلم يجبه سوى علي(ع) فكانت له الوصية. وليلة الهجرة أوصاه بمهامه. وحديث المنزلة يوم إقامة مقامه في المدينة وحديث تأدية سورة براءة. والمباهلة والتصديق بالخاتم ونحو ذلك حتى يوم الغدير وما بعده. . الخ. وكل ذلك مثبت في كتب السنة.

يلي هذا عدول أبي بكر عن الشورى فقد أوصى إلى عمر. وأوصى عمر إلى ستة أحدهم علي(ع) وأوصى علي إلى الحسن. . والحسن إلى الحسين. . وهكذا. . الخ.

من الجانب الآخر أوصى معاوية إلى ابنه يزيد، ويزيد إلى ابنه معاوية، وجاء دور مروان وولده. وبني العباس والعثمانيين ونحوهم. والوصية من واحد إلى آخر بعده حتى زماننا ذا في الأنظمة المماثلة. . الخ.

وأذكر بالمناسبة يوم كنت أمام مسجد الإمام علي في أم القيوين صادفت في سيارة إمام مسجد السوق فيها وجرى الحديث عن الوصية والخلافة وكان المذياع يذيع خبر سفر أمير الكويت إلى الخارج بضعة أيام بعد وصيته إلى ولي عهده في إدارة شؤون البلد. فقلت للرجل: اسمع هذا حاكم إمارة صغيرة يوصي إلى من يقوم مقامه أفيعقل أن محمداً(ص) لا يوصي. والذي أحلوه محله، أبو بكر. أوصى إلى عمر (رض) و. . الخ فسكت.

واستمر الرجل في سكوته عندما قلت: كيف أن لهؤلاء ونحوهم في مختلف أنحاء العالم حقَّ الوصية ويعزلون محمداً وأهل بيته عن هذا الحق مع اعترافهم بثبوته لهم إضافة إلى ما جاء عن أهل البيت أنفسهم في هذا الحق ونحوه مما ثبت في كتبهم - أعني المجادلين أنفسهم - ومن ذلك قول الإمام علي(عليه السلام) في إحدى خطبه (لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يساوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص الولاية وفيهم الوصية والوراثة. و. . الخ.

ومما يذكر هنا ما ذكره الأنطاكي صاحب كتاب: لماذا اخترت مذهب الشيعة؟ ص٢٠٥ عن ينابيع المودة للحنفي ص٧٨ عن الإمام أحمد بن حنبل (ره) أنه أسند إلى أنس بن مالك أنه قال: قلنا لسلمان سل النبي عن وصيه. فسأله فقال: يا سلمان من وصي موسى. . ؟ قال: يوشع بن نون. فقال(صلى الله عليه وآله): وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب(عليه السلام) و. .

وروى محي الدين الطبراني في ذخائر العقبى والخوارزمي في المناقب بسندهما هذا الحديث وأحاديث أخرى مماثلة ما نصه: (والأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم الناصة على أن علياً وصيه بلا فصل لا تكاد تحصى في كتب الفريقين فطالعهما ترى الحقيقة ناصعة لذي عينين فلا عذر بعد البيان. ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بيّنة . .).

جواب عن معنى أمير وأمارة وأمير المؤمنين وما إلى ذلك

كما أن الإمامة على قسمين - تحت هذه الأضواء - إمام هدى وإيمان، وإمامة ضلال وكفر ودعوة إلى النار كذلك الإمارة:

١- فمما جاء في القسم الأول ما جاء في الآية ٣٦ سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾.

٢- ومما جاء في الثاني ما جاء في سورة يوسف: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ الخ، ويراد بالنفس الأمارة بالسوء ما عن الشيطان. لقوله تعالى في الآية ١٦٨ - ١٦٩ سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ..﴾ الخ.

على هذا وذاك يكون الإنسان بين أمر الرحمن سبحانه وهو كما قال فيما قال سبحانه في الآية ٢٨ الأعراف: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ..﴾ الخ، وبين أمر الشيطان.

وقد عرض لنا القرآن فيما عرض ما جاء في قصة بلقيس آية ٣٣ سورة النمل: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ وكان من سعادتها أنها لم تأمر بما يأمر به الشيطان من تعصبها لضلالها. بل أمرت بتهيئة وفد إلى سليمان(ؑ) وكانت النتيجة الحسنة أن ضمت إمارتها التي في سوء وضلال إلى أمارة سليمان(ؑ) إمارة الهدى والإيمان.. الخ.. وقد بلغ القمة في إمارة الإيمان الإمام علي(ؑ) بعد رسول الله(ﷺ) بل وفي حياة رسول الله. على ما يبدو من الأحاديث التي روتها السنة فضلاً عن الشيعة في ذلك.

ومنها مثلاً: ما جاء في كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٦٠١ حديث رقم ٣٢٨٩٩ عن ابن منده عن رافع مولى عائشة. وفي مئة منقبة ص١٠١ ط ب لابن شاذان من أعلام القرن الرابع بسند متسلسل عن أبي إدريس عن رافع مولى عائشة قال: كنت غلاماً أخدم عائشة فكنت إذا دخل النبي عندها قريباً أعاطيهم وفي أحد الأيام جاءت جارية معها طبق مغطى فوضعته بين يدي النبي(ﷺ) فجعل يتناول منه ويأكل. وخرجت الجارية فقال(ﷺ): ليت أمير المؤمنين وسيد المسلمين وإمام المتقين يأكل معي.

فقالت عائشة: ومن هو يا رسول الله المجتمع فيه هذه الخصال؟ فسكت ثم أعاد الكلام مرة أخرى فقالت عائشة مثل ذلك فسكت النبي(ﷺ) فجاء أحد ودق الباب علينا فخرجت فإذا هو علي بن أبي طالب فرجعت وأخبرت النبي(ﷺ) فقال أدخله. ثم قال: مرحبا بك يا أبا الحسن وأهلا بك. لقد تمنيتك مرتين حتى لما أبطأت علي الدخول سألت الله أن يأتيني بك إجلس وكل. فجلس وأكل معه.

ثم قال النبي(ﷺ): يا علي قاتل الله من قاتلك وعادى الله من يعاديك. فقالت عائشة: ومن يقاتله ويعاديه..؟ قال: أنت ومن معك، مرتين.. إلى نحو هذا الحديث مما ذكروه وبهذا كفاية.

ومما يذكر هنا ما تطلق عليه كلمة إمارة. من حكم بمختلف عناوينه في كونه ضيقاً أو واسعاً. منذ بدء البشرية حتى عصرنا هذا هو على ثمانية أنواع:

١ - الأسري البدائي: وهو ما كان عليه آدم(ﷺ) فيمن عاش معه من ولده وأحفاده، مع التزام بما أنزل الله عليه من صحف. وهذا مما يجعل لعلي(ﷺ) أحقية الإمارة الأسرية فهو أبرز أسرة النبي بعده وألزمهم بالكتاب والسنة.

٢ - الفردي الاستبدادي تبعاً للهوى المذموم وإليه تشير الآية ٢٦ سورة ص: ﴿يا داوُدُ﴾ - إلى قوله - ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾.

ورفض علي(ع) لهذا الحكم ونحوه مشهور ومما قال(ع): (هيهات هيهات أن يقودني هواي..).

٣- البدائي العشائري التشاوري وكان أول من أسس حكومة في الحجاز على أساسه قصي أحد أجداد النبي(ﷺ) وعلي(ع) ومما جاء في ذلك ما أنشده الشاعر في مخاطبتهم مذكراً إياهم به، كما جاء في تاريخ المسعودي ونحوه:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً   به جمع الله القبائل من فهر

ونقضي هذه الإمارة بالتوارث باعتبار ولي العهد ناشئ في بيت إمارة فهو على خبرة في شؤونها فتولى بعد قصي ابنه عبد مناف ثم لولده هاشم ثم لعبد شمس وصيفي والشفاء، والمطّلب وهؤلاء أخوة هاشم. ثم لعبد المطلب بن هاشم ثم لولده عبد مناف (أبي طالب) فإن عبد الله والد النبي توفي في حياة أبيه فكانت الإمارة لأبي طالب ولا جدال في أن أبرز ولده علي(ع) فالإمارة له. لكن الإسلام غطى عليه فكان علي(ع) ثاني شخصية في الإمارة أو الدولة الإسلامية بقيادة النبي(ﷺ) علماً بأن ذكر تلك الإمارة بقي وما زال حياً فأبو طالب مهد بإمارته لها من جهة ومن جهة أخرى كان الوحيد الذي استمر في حكومته تلك بالتقى والعدالة وهو فقير حتى لقد قال الشاعر مخاطباً ولده:

سدتم الناس بالتقى وسواكم   سودته الصفراء والبيضاء

ولما قتل علي(ع) قال أحدهم يخاطب معاوية:

نجوت وقد بل المرادي سيفه   من ابن شيخ الأباطح طالب ..الخ

فعلي(ع) بحكم النظام العشائري الإماري هذا له أحقية الرئاسة. وكان له الإسلام ما هو أرقى.

٤- العسكري العرفي والمقبول منه ما فوض به رسول الله سعداً زعيم الأوس والخزرج من تنفيذه في بني قريظة اليهود الذين تآمروا سياسياً وعسكرياً مع المشركين على طعن النبي ومن معه من الخلف يوم وقعة الأحزاب. ولا شك أن علياً(ع) سائر على نهجه.

٥- الملكي: وهو يقضي بالوراثة باعتبار ولي العهد نشأ في بيت إمارة على خبرة من إدارتها فهو أحق أيضاً وعلي(ع) نشأ في بيت رسول الله(ص) فقد جاء(ص) ومعه عمه العباس إلى عمه أبي طالب في سنة جدب ليخففا عنه عياله بأخذ أفراد منهم. فقال لهما: اتركا لي عقيلاً وخذا من شئتما فأخذ العباس جعفراً وأخذ النبي علياً. فعاش علي(ع) ببيت النبي(ص) وفيما في ذلك قال في إحدى خطبه (ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد أني كنت أقفو أثره وأتبعه اتباع الفصيل إثر أمه.. الخ، فكان الحكم المذكور يجعل لعلي أحقية الإمارة بعد النبي(ص).

٦- الجمهوري: ويقضي بالرئاسة لمن له أكبر الخدمات للأمة. وخدمات علي(ع) ليس فوقها فوق بعد رسول الله. فقد حفظ النبي ففي الحصار في الشعب حيث كان أبوه أبو طالب يضجعه على فراش النبي مخافة من هجوم عدو، وفي ذلك يقول مخاطباً له:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء عظيم لفداء النجيب وابن النجيب

إلى مبيته ليلة الهجرة على فراش النبي إلى تسليم الودائع والقدوم بالفواطم إلى تأدية سورة براءة فمواقفه في بدر وأحد وحنين والأحزاب وخيبر وغيرها.. إلى آخرها، في سبيل إعلاء كلمة الإسلام ثم الفتوحات التي كانت على يده. ومنها إضافة إلى ما تقدم فتح اليمن سلمياً. وقد دخل في الإسلام في يوم واحد من همدان فقط سبعون ألفاً فضلاً عن غيرها.. و.. الخ، فالنظام المذكور يقضي له بأحقية الرئاسة. ويقضي بأن ينتخبه الجمهور بحرية لا أن يفرض بالقوة. وقد انتخب علي(ع) وبويع البيعة الثانية بإقبال شديد بعد مقتل عثمان (رض).

٧- النظام أو الحكم العقلي: القاضي بأن يكون رئيس القوم أفضلهم وأشجعهم وأعلمهم وأكرمهم وأروعهم وأعدلهم و.. الخ، وهذه وغيرها من الفضائل مجتمعة فيه. موزعة في غيره.

٨- النظام أو الحكم الإلهي يقضي باختيار النبي واختيار خليفة له. وهذا ما وقع لعلي(ع) فعلاً وقد تقدم ذكر ذلك في أحد مواضيع هذا الكتاب.

فعلي بموجب هذه الأنظمة الإمارية أو الرئاسية له الأحقية على غيره بما في ذلك ما لقب به من ألقاب كلقب أمير المؤمنين آنف الذكر ونحوه من الألقاب الضخمة التي نالها باستحقاق.

يضاف إلى ذلك أن رسول الله، آمره ولم يؤمر عليه. ولم يهزم في موقف بل كان كراراً غير فرار، فكان من ألقابه البارزة أيضاً حيدر الكرار و.. الخ.

ومن اختلال الموازين وضع الألقاب على أضدادها. ومن ذلك لقب أمير المؤمنين على من لم يستحقوه.

قال الدكتور التيجاني في كتابه (ثم اهتديت) ص١٦٩: أشير إلى حديث النبي(ص) في عمار بن ياسر - المثبت في كتب السنة أنفسهم - وهو قوله(ص) لعمار (رض): «ستقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن». قال: وأصبح إمام الفئة الباغية أميراً للمؤمنين بعد وفاة الإمام علي(ع) فعمل في دين برأيه أكثر ممن سبقوه.. الخ.

وبالمناسبة ما قاله أيضاً في ص١٧٠ من كتابه المذكور: (لقد بحثت في التاريخ فلم أجد إلا أنهم اتفقوا على العام الذي استولى فيه معاوية على الحكم بعام الجماعة. وذلك أن الأمة انقسمت بعد مقتل عثمان إلى قسمين شيعة علي وأتباع معاوية - إلى قوله - وأصبح معاوية أمير المؤمنين سمى ذلك العام بعام الجماعة. إذن فالتسمية بالسنة والجماعة دالة على اتباع سنة معاوية والاجتماع عليه وليست تعني سنة رسول الله فالأئمة من ذريته وأهل بيته أدرى وأعلم بسنة جدهم من الطلقاء.. الخ.

وعليه، فلقب معاوية وأمثاله بأمير المؤمنين، لا يعني ما يعنيه من اللقب الأصلي لعلي(ع) المؤمنين حقاً. و.. الخ.

جواب عن الاختلاف في الوضوء وما عليه الشيعة

ورد ذكر الوضوء في قسم من آية من القرآن الكريم تبتدئ به ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ..﴾ آية ٦ سورة المائدة. وقد فهمها المسلمون الأولون فهماً مقرناً بعمل رسول الله(ﷺ) وقد قال صلوا كما رأيتموني أصلي. ولما كان الوضوء والصلاة متلازمين. وكان(ﷺ) يبدأ به كانوا كذلك يرونه فيتوضؤون كما يتوضأ. حتى وقع الخلاف فيما بعد عندما دخلت في دين الله أفواج من الأمم الأخرى. ولكل ما نوى ومعذور حتى يأتيه التبليغ المطلوب وبطبيعة الحال إن ألصق ما يكون بالرجل أهل بيته ثم صحبه الأقربين. فكان أهل بيت رسول الله(ﷺ) وصحبه الأقربون يرونه كيف يتوضأ. فكانوا يتوضؤون مثله. وعنهم أخذ الوضوء أتباع مذهب أهل البيت(ﷺ) فهم عليه كما يرى اليوم..

ويكفي أن أشير هنا إلى أهم ما وقع من الخلاف وأبرزه في واجباته - لا في مستحباته - ما يلي:

١ - غسل اليدين إلى المرافق. فالذي عند الشيعة عن أهل البيت(ﷺ) وبعض الصحابة: البدء من حدود المرفق إلى نهاية الأصابع، باعتبار «إلى» بمعنى «مع».

المرفق إلى نهاية الأصابع باعتبار المقصود من قوله إلى المرافق - هو - مع المرافق - فإضافة إلى ما شوهد ذلك من فعل النبي وآله وعدد من أصحابه (رض) فإن «إلى» واردة في القرآن الكريم بمعنى «مع» ومن ذلك الآية ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ﴾ آية ٢ سورة النساء والمقصود مع أموالكم

وفي سورة الصف آية ٤٤ ﴿قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ﴾ والمقصود: مع الله. ونحو ذلك.. الخ. ومما في كلام العرب من ذلك وقد نزل القرآن بلغتهم - قول امرئ القيس في أحد أبيات قصيدة له مثبتة في ديوانه. إذ قال:

له كفل كالدعص بلله الندى إلى حارك مثل الرتاج

إلخ...

ومما قرأته لأحد العلماء الأعلام، لا أتذكر اسمه الآن، من الأمثال ما يعطي صورة عن صواب ذلك وهو.. لو أنه طلب من صباغ أن يصبغ جداراً إلى نصفه فللصباغ أن يبتدئ من الأعلى أو من الأسفل. فالمطلوب هو صبغ الجدار إلى نصفه.. وعليه فلا جدال في ذلك. سيما وأن من المجمع عليه لدى الجميع أن من غسل المرفقين صح وضوؤه واختلفوا في من لم يغسلها هل يصح وضوؤه وجاء في فقه الإمام الشافعي (ره) في هذا الباب قوله: لا أعلم خلافاً في أن المرافق يجب غسلهما، كما أجمعوا على أن من بدأ اليدين من المرفقين صح وضوؤه، وفي هذا هنا كفاية.

أما عن الرأس والرجلين فقد اختلف فيهما أخيراً من اختلف بناء على قراءة آية الوضوء المذكورة اعتبر المختلفون (وأرجلكم) هو الغسل، وفيما قالوا يقال تمسحت للصلاة - ما وجود ما يغسل - ولا يقال تغسلت للصلاة.. وعليه كان قولهم المراد بالمسح الغسل.

وفيما يرد على هذا، بأن الله تعالى بين الأعضاء المغسولة والممسوحة فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحداً..؟ وهذا مما يسقط استدلالهم.

ولأهل اللغة كلام، من ذلك ما قاله أبو علي الفارسي بأنه من قال بوجوب المسح حمل الجر والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور. وقال الزجاج: إذا قرئ بالجر يعطف - يعني مسح الرجلين على الرأس - ورد عليه بأن لا حاجة إلى القراءة بالجر - وإن كانت مقررة في القراءات - فإن (﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام) تفيد المسح لقرينة مؤكدة في (وامسحوا) وإلا لجاءت فاغسلوا.

هذا إضافة إلى كون أهل البيت(ع) - وهم أدرى بالذي فيه - وكبار الصحابة كلهم. لم يختلفوا في كون المقصود بذلك المسح لا الغسل. منهم على سبيل المثال لا الحصر ابن عباس حبر الأمة. وأنس بن مالك وأبو العالية والشعبي وأضرابهم.

ومن الطريف أن جماعة من الزيدية قالوا بالجمع بين الغسل والمسح. وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل. وجوز بعضهم المسح على العمامة والخفين والجورب. والشيعة لا تفعل ذلك.. اقتداءً بأهل البيت(ع) وعدد من الصحابة (رض). ومن المعلوم أن ذلك يحجز الأعضاء المذكورة في الآية عن إيصال الماء إليها.

أما غسل القدمين فهو جائز عند الشيعة في حالة قذارة الرجلين فتزال بغسلهما وتنشفان ويمسح عليهما ليأخذ المسح موضعه منهما من رؤوس الأصابع إلى الكعبين وهما عظمان ناتئان في ظهر القدم. وجاز العكس كما جاء في مسح الرأس في موضع المسح المعلوم.

وكون المطلوب المسح على الأرجل - كما في الآية - ما جرى عليه الشيعة إنما هو مأخوذ عن أهل البيت(ع) الذين نزل في أبياتهم الكتاب. وفهموه أكثر من غيرهم وعلى رأسهم ابن عباس المذكور. ويأتي بعد أستاذه الإمام علي(ع) في ذلك العصر وعن الإمام علي والحسنين وزين العابدين أخذ ذلك الإمام الباقر - كما جاء في أحاديث كثيرة - منها ما اعتمد بسند عن سعيد الأهوازي أن الباقر(ع) قال: إن الذي - يقصد المسح على الرجلين إضافة إلى ما تقدمه من غسل الوجه واليدين الذي عليه أهل البيت - نزل به جبرئيل(ع) وعن الإمام الكاظم نحو ذلك و.. الخ.

ونحو هذا ما جاء عن الشعبي - المذكور في عداد من تقدم ذكرهم من البارزين - أن جبرئيل نزل بالمسح ثم قال: إن في التيمم يمسح ما كان غسلاً ويلقى ما كان مسحاً..).

وفي مسند الإمام أحمد ج١ ص٩٥، وفي ص١٢٤ وص١١٢ بسنده عن علي (ع) قال: كنت أرى باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله يمسح ظاهرهما.

وعلى هذه الأسس نظمت فيما نظمت في أرجوزتي الألفين الفقهية ج١ ص٨-٩ في هذا الباب تسعة أبيات ملمة بأحكام الوضوء منها:

وضوؤنا بغسلتين وجبا ... ومسحتين وسوى ذا نديا

وهو بدون نية لا يعمل ... كما وفي الماء المضاف يبطل

واشترطوا فيه الموالات ولا ... يصح إلا قربة قبل الصلا

فوجهك أغسل من عل لآخر ... ما بين إبهام وجار البنصر و..

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن أشهد أن عليا ولي الله في الأذان

سألني أحد وجهاء أم القيوين محمد بن عبد الله حسين عن هذه المسألة وطلب كتابة الجواب .

وكنت قد سمعت رجلاً يقول لآخر بلهجته الشعبية - والمؤذن ينادي بها - وشهو علي ولي الله - فأجابه : هذا شرك ، يعني أستغفر الله ، علي متولي على الله .

فدهشت وقلت : إلى هذا الحال بلغ التأويل الواهم أو المغرض والدعاية الكاذبة . لكن الحقائق مهما أخفيت لا بد أن تظهر ، وقلت للرجلين : هل قرأتما آية ٢ من سورة يونس : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . فأجاب أحدهما : أنا أمي ، وأجاب الآخر : نعم ، فقلت له : هل أنها تعني أولياء الله المتولين على الله . . ؟

قال : لا ، بل تعني المخلصين في محبة الله وطاعته . فقلت : هل أن علياً مبغض الله ، أو معاند . . ؟

فقال : حاشا سيدنا علي (كرم الله وجه) فهو محب مطيع لله . فقلت له : علي ولي الله تعني هذا المعنى فخجل الرجل وسكت . فقال له صاحبه بشدة : الله يلعنك وأمثالك الذين ضللونا . . لماذا لا تتكلم . . ؟

فالتفت إليه وقلت له : اهدأ ولا تلعن فإن زمن اللعن في مثل هذه الأمور ولى وجاء عصر التفاهم والتنوير فقل له ولأمثاله : الله ينقذكم من الجهل ويهديكم إلى المعاني الصحيحة وتجنب التفرقة بين المسلمين أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله . . الخ ، فقد حصل ذلك لكثيرين من أمثاله .

من ذلك مثلاً أن حاكماً حل ضيفاً على حاكم فسمعها في الأذان وقال : هذا شرك ومنكر في بلادك .

فأجابه: هل أن علياً عدو الله وهو رابع الخلفاء الراشدين؟ قال الحاكم الضيف: استغفر الله سيدنا علي ولي الله أو نعم منه. فقال الحاكم المضيف: في القرآن: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.. الخ، وهؤلاء يقولون علي ولي الله فقل أنت مثلها في بلادك ولا نقول لك هذا شرك ومنكر، فخجل الحاكم الضيف وسكت.

وحدث أن وزارة في العراق ألغت الأذان من الإذاعة بدعوى أنها ربما تبعث على التفرقة. فالسنة لا يقولونها في الأذان مع اعترافهم بأن علياً ولي الله والشيعة يقولونها. فسكت السنة ولم تسكت الشيعة بل طالبت بإعادة الأذان على ما عند إخوانهم السنة ولا يقطع فهو نداء للصلاة فخجلت الوزارة ثم أعادته في رمضان.. أن الشيعة كإخوانهم السنة عندهم الأذان مناداة للصلاة مستحب مؤكد وهو إعلام للإسلام أيضاً.

وأشهد أن علياً ولي الله. ليست جزءاً منه فهم يأتون بها للاستحباب كالكلمات المناسبة التي يأتي بها معظم المؤذنين من إخوانهم السنة من استحباب الصلاة على النبي وآله بعد أشهد أن محمداً رسول الله. ومثل اتباع الأذان بكلمات السلام عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك.. الخ، هذا بالإضافة إلى ما يفتتحه بعضهم بـ إن الله وملائكته يصلون على النبي.. الخ، وبـ الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.. الخ.

وهذا ونحوه ليس ببدعة تعارض الأصل أو تضر به فتكون غير جائزة. وقد مر في موضوع: معنى شرك وبدعة:

.. لقد كتب الشيعة وغيرهم في ذلك بما فيه مما تقدم مجملاً من أدلة القرآن والسنة تشمله وغيره وأن القليل من الكلام لا يبطل الأذان ولا الإقامة ولا هو حرام. وهذا مما اتفقت عليه المذاهب الإسلامية وأشهد أن علياً ولي الله من هذا القبيل وعلي ولي الله متفق عليه عند جميع المسلمين. على أساس من القرآن والأحاديث النبوية ولا عبرة

بأفراد من الخوارج كفروه وأفراد من الغلاة ألهوه. فهو عبد لله وأخ لرسوله وولي لله ولرسوله متفق عليه.

قد اعترف بذلك حتى أصحاب كتاب السنة والشيعة وهم الدهلوي والألوسي والخطيب في ص١٦٠ س٢٢ بتلك الأحاديث بأن محبة علي المعنية في حديث من كنت مولاه فعلي مولاه.. الخ فرض كمحبة رسول الله وعداوة علي حرام كعداوته. وفي كتاب خطط الشام لكرد علي رئيس المجمع الثقافي العربي بالقاهرة ج٦ ص٢٥٠ بسندين عن النبي(ﷺ) أن ولاية علي فرض وعن مبايعة الصحابة (رض) للنبي على النصح للمسلمين والايتمام بعلي بن أبي طالب، وجاء عن الإمام الصادق(ؑ): إذا قلتم لا إله إلا الله محمد رسول الله قولوا علي ولي الله. والولاية على رأس ما جاء فيها من المعاني- ضد التخلي والعداء. وفي القرآن لله أولياء - كما في الآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ..﴾ ونحوها كما وله أعداء كما في آية ٩٨ سورة البقرة: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ونحوها من الآيات.. الخ.

ومن معاني الولاية تولي أمور جميع المسلمين. وهم لا يختلفون في أن علياً ولي أمورهم سواء كان أول الخلفاء أو رابعاً. ومما يؤيد هذا ما جاء في سورة المائدة آية ٥٥: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ونزولها فيه كما ذكر ذلك أعاظم المفسرين منهم الرازي والسيوطي والطبري والزمخشري والثعلبي ونحوهم.. الخ.

ويرد القرآن على من زعم أنها عامة للفظ الذين: باستعماله لفظ الجمع للفرد تمثيلاً له مع الإتيان بالعمل الفردي ومنه مثلاً آية ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾، وكان القائل باتفاق المفسرين فرداً هو نعيم بن مسعود. وآية ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ أو كان المعني فرداً هو عروراء الذي حاول اغتيال النبي(ﷺ). وفي

أسباب النزول للسيوطي: إن الذين في آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، عنت أبا بكر (رض) مر بجمع من اليهود يقولون ربنا الله. . وإلى نحوها من الآيات. وفي سورة آل عمران آية ٦١ : ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ كان علي هو المعبر عنه بنفس رسول الله. كما باتفاقهم أيضاً.

ولولا توهم مسألة النبوة لجاز أن يقال أشهد أن علياً نفس رسول الله. استناداً إلى هذه الآية. فجاءت علي ولي الله مبعدة هذا التوهم فلا نبي بعد محمد، مشيرة للمقام الذي يلي مقام النبي. كما في جواب وقفت إليه أيضاً. على سؤال: لماذا لم ترد أشهد أن علياً ولي الله في زمن النبي. الجواب: إضافة إلى موقع الصلاة على محمد وآل محمد في التشهد في الصلاة في زمن النبي(ﷺ) ففيها ضمنياً ذكره في الدرجة الأولى باعتباره أفضل آل محمد، أن الأصل في الشهادة هنا هو شهادة واحدة هي: لا إله إلا الله لقوله(ﷺ) في بدء الرسالة قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. ثم جاءت الثانية وأن محمد رسول الله لموقعه من تنفيذ الأولى ولما كان رسول الله هو الكل في الكل ولم يأت دور الخلافة المستمرة إلا من بعده حيث نشأ منصب خليفة رسول الله فكانت الشهادة الثالثة باسم أحد الخلفاء الأربعة عند السنة وأول الاثني عشر عند الشيعة لتعلن وجود خليفة له وأن رسالته لم تنته بانتهاء حياته كذلك لم تنته بانتهاء حياة علي وإنما أورد ذكره كعنوان أو إعلام للخلافة المستمرة حتى آخر خليفة بناء على استحباب ذكره.

وإذا اعتبرت هذه المسألة اجتهادية فما اتفق عليه أن للمجتهد أجران إذا أصاب وأجر إذا أخطأ. ولا أحد يقول بأن علياً ولي الله خطأ، بل هي صواب لدى القرآن والسنة وما إليهما مما يقرر من استحباب أو اجتهاد أصاب واستحسان لا يضر بالأصل. ولا يدعو إلى تفرقة الأمة. فالله، الله في أنفسكم وإسلامكم أيها المسلمون.

جواب عن معنى ولي وعن أولياء الله

اقرأ أولاً موضوع أشهد أن علياً ولي الله تحت هذه الأضواء ثم تعال هنا لنقرأ عشرة معان لكلمة ولي وبما إلى ذلك . . الخ .

١- يراد بالولي : الولد ، ومنه ما جاء في الآية ٥ سورة مريم : ﴿فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾ يعني ولداً . دلت على هذا المعنى الآية التي بعدها : ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ .

٢- الصاحب من غير القرابة ومنه ما جاء في الآية ١٧ سورة الكهف : ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ .

٣- المولى : القريب منه كما في الآية ٤٦ سورة الشورى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي أقرباء .

٤- العون ، ومنه ما جاء في الآية ٤ سورة التحريم : ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

٥- الموالي : جمع مولى وهم العصبات كما في الآية ٥ سورة مريم : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ .

٦- المولى : المعتق ، ومنه ما جاء في الآية ٥ سورة الأحزاب : ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ .

٧- الولي : الآلهة ، ومنه ما جاء في الآية ٣ الزمر : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا..﴾ الخ ، أي آلهة .

٨- الولي : الرب ، ومنه ما جاء في سورة الأنعام آية ١٤ : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً﴾ يعني رباً .

٩- الولي: المولى في المناصحة، ومنه قوله تعالى في سورة الممتحنة آية ١:
﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾.

١٠- الولي: من الولاية في الدين، ومنه ما جاء في سورة المائدة آية ٥٥:
﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾.

وهنا ألفت نظرك عزيزي القارئ إلى قراءة موضوع أشهد أن علياً ولي الله في هذا الكتاب نفسه ففيه معلومات عن هذه الآية وكونها نزلت في علي(ع) وما إلى ذلك.. الخ.

ومما يذكر هنا بالمناسبة ما جاء في حديث مسند عن النبي(ص) رواه الطرفان هو قوله(ص): من عادى علياً فقد آذنته بحرب.

هذا بالنسبة إلى أي ولي كان للنبي(ص) فكيف بسيد الأولياء صهره وابن عمه وأخيه وزوج ابنته الصديقة فاطمة الزهراء وأبي سبطيه الحسن والحسين(ع). قال الشاعر:

ونعم ولي الأمر بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه.. الخ

وأولياء الله تعالى على درجات لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ آية ١٣٢ سورة الأنعام. ونحوها في سورة الأحقاف آية ١٩. وبحسب الدرجات تكون الكرامات للأولياء والصالحين كما في الموضوع القادم والمعجزة للأنبياء(ع) والأئمة(ع)، فبالنسبة إلى الأنبياء والأئمة(ع) تكون تصديقاً لهم إذ لا يعرف النبي الصادق من الكاذب إلا بالمعجز. وبالنسبة إلى الإمام الحق (الخليفة) من بعده فلا يعرف إلا بأمرين:

١- النص من النبي أو الإمام الخليفة الذي قبله.

٢- أو بالمعجز لمن لم يحضر النص. فيشاهد المعجز.

أما الأولياء الصالحون عموماً، فإن الكرامة تكون لبعضهم بحسب الدرجات والظروف وبالكرامة يعرف الولي، ويعتمد عليه، ويستفاد منه في المجالات التي هو فيها: الاستفادة الصحيحة المطلوبة.

وبعد أن تعرفنا على معنى الولي والأولياء، فإلى الموضوع التالي عن الكرامة.

مسألة كرامات الأولياء والأكيد منها والمزيف

وحسبنا مما جاء في القرآن من كرامة الله لبعضهم ما جاء في أصحاب الكهف وهم ليسو بأنبياء ولا أئمة، وإنما هم من سائر الأولياء لله والصالحين، رقوا إلى مستوى عال بانقطاعهم إلى الله وإيمانهم به. فكان من مظاهر ما متعوا به من الكرامات ما جاء في الآية ١٨ سورة الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ..﴾ الخ، فلم تؤثر الأرض على أجسامهم كما تؤثر في غيرهم. وإضافة إلى ذلك أدرج معهم كلبهم بأن أبقي على حالته كما أبقوا ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ كما في الآية ٢٥ الكهف.

وعلى هذا الأساس قال أحد شعراء أهل البيت:

أهل كهف الرقيم انجوا كلبهم كيف لا أنجو وأنا كلب علي

هذا الشاعر أنزل نفسه منزلة الكلب للتدليل على النجاة. وإلا ما كان علي(ع) يقتني الكلاب.

ومما جاء في كتب السنة ما رواه البخاري في صحيحه وغيره ورواه عنه صاحب جريدة البلاد السعودية في عدد محرم ١٣٨٤هـ في أويس القرني وهو أحد أولياء الله. وفيما ذكر عنه يوم استشهد في صفين بين يدي الإمام علي(ع) وجدوا بجنب جثته قبراً محفوراً وماءً وكفناً وحنوطاً في المعركة المكان الذي لايوجد فيه أو لا يتيسر فيه من يحضر هذا الجهاز فسجله له التاريخ فيما سجل له من مجد هذه الكرامة، وعلى ذلك فقس.

على أن هنا وهناك كرامات تروى لبعضهم. منها ما صح بسنده ومنها ما لم يصح، كما ومنها ما يتعارض والمنطق الديني والتاريخي، فعلى المطالع أو

المشاهد أن يتأمل في ذلك ولا يتسرع إلى التصديق أو التكذيب ما لم يقع على صدق ذلك أو كذبه دليل أو أكثر من دليل. فإن كلاً من الروايات الصحيحة وغير الصحيحة موجودة. والكرامة من حيث المبدأ كالمعجزة واقعية وليست كلها وهمية أو مختلقة فقد ألف في كرامات الأولياء والصالحين أكثر من كتاب واحد. فيه الصحيح وغير الصحيح. ومن الكرامات ما زال أثرها باقياً حتى اليوم. ويمكن تقسيم الكرامات إلى:

١- واقعية: وهي على فرعين:

آ- واقعية لشخص معين لسبب أو أكثر من سبب.

ب- واقعية منسوبة إلى غير الذي وقعت له لاختلاف رواية أو لتعمد شخصي.

٢- مفتعلة وهي على فرعين أيضاً:

آ- ما يفتعله بعضهم لغاية خاصة له.

ب- ما يفتعله آخرون لشخص أو أشخاص معينين. لغايات خاصة.

٣- وهمية: وهي على فرعين أيضا:

آ- ما يقع بشكل عفوي لشخص مثلاً مد يده على مريض فخف ألمه. فيتوهم أن تلك كرامة.

ب- ما يقع من شعوذة مردها إلى الإيحاء النفسي واستعداد الطرف الثاني نفسياً للتصديق. فعلى المرء أن يميز ما بين هذه وتلك..

ومما يذكر هنا ما حدث فعلاً - وليس كطرفة - وهو أن مكارياً مات له حمار ولم تكن عنده دراهم لشراء آخر فدفن حماره ليلاً في طرف القرية التي يسكنها. وادعى بأنه رأى في عالم النوم شخصاً نورانياً في ذلك الموضع جالساً وهو يقول له: أنا فلان بن علي. وهذا قبري تدوسه الناس على غير علم فأظهره لتستفيدوا من كراماتي. فعند ذلك أخبر المكاري من حوله. فصدقه بعضهم دون بعض وجمع دراهم من بعض السذج وبنى عليه قبة. وصار بعضهم يزوره.

وفي موسم الحج ، جاءه رجل معه ثلاثمائة دينار ذهب قال له : أنت رجل قيم هذا المزار وإني لا أأتمن غيرك وهذه أمانة عندك إلى رجوعي ، فرحب به واستلمها منه . ولما جاء وطلبها منه أنكره وطرده ، فقال له الرجل : أحلف بحق هذا الولي عند الله أني ما سلمتك شيئاً ! . فحلف الرجل ، وإذا به يقع في حالة شبه الصرع . فاجتمع الناس هناك وهم يقولون هذه كرامة لصاحب القبر فقد حلف به القيم كاذباً . وقال الرجل له : ادفع لي أمانتي تخلص مما أنت فيه . فأجابه بنعم . فزالت عنه الحالة ثم عاد إلى الإنكار فعادت إليه تلك الحالة ، فلم يجد بداً من أن يدفع للرجل أمانته . هذا وهو يخاطب القبر بهمس . ويلك يا حماري ، دفنتك لئلا تأكلك الكلاب ، أهذا جزائي منك .

فقال الناس : إنه صار مجنوناً ، اجعلوا مكانه ابنه أو أخاه . ومضى الناس في هذا الوهم ، فسر هذه القضية ، أن صاحب الأمانة ، كان على عقيدة على أساس النسبة إلى علي . وكان قد أنفق ما عنده في الحج ولم يملك غيرها . فخلف المنكر بحرقة وعقيدة . فحدث ذلك على هذا الأساس . وانطلى على الناس بأن هذه كرامة . وما كانت لحمار مكاري من هذا النوع كرامة حقيقية في يوم من الأيام . وعلى هذا ونحوه فقس وميز رعاك الله :

يظن بفلس لامع ليرةً زهت فلا تغترر بالشكل من غير تبيين . .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

عودة إلى أشهد أن علياً ولي الله في نداء بعضهم بحجه الله وما إليها

إلحاقاً بالموضوع السابق عن أشهد أن علياً ولي الله، تحت هذه الأضواء.

هاك مثله في أشهد أن علياً حجة الله، أو علياً وأولاده المعصومين حجج الله. كما ينادي بها بعض المؤذنين وقبلها ذكر العودة إلى (ولي الله) حيث لها المقام الأول على حجة الله والشواهد كثيرة.

فمن ذلك ما جاء في المصحف المفسر لمحمد فريد وجدي. كما وفي عدد من التفاسير أيضاً حول آخر آية من سورة الحج: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ إن معنى مولاكم متولي أموركم، وعن تولي النبي بإذنه للأمور ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ إنما هو بأمره وكذلك الإمام بعده. وقد جمعت ذلك في الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا..﴾ الخ، وقد سبق ذكرها وما إليها في الموضوع السابق فالحديث هنا عن حجة الله وعما إليها.

١ - فمما في القرآن مثلاً، ما جاء في سورة الأنعام آية ١٤٩: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ..﴾ الخ.

وفي الأنعام نفسها آية ٨٣: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ..﴾ الخ، وكان فيما آتاه الإمامة إذ قال سبحانه في سورة البقرة آية ١٢٤: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ آية ٨٣ سورة الأنعام فعزل الظالمين عن الإمامة وأبقى من كان على نهج إبراهيم في العدالة وما إليها. الخ. ولا جدال في أن الأئمة المعصومين من ولد علي(ع) (الأئمة) كانوا عادلين إضافة إلى كونهم مظلومين لا ظالمين.

ولا مانع لدى القرآن من ذكر هذه الصفة ونحوها لعقب الرجل المتصف بها ممن ساروا على نهجه. إذ قال سبحانه في سورة الزخرف آية ٢٨:

﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِه﴾ وفي سورة الطور آية ٢١ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾ الخ .

على أساس الآية آنفة الذكر : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ﴾ آية ٨٣ سورة الأنعام من أوتي الحجة صار حجة كما أن من أوتي الملك صار ملكاً ، ومن أوتي الحكمة صار حكيماً ، ومن أوتي الإمامة صار إماماً ، ومن أوتي الزعامة صار زعيماً وهكذا . . الخ . فعلي(ع) حجة من حجج الله يحتج به على خلقه ، ولا مانع في ذلك من كتب التفاسير والسنة عند السنة مع اعترافهم بأنه خليفة النبي حقاً وعلى أساس الآية ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ آية ٢١ سورة الطور أتبع به ولده الناهجون نهجه فكانوا حججاً من حجج الله أيضاً .

فكما أن الله سبحانه احتج بإبراهيم والأنبياء وخلفائهم ومن إليهم . وقال فيما قال سبحانه : ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ آية ١٦٥ سورة النساء . وكان سيد الرسل والحجج محمد(ﷺ) . ثم أهل بيته المطهرين من الرجس ، وعلى رأسهم علي وولده الناهجون النهج نفسه .

فالأنبياء رسل من الله وخلفاؤهم رسل الأنبياء وكلهم حجج الله .

ومما يذكر هنا إضافة لما سبق في موضوع أشهد أن علياً ولي الله تحت أضواء الكتاب والسنة ما أجاب به الإمام الشيخ الزنجاني نفراً من السنة في الهند . قالوا له إن في الشيعة من يتصورون بأننا نغيظهم في عدم ذكر سيدنا علي(ع) في الأذان . ومن السنة من يتصورون بأن الشيعة يغيظونهم بذكره . قال : إن من المعلوم لدى جميع المسلمين أن الأذان كله ليس جزءاً من الصلاة وإنما هو مناداة لها والإقامة استعداد لها . حيث تبتدئ الصلاة بالنية وتكبيرة الإحرام . وتنتهي بالتشهد والتسليم ، وأن ما قبل هذا وما بعده بل وبعض ما يتخلل ذلك - ليس إلا لمستحب - وليس بنكر ، أو مما يغيظ . فلا يغيظ الشيعي أخاه السني أن آتي بالشهادة الثالثة . ولا يغيظ

السني أخاه الشيعي إن لم يأت بها. ولا ذلك بداع إلى التغيظ أو التفرقة، بل ربما يكون مانعاً منها فإنه لما آل أمر المسلمين إلى ما آل إليه من شيعة وسنة وصار لكل منهما من المساجد ما يؤدي صلاته فيه غالباً.. والشيعي مثلاً يسبل يديه ويتخذ من الأرض أو من نباتها موضعاً لسجوده، وما التربة الحسينية إلا كقطعة من الأرض نظيفة يسجد لله تعالى عليها كما يسجد على أي قطعة من الأرض كذلك[1]. ولا يجوز السجود على البسط التي يسجد عليها الآخرون.. والسني يكتف ويسجد على تلك البسط.. فربما يقع بين متطرفين من الطرفين شجار قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. كانت الشهادة الثالثة، بمثابة علامة يصلي الشيعي في المسجد الذي ينادي بها عليه في الأذان دون أن يتعرض أو يتعرض له أخوه السني باعتراض ومشادة.. مما يقع بين المتطرفين - كما تقدم - وإلا فإن غير المتطرفين لا يكون بينهم ذلك. فهذا يصلي - كما نشاهد - في مسجد ذاك وذاك يصلي في مسجد هذا.. وإن المساجد لله.. وكيفما كان فمما للوقاية من المشادة. كانت الشهادة الثالثة.

ومما يلاحظ - عزيزي القارئ النبيه - أن مما تحتفظ به الشيعة الاحتفاظ بفصول الأذان الأصلية. فلا تقول مثلاً: أشهد أن محمداً نبي الله، بدلاً من رسول الله، وتقول أشهد أن علياً ولي الله. وأشهد أن علياً حجة الله.. أو - وولده المعصومين - أو الأئمة - حجج الله. ذلك لأن الشهادة الثالثة ليست جزءاً من فصول الأذان، وإنما يؤتى بها بهذا الصيغة أو بتلك استحباباً واستناداً إلى ما جاء في جوازها تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة وما إلى ذلك كما تقدم في موضوع أشهد أن علياً ولي الله.. وما أحسن ما قاله صفي الدين الحلي (ره): مما اطلعت عليه بعد أن انقدح في ذهني هناك وذكرته هناك فكان من باب توارد الخواطر وهو مما يؤيد قولي. إذ قال:

---

(١) في ج٤ كفاية الخطيب تفصيل فراجعه

تــــوال عليـــــاً وأبنـــــاءه تفـــز في المعـــــاد وأهوالـــــه
إمـــام لـــه عقـــد يـــوم الغديـــر بنـــــص النبـــــي وأقوالـــــه
لـــه في التشـــهد بعـــد الصـــلاة مقـــام يخـــبر عـــن حالـــه
فهـــل بعـــد ذكـــر إلـــه الســـماء وذكـــر النبـــي ســـوى آلـــه . . ؟

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

ما هو معنى حجة الإسلام وآية الله العظمى

اقرأ أولاً موضوع أشهد أن علياً حجة الله ، ثم اقرأ ما يلي :

١ - معنى حجة - لغة - بهذا الخصوص هو الدليل والبرهان والحجة تعني الخصومة في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ..﴾ الخ ، آية ١٣٩ سورة البقرة .

وتعني الحجة فيما تعني الوثيقة في قوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ آية ١٤٩ سورة الأنعام .

وعلى هذه الأسس يكون حجة قوية على الخصوم من زوده العلم بالدليل والبرهان القويين ومن قدم وثيقة أو مستمسك بعبارة أخرى . أمام الحكم أو الخصم أو كلاهما أو لمن يهمه الأمر أو لا يهمه فينال مكسباً من المكاسب ونحوه في مختلف الميادين ، كما في ميدان دراسة علوم الإسلام . من تأهل فيه للمحاجة لإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين أعطي لقب حجة الإسلام .

٢ - أما اسم آية الله . . فالآية لغة بهذا الخصوص هي العلامة والدلالة لما جعله الله من خلقه على خلقه سواءً كان مادة أو معنى من بشر أو غير بشر وسواء كان على شكل أو صفة أو على كليهما مما هو معظم أو عادي أو محقر ، حسب المتعارف عليه عند الخلق .

ولقد حوى القرآن فيما حوى نماذج كثيرة من مجموع ذلك وما إليه .

ففي عوالم البشر مثلاً ما جاء في عزير النبي (ﷺ) في الآية ٢٥٩ سورة البقرة : ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ . . الخ .

وفي عوالم غير البشر من الأحياء مثلاً ناقة صالح . فقد قال سبحانه حكاية عنه : ﴿هذه ناقةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً..﴾ الخ ، سورة الأعراف ، آية ٧٣ .

وفي عوالم غير الأحياء مثلاً - السفن - فقد قال سبحانه : ﴿وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ آية ٣٢ سورة الشورى .

وفي هذا الكون الذي نعيش به كم من آية ومنها ما جاء في الآية ٣٧ فصلت : ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..﴾ الخ ، وقوله : ﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ..﴾ الخ ، سورة الشورى آية ٢٩ . . إلى نحو ذلك وغيره مما ذكره القرآن الكريم من كون كل منها آية . ابتداءً مما عرفنا مما هو أكبر - مما تقدم ذكره - كالسماوات والأرض إلى ما دون ذلك وأصغر بل وأحقر أيضاً .

وكذلك أحب وأبغض لشمول ذلك في قوله : ﴿وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ..﴾ وتعريف الدابة : ما دب على الأرض . فمن أحب الأشياء للإنسان مثلاً زوجته . وهي آية أيضاً . فلقد قال سبحانه : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً..﴾ الخ . آية ٢١ سورة الروم . . كما من أبغض الأشياء مثلاً : القمل ، ونحوه . ولكن لا يخرجه ذلك عن كونه آية من الآيات فقد قال سبحانه : ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ..﴾ الخ ، سورة الأعراف آية ١٣٣ ونحو ذلك وغيره . . الخ .

وعليه فلا مجال للاستغراب أو السخرية باسم أو لقب آية الله ، لشخصية علمية بلغت في العلم رتبة عالية . . وما إضافة كلمة العظمى ، إلا للتمييز بين آية وآية . . فلا مانع من إضافتها وقد أضاف القرآن نحوها في بعض آياته ومنها قوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾ آية ١٨ سورة النجم ، ومن جانب آخر إن العالم البالغ من العلم تلك الرتبة لهو مجموعة آيات وليس آية واحدة . لقوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ -آياتٌ- بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ..﴾ الخ ، آية ٤٩ سورة العنكبوت ، وفي هذا كفاية للتعرف على اسم أو لقب آية الله العظمة وصحته على من أطلق عليه ممن أدى حقه ورعاه حق رعايته . ما هو الحال فيما اصطلح عليه الغرب من اسم دكتور للمعلم الجيد وبروفسور للعلامة و. . الخ .

ولا قيمة للجهلاء أو المكابرين يسخرون بهؤلاء أو بأولئك المدعوين بالآيات . فقد قال تعالى في معرض الرد مع تقرير كون ذلك آية : ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ سورة الصافات آية ١٤ . جاء هذا بعد آيتين هما : ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾ آية ١٢-١٣ سورة الصافات ومما في معرض الاستنكار والتذكير : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ..﴾ آية ٩ سورة الزمر وبهذا هنا كفاية .

جواب مسألة الصلاة خير من النوم في أذان الفجر

وصف القرآن الحكيم فيما وصف الصلاة بأنها ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ آية ٤٥ سورة العنكبوت وأنها ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ آية ١٠٣ سورة النساء.

وأثنى بما أثنى به سبحانه على المؤمنين بأنهم ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ آية ٣٧ سورة النور.

أما النوم فهو من آيات الله كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ..﴾ الخ، آية ٢٣ سورة الروم، ولم يرد ما يدل على أن النوم سهو عن الصلاة فيدخل ذلك في إطار من ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ آية ٥ سورة الماعون، أو هو - أعني النوم - لهوٌ عنها - كما في الآية آنفة الذكر: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ..﴾ الخ.

فإن قيل إن جملة الصلاة خير من النوم، للحث على الصلاة.

فالجواب: لو كان في حي على الصلاة من نقص في الحث على الصلاة فتكمله الجملة المذكورة - مع احترامنا للمنادين بها - لقررت منذ بدأ الناس يؤذنون ويصلون منذ بدء الأذان في حياة النبي واستمراره في خلافة أبي بكر وشطر من خلافة عمر (رض).

وهذه الجملة تختلف عن جملة أشهد أن علياً ولي الله. موضعاً وموضوعاً كما مر عليك في موضوع أشهد أن علياً ولي الله فراجعه إن شئت.

إن جملة الصلاة خير من النوم - مع احترامنا لأصحابها - لم يكن لها أساس كتلك ومنه انتظار الوقت الذي جاءت فيه لإحداث منصب جديد بعد النبي(ﷺ) وهو: الخلافة. فالصلاة هي الصلة في وجوده في حين لا خلافة مع

وجود النبي(ﷺ) ولهذا لا وجود للشهادة الثالثة المذكورة. فيختلف عدم وجودها عن عدم وجود الجملة المذكورة.

ولئلا أطيل عليك هاك مما جاء في كتب السنة نفسها عن عدم وجودها في عهده(ﷺ).

١- ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه وأبو داود في السنن باب الآذان من عدم وجودها في الآذان في عهد رسول الله(ﷺ).

٢- ما ذكره الإمام مالك (ره) في الموطأ - في باب الأذان أيضاً - أن المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب (رض) يؤذنه بصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: الصلاة خير من النوم، فأمر عمر أن يجعلها في آذان الصبح.

٣- ما ذكره الزرقاني في تعليقه على هذه الكلمة في شرحه لموطأ الإمام مالك المذكور من التأكيد على ذلك وفيما قال: هذا ما أخرجه الدارقطني في السنن - وهذا من إخواننا السنة أيضاً - بسندين كل منهما عن عبد الله بن عمر (رض) عن أبيه عمر (رض). أحدهما عن وكيع والثاني عن سفيان الثوري. وكلاهما ممن يأخذ عنهما إخواننا السنة وهما منهم أيضاً (رحمهما الله).

أما من شذ من بعضهم بذكره عن أفراد قالوا: إنها كانت على عهد النبي(ﷺ) وهم محمد بن خالد الواسطي وأبو حذره وعثمان بن السائب. فقد قال فيهم أئمة الجرح والتعديل من إخواننا السنة أيضاً - فضلاً عن الذين ترجموهم ونحوهم - ومن أئمة الجرح والتعديل المشار إليهم يحيى بن معين وابن عدي وأبو زرعة شيخ الإسلام والذهبي وغيرهم.. الخ، قالوا في المذكورين الشاذين ما لا أود ذكره من عبارات سيئة في الطعن فيهم وفي رواياتهم على وجه الضبط وأنهم مردود عليهم.. الخ.

وهذا مما يؤيد كونها أضيفت للآذان بأمر من عمر (رض) عندما جاءه مؤذنه يوقظه للصلاة. كما تقدم بيانه من أوثق مصادر كتب السنة أنفسهم.

ومما وقع - في البصرة فعلاً - وليس نكتة أن أحد أئمة المساجد فيها في عصرنا هذا جاءه مؤذنه لصلاة الظهر وبين يديه طبق فيه صبور مشوي (نوع من السمك المفضل بالبصرة). تناول منه شيئاً ليأكله وهو ساخن فهو ألذ من أن يبرد. فقال له المؤذن: الصلاة خير من الغداء، فاستحى وقام للصلاة.

وكيفما كان فالآذان إنما هو مناداة للصلاة وهو مستحب فهو وشبهه لا يدعو إلى التفرقة سيما وأن (حي على الفلاح) وهي مما ينادي بها الطرفان، فإنها تجمع في طياتها فيما تجمع: النداء على الأعمال التي تؤدي إلى الفلاح. وعلى رأسها طبعاً خير الأعمال. فخير العمل حاصله بضمنها أيضاً. كذلك في حي على الصلاة. فالصلاة متفق عليها أنها أفضل القرب، يدخل تحت عنوانها فيما يدخل كونها خير العمل. وما الإتيان بها عند الزيدية والشيعة إلا لكونها جزءاً من الأذان كما تقدم بيانه.

جواب عن قراءة البسملة كجزء من السورة أو عدم قراءتها

مما قرره القرآن أن البسملة جزء من كل سورة وأن كل سورة تبتدئ بها. فهي آية منها. ولهذا جاءت في عرض سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، ولم تبتدئ بها سورة براءة لأنها لم تكن آية منها.

أما قراءة البسملة وعدم قراءتها في الصلاة فقد وردت روايات منها ما يقرر قراءتها ومنها ما لا يقرر ومما يقرر كذلك أنها آية من آيات سورة الفاتحة السبع ما جاء في القرآن نفسه في سورة الحجر آية ٨٧ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

ومما في كتب السنة ما جاء في مستدرك الحاكم على صحيحي البخاري ومسلم في باب التفسير ج٢ ص٢٥٧ ونحوه في تلخيص الذهبي مؤكداً على صحة ذلك بسند معتمد عن ابن عباس (رض) عن النبي(ﷺ) (فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..﴾ إلى آخر السورة). قال ابن جريج عن أبيه أنه قال لسعيد بن جبير (رض) قلت لأبي: لقد أخبرك سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال إن البسملة آية.. ؟ قال: نعم.

وأما بالنسبة للسور الأخرى بأن البسملة آية لكل سورة فقد أخرج صاحب المستدرك المذكور بسند معتمد أيضاً في كتاب الصلاة عن ابن عباس عن النبي(ﷺ) أنه كان إذا جاءه جبرئيل وقرأ البسملة علم أنها سورة وأنه(ﷺ) لا يعلم ختم السورة حتى تنزل (البسملة).

وكذلك كان المسلمون لاحظ ص٢٣١ و٢٣٢ من الكتاب المذكور، وكان المسلمون يقرؤون بعد الفاتحة سورة تامة من ابتدائها بالبسملة حتى انتهائها. كما ذكر ذلك فيمن ذكر الإمام الشافعي (ره) في مسنده ص١٣ أن

عبد الله بن عمر (رض) كان لا يدع البسملة ونحو ذلك ذكروا إضافة إلى ما ذكره صاحب المستدرك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي كانوا لا يدعونها. وكذلك أم سلمة وعائشة، وأن النبي كان يقرؤها.

ونحوه ما جاء في المستدرك أيضاً بسنده عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال: صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي. فكانوا يقرؤونها.. ويجهرون بقراءتها.. الخ. مما لا يجعل أهمية لما ذكروا عن أنس من مجاملته لبني أمية على خلاف ذلك.

لقد جاء فيما جاء في المستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبي عن أنس بن مالك نفسه أن معاوية صلى في المدينة صلاة جهر فيها بالقراءة للبسملة في الفاتحة ولم يقرأ البسملة للسورة التي بعدها. فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين الأنصار: يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت..؟ فلما صلى معاوية بعد ذلك قرأ البسملة للسورة التي بعد الفاتحة.

ومما يذكر هنا، ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره ج١ ص١٠٦ أن بني أمية - وعلى رأسهم طبعاً معاوية الذي سبق ذكره في هذا الباب - بالغوا في المنع من الجهر بالبسملة سعياً في إبطال آثار علي بن أبي طالب(ع) في مبالغته في الجهر بها، وكان قد قال في ص١٠٥ منه أن البيهقي في سننه روى الجهر بالبسملة عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وابن الزبير - إلى قوله - وأما علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان يجهر بها وقد ثبت ذلك بالتواتر، ومن اقتدى بدينه بعلي فقد اهتدى، واتبع ذلك بقوله: «والدليل على ذلك قول رسول الله(ﷺ) اللهم أدر الحق معه حيث ما دار».

وهذا القدر - عزيزي القارئ اللبيب - كما تراه كاف ومغن عن سواه أو إطالة في كلام.

ومما يذكر هنا مما حدث - وليس كطرفة - أن سوقياً حضر صلاة جماعة لأول مرة، فلما انتهى الإمام من قراءة الفاتحة تحول رأساً إلى سورة من قصار

السور بدون بسملة. فناداه بلهجته الشعبية - ليش ما جبت بسم الله الرحمن الرحيم اتخاف بيها مكروب لا سمح الله - .

وهذه القضية بقدر ما تدعو إلى الضحك تعرب عن إحساس حتى السوقي أو القروي البسيط أن البسملة لا يستساغ تركها. هذا مع الاحترام للآخرين.

وأغرب من هذا أن أحد أئمة الجماعة لم يكتف بحذف البسملة. بل قال: إنه ينبغي حذف قل في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ونحوها. باعتبار المخاطب رسول الله بـ (قل) للتبليغ، فقامت عليه القيامة ممن حوله لعدم جواز إنقاص حرف من القرآن بإجماع المسلمين. فلم يجد الرجل بداً من أن يتراجع عن قوله هذا. أصلحه الله وأمثاله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جواب عن قول آمين بعد قراءة الفاتحة

قد يحسب بعضهم أن آمين جمع آم. تعني القاصد أو المتوجه كما في الآية ٢ سورة المائدة: ﴿ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾، فقد جاءت فيها أقوال - كما سأذكرها بعد قليل - بما فيها كونها من باب النحت: ومعناها اللهم اسمع واستجب، أو استجب لنا. فالألف من الله، والميم من اسمع، والياء للنداء والطلب، والنون للجماعة. ونحوها صلعم. فالصاد واللام صلى الله، والعين والميم: عليه وسلم.

ومن الحديث عن آمين، قلت فيما قلت في الستمائة المهدية في الحذف والتقدير في الدروس النحوية والصرفية ص٨:

أو قيل آمين فباب النحت قوامه الحذف وسوف يأتي .. الخ

ومما في أرجوزتي الألفين الفقهية ج١ ص٢٠ تحت عنوان مبطلات الصلاة. وفيما منها آمين. إذا قصد بها كجزء من الفاتحة.

وقول آمين لدى من سفهه كذا ولو مع اضطرار قهقهة .. الخ

ذلك لما قد أجمع المفسرون على أنها ليست جزءاً من الفاتحة. رقم ما شرق به بعضهم وغرب حولها فبالتالي ضم ذلك البعض صوته إلى الإجماع المذكور.

١- فمن ذلك مثلاً ما ذكره المراغي في تفسيره ما نصه أن معناها الله تعالى ذكر ذلك عن علماء الآثار المصرية وأن ختم الفاتحة باسم من أسمائه ويوازنون بينها وبين مينو وآمون وآمين.

هكذا ذكر المراغي دون أن يذكر واحداً من علماء الآثار الذين أشار إليهم، ومع احترامي له إن هذا الكلام سفه لا يليق بتفسير كتفسير المراغي

إيراده. أفيؤتى بشيء نـاب وخاصـة كهـذا في مجـال الآلهـة الفرعونيـة الباطلـة ومجال أسماء الله تعالى.

ثم متى كان شرطاً أن تختـم السـورة بـأحد أسـمائه الحسـنى. وإذا كـانت آمين ختاماً للفاتحة فما هو الجواب عن ختام سورة البقرة بكلمة (الكافرين).

وفي تفسير ابن الجـوزي ج١ ص١٧ عـن ابـن قتيبـة أمـين أي يـا أمـين مثـل ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي يا يوسف فأسقط حرف النـداء.. وبنـاءً على هذا القول اعتبر أصحاب هذا القول آمين اسم من أسمائه تعالى.

مع هذا وذاك فإن مرجع الجميع إلى الإجمـاع مـن أنهـا ليسـت جـزءاً مـن الفاتحة، ولذلك لم تدرج كتابة معها بالإجماع أيضاً. ولا خلاف في ذلك ومـا ذكروا من خلاف فهو جانبي فقد ذكـر الدكتـور الأزهـري الشرباصي في كتابـه يسـألونك ج٣ ص٢٢ خلافـات المذاهـب الإسـلامية فيهـا خاصـة في الجهـر والإخفات بها بين الإمام والمأموم والتخيير ما بين ذلك، وقال مـا نصـه: (إنها غريبة الأصل - كما قال هذا غيره - وإنها غير عربية وإنها موجودة في ديانـات أخرى وإن الأناجيل مختتمة بهـا وكذلك مزامير داود، وإنهـا مشرعة عنـد بعـض المذاهب الإسـلامية ومندوبـة (مسـتحبة) عنـد بعـض وواجبـة عنـد الظاهريين منها. وعند العترة بدعة (يقصد عند أهل البيت) وعلى ما عند أهل البيت(ﷺ) يجري الشيعة في عدم استعمالها).

وأردف الشرباصي كلامه بما نصه: (.. إن آمين ليست بقرآن وأن معناها اللهم اسمع واستجب ونحو ذلك. وإنه لم يصح قول من قال إنها مـن أسـماء الله، إضافة إلى كونها ليست جزءاً من القرآن في الفاتحة المتلوة ومـع ذلـك فقد جوز بعض علماء الشيعة الإتيان بها بنية عدم الجزئية).

وعلى هذا فلا تحتاج إلى جـدل. فليسـت بمشكلة توجـب القـال والقيـل والتفرقة بين المسلمين فهم مدعوون جميعاً إلى الوفاق.

ومما حدث فعلاً - وليس كطرفة - أن عدداً من العمال خرجوا من محل عملهم في إحدى المدن الإسلامية والمؤذن يؤذن لصلاة الظهر، فدعوا إلى الصلاة وفيهم غربي لم يفرق بينه وبين المسلمين العرب حيث كانوا يرتدون البزة الموحدة للعمل. فدخل معهم إلى المسجد موافقاً لهم. وعندما انتهى الإمام من سورة الفاتحة. وقال المؤتمون آمين - لم يحسن الغربي النطق بآمين، وفهم منها أنها كلمة تجاوب فقال مكان آمين: أوكي OK.

وهذه القضية أيضاً بقدر ما تدعو إلى الضحك، تعرب عن الوفاق مع الجماعة. ألا: حي الله الوفاق.

جواب عن حي على خير العمل في الأذان

لا أبالغ إذا قلت أني وجدت نفسي في حيرة أكثر من أي موضوع آخر أصدره بأي من القرآن ذلك لأن الآيات الواردة فيما أمر الله به ونهى عنه وحببه وكرهه وأباحه من الأعمال في ميداني الدنيا والآخرة تعد بالمئات. وجعل الامتياز لأكثرها خيراً، وأطيبها وأصلحها وأفضلها مادة، وأحسنها أداءً و. . الخ. ويكفي أن أذكر بالمناسبة هنا، مما جاء في الاستنكار والتنديد الموجه إلى من أساء العمل، وأشد منه ما جاء فيمن اعتبر الحسن سيئاً والسيئ حسناً. . مقابل الإكبار والتمجيد الموجه إلى من هو على بينة من ربه في ذلك ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ آية ١٤ سورة محمد(ﷺ) ونحوها من الآيات. . الخ.

لا أريد أن أدلل على مشروعية - حي على خير العمل - فيما أشير أو أذكر من الآيات، فهذه كانت مسنونة على عهد النبي(ﷺ) وما سنّه النبي(ﷺ) فهو موافق للقرآن تقريراً من الله أو إقراراً من الله سبحانه. فليس ما قدمته هنا إلا للذكرى فقط ولا مبرر لإلغائها كما ستعرف ذلك من نفس كتب ملغيها فلقد كانت في عهد النبي(ﷺ) - كما تقدم - وفي خلافة أبي بكر (رض) وشطر من خلافة عمر (رض) إذ منعها على أساس اجتهاد له - على ما ذكروا - من كونها قد تدعو إلى انشغال الناس بالجهاد عن الفرائض الأخرى؛ علماً بأنها مثبتة قبل ذلك، كما جاء في الكتب المعتمدة عند السنة أنفسهم.

١ - ففي صحيح مسلم ج١ ص٤٨ بسنده عن ابن مسعود أن النبي(ﷺ) أمر المسلمين أن يقولوا في الأذان والإقامة حي على خير العمل، وما إن ولي عمر حتى أسقطها.

وجاء في السيرة الحلبية ج٤ ص٥٦ أن علياً ومن كان على رأيه من الصحابة لا يسقطونها . وكان عبد الله بن عمر (رض) على هذا الرأي أيضاً .

٢- وفي شرح التجريد للقوشجي وعنه روى صاحب الفصول المهمة ص٦٨٠ أن عمر قال : ثلاث كن على عهد رسول الله(ﷺ) وأنا أنهي عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل .

٣- الحافظ الحلبي في كتابه المشهور السيرة النبوية الحلبي ج٢ ص١١٠ باب بدء الأذان ومشروعيته بأن فيمن لم يتابع عمر في ذلك ولده عبد الله بن عمر (رض) والإمام زين العابدين(ع) .

وهذان كنموذجان من أهل البيت(ع) والصحابة (رض) الذين لم يتابعوه في ذلك .

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج - وهو من السنة - كما وكل من كتب عن ثورة الحسين بن علي صاحب فخ أيام الهادي العباسي . أنه أمر بإعادتها فأعيدت ونودي بها علناً .

وعليه فمن أخذ بها إنما أخذ عن هذا المصادر المعتمدة ، ولهذا فإن الزيدية في اليمن ينادون بها على الأذن وفي الراديو والتلفزيون . وكذلك الشيعة في إيران . وفي كل مكان من العالم تواجدوا فيه .

جواب عن التكفير في الصلاة ويعني التكتيف

لا جدال في أن الخشية وهي الخوف والخشوع وهو التذلل. مما يطلب من المصلي. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ آية ٤٤ سورة المائدة وقال تعالى في سورة الأحزاب آية ٣٥ ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ - إلى قوله - ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. إلى نحوها من الآيات.

وعليه فإذا قصد بالتكتيف الخشية والخشوع، والله أحق بذلك كما قال سبحانه ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آية ١٣ التوبة ونحوها من الآيات وعلى هذا ترتب التكتيف في الصلاة - كما سيأتي - فهل كان رسول الله(ﷺ) غافلاً عن ذلك ليأتي من بعده ومن بعد أبي بكر عمر (رض) فيتنبه إليه ويأمر به..؟ حاشا رسول الله(ﷺ) أن يغفل ذلك فلم يعرضه فيما عرضه في صلاته قائلاً: صلوا كما رأيتموني أصلي. كما جاء هذا في السنة.

لقد ابتدأ التكتيف الذي عليه بعضهم دون بعض كما في...

منذ أواسط خلافة عمر حيث ابتدأ من مجيء سبي الفرس ومثولهم بين يديه فيه، وهو عبارة عن وضع إحدى الكفين على الأخرى على البطن وبعضهم على الصدر، فاستغرب ذلك منهم وسألهم فقالوا نقف هكذا بين يدي عظمائنا. قال: ليكن الوقوف بين يدي أعظم العظماء في الصلاة هكذا.

ولما كان وقت الصلاة وتقدم إلى المحراب وأمر الناس أن يفعلوا مثلهم وفعل هو أيضاً. فوافقه على ذلك من وافقه. وبقي من بقي على ما كان عليه النبي وأبو بكر وشطراً من خلافة عمر نفسه.

وتبع من وافقوا عليه بعض المذاهب وتبع الذين لم يوافقوا بعض المذاهب أيضاً فالمالكية والزيدية والشيعة تسبل والآخرون يكتفون باعتباره جزءاً من الصلاة..

وعند بعض الشيعة لا يجوز مطلقاً وعند بعضهم لا بأس به على شرط أن لا يكون بنية الجزئية من الصلاة. أو أن يؤتى به عمداً. فيعد في المبطلات مما نظمت على أساس ذلك فيما نظمت في أرجوزتي الألفين الفقهية ج١ ص٢٠ في ثماني أبيات منها: -

والركـــن مطلقـــاً ازاد أم نقـــص يبطل والعمد لغير الركن خص

كذلـك (التكفير) عمـداً والبكـا عالياً للدنيا وان بشككا و.. الـخ

وما دام الأمر كذلك فهذه ليست من المسائل التي تدعو إلى المشادة ما بين المالكية والزيدية والشيعة في الإسبال وبين الآخرين في التكتيف ويمكن الوفاق بين الطرفين على أن يأتي به أولئك لا كجزء ويأتي به هؤلاء كجزء ويرى الجميع أمام أعداء المسلمين على نمط واحد. أو يبقى هؤلاء على الاتيان به، وأولئك على عدم الاتيان به مع تبادل الود والاحترام. والأعمال بالنيات؛ وإنما يتقبل الله من المتقين لا من المسبلين أو المتكتفين بدون تقوى رب العالمين.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب على سؤال عن الجمع بين الصلاتين

أبلغني شاب عراقي اسمه غدير سعيد عبد الله أن الشيخ متولي الشعراوي تهجم على الشيعة ناقداً جمعهم بين الصلاتين، فيما وجد من انتقاد لا يستند على أساس متين، وسألني الشاب المذكور: الجواب: فكتبت ما يلي.. ؟

قبل كل شيء عندنا كتاب الله - ومن أبرز المفسرين من إخواننا السنة الإمام الرازي؛ فقد قال في ص٤٢٨ ج٢ من تفسيره الكبير في الآية: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً..﴾ ما نصه «فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة - كان عبارة عن أول المغرب، وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات، وقت الزوال، ووقت أول المغرب، ووقت الفجر. وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين، وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً».

وهذا المعنى نقله الرازي عن ابن عباس (رض) وعطاء والنظر بن شميل، ونقله الإمام الطبرسي في تفسيره مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة، ونحوه عن الإمام الصادق(ع).

ومع إشارة الرازي إلى قول من قال من المذاهب لا يجوز الجمع من غير عذر وأنه وجب أن يكون الجمع جائزاً لعذر السفر والمطر وغيره.. الخ.

والذي يقوي القول الأول - أعني الجمع مطلقاً - ما ثبت عن النبي(ﷺ) أنه كان يجمع في عذر وفي غير عذر. هذا إضافة إلى ما هو متفق عليه عند

الجميع من الجمع في عرفة والمزدلفة وفي غزوة تبوك. كما في موطأ مالك (ره) وفي الغدير كما في أسانيد أخرى ذكرها فيمن ذكرها عن كتب الطرفين صاحب كتاب الغدير ونحوه..

وكان آل البيت(ع) وعدد من الصحابة (رض) يجمعون اقتداءً برسول الله(ﷺ) وقد ورد عنه(ﷺ) قوله: لئلا تحرج أمتي.. ونحو ذلك في مجموع أحاديث وأخبار النفي بذكر شيء منها للاختصار عن أمهات كتب إخواننا السنة عن نفر من الآل والصحابة (رض) منهم.

١- عبد الله بن عمر بن الخطاب (رض) فقد جاء في كنز العمال للبيهقي ج٤ ص٢٤٢ رقم الحديث: ٥٠٧٨ أن عبد الله هذا سأل عن كون رسول الله(ﷺ) كان يجمع بين الصلاتين مطلقاً فقال: فعل ذلك لئلا تحرج أمته.

٢- معاذ بن جبل (رض) فقد جاء في مسند الإمام أحمد ج١ ص٢٥١-٢٥٢ مثل ذلك وقوله (رض): أراد أن لا يحرج أمته.

٣- عبد الله بن مسعود (رض) ففي نفس الكتاب المذكور أيضاً فضلاً عن غيره أنه كان(ﷺ) يجمع لذلك وأنه(ﷺ) قال: صنعت هذا لئلا تحرج أمتي.

٤- عبد الله بن عباس (رض) ففي صحيح مسلم (ره) - مثلاً في باب هذا الموضوع - بسنده عن سعيد بن جبير (رض).

عن ابن عباس أن النبي(ﷺ) صلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر وقال (رض) أراد(ﷺ) أن لا يحرج أمته.

ونحو هذا في صحيح البخاري - باب تأخير الظهر إلى العصر.. الخ - بيد أنه أتبعه بقول أيوب: - لعله يقصد الجمع - في ليلة مطيرة، قال: عسى.

واعترض على ابن عباس (رض) في البصرة على جمعه بين الصلاتين مطلقاً. فقال (رض) إن النبي جمع وكنا نجمع على عهده، وسئل أبو هريرة (رض) عن صحة ذلك فصدقه. كما جاء هذا في مسند الإمام أحمد بن حنبل (ره) ج١ ص٢٥١.

وفيما ورد في شرح موطأ الإمام مالك (ره)، للإمام الزرقـاني ص٢٦٣: أن ابن عباس (رض) فعل ذلك كذلك - لشغل -.

ونحو هـذا مـا ذكره الإمام ابن القيم الجوزية في ج٣ من كتابه أعـلام الموقعين عن رب العالمين بعنوان: الجمع بين الصلاتين ما يفيد أن ذلك ثابت في السنة الصحيحة المحكمة - ويورد شيئاً مما تقدم ويعقب عليه بقوله - إن كل هذه السنن في غاية الصحة والصراحة ولا معارض لها. وإن ردت بأنها أخبار آحاد فالجواب بأن الجميع من عند الله فالذي حدد مواقيت الصلاة هو الذي شرع الجمع بين الصلاتين بقوله وفعله فلا يؤخذ ببعض السنة ويترك بعضها..).

وقد أورد هذا الدكتور الشرباصي الأستاذ في الأزهر الشريف في عصرنا هذا في كتابه يسألونك في الدين والحياة ج٦ ص٤٩-٥٠. وعقبه بقوله: «وقد ورد في السنة الصحيحة أن رسول الله(ﷺ) جمع بين الصلاتين في غير سفر ولا مطر. وقد سئل راوي الحديث ماذا أراد بهذا..؟ فقال: «أراد أن لا يحرج أمته. وهذا من تيسير الله على عباده الذي جعل الدين يسراً لا عسر فيه». ونحو هذا كثير فيما ورد في الجمع أمام التفريق.

وعليه، فمع أن التفريق أفضل عند آل البيت وشيعتهم بمن فيهم حبر الأمة ابن عباس (رض) ونحوه. فإن الجمع، - وهو مما عمل به النبي(ﷺ) في عهده وعمل به من اقتدى به في ذلك - وقوله: لئلا تحرج أمتي - فإن الجمع أولى فإننا نرى كثيراً - وخاصة في عصرنا هذا - ممن يثقل عليهم التفريق لكثرة أشغالهم وعدم سماح الوقت لهم بذلك وربما ترك بعضهم الصلاة كلياً لذلك - ويخف عليهم الجمع فلا يحرجون. وهذا هو مقصد رسول الله(ﷺ) بجواز الجمع مطلقاً لئلا تحرج الأمة.

وعليك - أيها القارئ النبيه - أن تقدر هذا التجاوب من الشيعة، مع احترام الآخرين.

والخلاف إن وقع في الجمع والأفراد مع أن رسول الله(ﷺ) كان يجمع ويفرد وأن على المسلمين عامة أن يفعلوا فعله هذا الخلاف لم يكن بأعجب من الخلاف في أداء صورة الصلاة نفسها فهذا تراه يسبل وذاك تراه يكتف، وهذا تراه يجهر بالبسملة وذاك يخفت، وهذا لا يقول آمين بعد الفاتحة ويأتي بالبسملة مع سورة. وهذا يقول آمين ويأتي بجزء من سورته بدون بسملة.. وهذا يقنت في الركعة الثانية وذاك لا يقنت.. وهذا يهوي بعد الانتصاب من الركوع إلى السجود مباشرة ويستقبل الأرض بيديه.. وذاك يتريث بعد انتصابه من الركوع ثم يهوي إلى السجود مستقبلاً الأرض بركبتيه،.. وهذا يأتي في التشهد والتسليم على نمط، وذاك يأتي بهما على نمط آخر - مع أن ذلك مجتمع في معانيه - وهذا لا يلتفت بعد الفراغ يميناً وشمالاً إلا قليلاً حال التسليم وما إليه.. وذاك يلتفت كلياً..

هذه ثمانية أمور مختلفة - مع أنها لا تعدو عند كل طرف فيما أتاه عن كونها مما للصلاة المطلوبة.

كذلك بالنسبة للخلاف في الوضوء. فكل منهما يعتبر ما يأتي به من صورة للوضوء بأنه هو الوضوء المطلوب إن الذي هذا وذاك أعجب من الخلاف في الجمع والإفراد، بل من المدهش حقاً، أن النبي(ﷺ) يتوضأ ويصلي كل يوم خمس مرات ويتوضأ المسلمون ويصلون معه.. وكان قد أكد عليهم فيما أكد بقوله(ﷺ): «صلوا كما رأيتموني أصلي». مما يفهم من هذا الحديث ونحوه أنه(ﷺ) كان يراقبهم في أداء صلاتهم أن تكون كصلاته.. وهكذا الوضوء.. ونحو ذلك.. الخ.

وخلال ذلك أو بعد ذلك تراهم يختلفون هذا الاختلاف. كأن رسول الله(ﷺ) كان يصلي بهم مرة هكذا، ومرة هكذا.. وكأن لم تكن الصلاة على صورة واحدة مؤكدة لمراقبته وحرمته على أدائها كما يؤد بها هو نفسه(ﷺ) دون تغيير اللهم إلا في حال الخوف. أو في حال المانع الشرعي من عاهة أو

مرض، حيث يتحول القيام بالنسبة للمقعد إلى جلوس وكذلك بالنسبة للمريض الذي لا يستطيع أن يقوم. . وإلى آخر ما هناك مما هو مفصل في كتب الفقه عند الجميع.

أما في حال الأمن والصحة، والإقامة. وبعبارة أشمل في حال عدم المانع الشرعي فإن الصلاة اليومية هي على الصورة التي كان يصليها رسول الله؛ لم تختلف ولا يجوز أن تختلف.

فمن أين إذاً جاء ما تقدم ذكره من اختلاف فضلاً عما لم نذكره خشية الإطالة. ولأن النموذج المذكور واف بالغرض، وهو التنبيه إلى كون صورة الصلاة اليومية واحدة. كان يصليها الرسول(ﷺ) ومعه المسلمون (رض). مع التأكيد على أن يجري عليها المسلمون عبر العصور والأجيال. . الخ. لا أن يصلي هذا بصورة تختلف عن ذاك. وأن يصلي ذاك بصورة تختلف عن هذا. . وإن كان ما يأتي به هذا وذاك عن حسن نية. والأعمال بالنيات فيعتبر كل قد أداها. . إن الذي يبدو من خلال التتبع والبحث أن هذا الاختلاف يعود إلى أربعة أمور:

١ - إما أن يكون عن نسيان بعضهم لبعض تلك الصورة فيحل محل ما نسيه شيئاً يستحسنه ويراه آخر فيحسبه من أصل الصورة فيجري عليه.

٢- وإما أن يكون عن إحلال بعضهم لما يستحسنه محل جزء من أجزاء صورة الصلاة.

٣- وإما أن يكون عن رغبة في خلاف من التزم بأجزائها كاملة أو ببعض أجزائها دون بعض. .

٤- وإما أن تكون هناك أصابع وراء هذا الاختلاف أو ذاك، لغاية التشويش والتفرقة. . وهذا مما يجب أن يحذره جميع المسلمين. .

إن المسلمين الشيعة. . وصلت إليهم فيما وصل - صورة الصلاة وغيرها - عن أهل بيت رسول الله(ﷺ) وعدد من صحابته (رض).

وإن المسلمين السنة . . وصلت إليهم فيما وصل عن صحابة النبي (ﷺ) وشيء عن أهل بيته (ﷺ) . وبقي لك أيها المسلم غير المتحيز ، بقي لك الخيار فيما جاء عن النبي وآله الأطهار وصحابته الأبرار ، فيما تختار دون إثارة ما يفرق من جدل عقيم قد تميل عن النهج القويم ،

إن صلاتكم اليومية - أيها المسلمون - على ما تؤتى من صورة . فهي صلاة خمس لا تزيد واحدة ولا تنقص واحدة أكانت جمعاً أم إفراداً هي واحدة . وإن أمتكم هذه أمة واحدة . فحذاري أن تنفروا من الصلاة كما نفر بعض من لا علم له . . فإن الصلاة عمود الدين وفضيلتها وفضلها . وفوائدها دنيا ودين أشهر من أن تذكر ، وهي مذكورة في مئات بل آلاف الكتب المعنية بين إجمال وتفصيل . هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل .

جواب عن التكبير نهاية الصلاة والرد على فرية خان الأمين

ذكر الله التكبير في القرآن في عدة آيات منها: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ آية ٣ سورة المدثر. و: ﴿لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ آية ١٨٥ سورة البقرة، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ آية ٣٧ سورة الحج، و: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ آية ١١١ سورة الإسراء، و. . الخ.

وأول فصول الأذان التكبير. الله أكبر وعلى أثر النية تقول: الله أكبر، وعلى الذبيحة: بسم الله والله أكبر. وعلى العرائس وعلى الجنائز. ولمشاهدة أمر عجيب ولانتهاء القاضي من حكم في قضية وضحت بعدما عميت و. . الخ.

ووصف سبحانه ذكره لما وصفه بأنه أكبر قال تعالى في سورة العنكبوت آية ٤٥: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَ..﴾ الخ.

وعلى هذه الأسس ونحوها، كبر رسول الله(ﷺ) - كما جاء في كتب السير والسنة والتواريخ - لما دخل مكة فاتحاً كبر ثلاث مرات. ولما جاء هو وعلي(ع) لتطهير الكعبة من الأصنام وكبر واتبع التكبير والآية ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ آية ٨١ سورة الإسراء.

وكان(ﷺ) إذا انتهى من الصلاة كبر ثلاثاً. كما جاء هذا في صحيح مسلم ج١ ص٢١٩ - وهو معادل لصحيح البخاري عند الأخوة السنة - بسنده عن ابن عباس (رض) قال كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله(ﷺ) بالتكبير، . . الخ.

ونحو هذا ما رواه عمر بن دينار عن أبي معبد - عن ابن عباس - وأضاف إليه - قال عمر. فذكرت ذلك لأبي معبد بعد ذلك فأنكره وقال: لم أحدثك بهذا وكان قد حدثه به بالتأكيد و. . الخ. وعليه فالشيعة على هذه الأسس - أسوة برسول الله(ﷺ) - تكبر ثلاثاً عند الفراغ من الصلاة.

أما يستحي المفترون عليهم - سامحهم الله - أن يقولوا بأن الشيعة تقصد بذلك أو تقول: خان الأمين يعنون جبرئيل(ع). جاء بالرسالة لعلي بن أبي طالب(ع) فصادف محمداً(ص) فأعطاه إياها. وصير علياً وغيره تبعاً له.

يا لها من فرية فضحها حتى من كان على رأي مدعيها، كالدكتور محمد التيجاني في كتابه: ثم اهتديت. ونحوه؛ إذ لم يجد لها أي مصدر من كتب الشيعة. وأن هذه ونحوها من باب حدث العاقل بما لا يليق فإن صدق لا عقل له. فهل يعقل أن جبرئيل أمين الله على وحيه. كان - وحاشاه الله - على هذا الدرجة من الغباوة بحيث يشتبه - لو صحت الرواية - فلا يميز بين صبي عمره حوالي العشر سنوات، علي بن أبي طالب(ع) في ذلك الوقت، وبين كهل عمره أربعين سنة هو محمد بن عبد الله(ص) في ذلك الوقت بالذات.

الله الله في أنفسكم أيها المفترون. إنكم تحملون الوزر، إضافة إلى أنكم في هذه وأمثالها تحسنون إلى الشيعة من حيث تسيئون ولا تحبون الإحسان؛ فإن هذه وأمثالها تدفع الآخرين إلى الاستطلاع عليها. فلم يجدوا لها أي ذكر وبذلك يعلو أمر الشيعة ويسفل أمركم، أصلحكم الله وإيانا أجمعين.

مسألة صلاة الجماعة والجمعة والإمام

مما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ..﴾ الخ، آية ١٠٢ سورة النساء.

دلت هذه الآية فيما دلت إمامة الجماعة ليست إلى كائن من كان، بل الذي يرى أنه الأفضل هو الذي يؤم الناس. وإلا لأمر أن يصلي بطائفة منهم أحدها. فإذا فرغوا أخذوا أسلحتهم ووقفوا حراساً للطائفة الأخرى يصلي بهم آخر منهم.

في حين أنه(ﷺ) أمهم جميعاً، إذ تصلي طائفة منهم ركعة مع النبي(ﷺ) جماعة وركعة فرادى - حيث كانت قصراً - فإذا فرغوا جاءت مكانهم الطائفة التي كانت تحرسهم من الأعداء. فصلت مع النبي ركعة جماعة، وركعة فرادى. والطائفة التي صلت قبلها ركعة جماعة وركعة فرادى حلت محلهم في الحراسة..

.. نعم هكذا كان الترتيب وقد دل فيما دل إضافة إلى:

١- إن من حق الأفضل إمامة الجماعة جاء ذلك بتفضيل في فقه المذاهب بما فيها الشيعة عن تلك الأفضلية.

٢- الحصول على فضيلة صلاة الجماعة وثوابها المضاعف، خلف الإمام الأفضل.

وإلا: لصلوا فرادى، أو جماعتين إحداهما تصلي والأخرى تحرس فالصلاة هذه تسمى صلاة الخوف؛ في ظرفها الخاص هذا ونحوه.

ولهذا فإن الشيعة تهتم باختيار إمام الجماعة على شروط تميزه على سواه ممن حضروا، ولا تأخذ بالحديث الذي عند بعض السنة (صلوا خلف البر والفاجر). فهذا القرآن يصرح أن إمام الجماعة لا ينبغي أن يكون كائناً من كان. وإلا لما قرر - في ظرف الخوف فضلاً عن ظرف الأمن - أن يتقدم الجماعة أفضلهم.

وعلى هذا الأساس نظمت ذلك موضوع صلاة الجماعة بما فيه فضلها وأهم أحكامها وشروطها وشروط من يؤم الناس فيها والمؤتم وذلك في ٣٥ بيتاً. هاك منها في شروط إمام الجماعة العشرة والأربعة الملحقة بها ومما إلى ذلك:

شرائط الإمام للجماعة	عشرة تؤهل اتباعه
١- طهارة المولد، ٢- والجنس ذكر	كذا ٣- عدالة ٤- وإيمان يقر
٥- والاتجاه واحد يكون	في قبلة والقل لا يشين
٦- والعقل ٧- والبلوغ ٨- والقراءة	صحت ٩- ومؤتم يرى أداءه
صحيحاً اجتهاداً أو تقليدا	١٠- وقائماً يكون لا قعيدا
وجاز أن يأتم فيه مثله	وفي انتفاء ذي الشروط عزله
وجاء ١١- ليس أبرصاً ١٢- أو	١٣- وليس إعرابياً ١٤- أو حداً لزم

إلى آخر الأبيات فراجعها إن رمت المزيد في ج١ ص٢٩-٣١. أرجوزة الألفين المهدية الفقهية.

أما صلاة الجمعة. فقد دعت إليها الآية ٩ من سورة الجمعة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ..﴾ الخ.

فسرها بعضهم بخصوص صلاة الجمعة التي هي عبارة عن خطبة وركعتين. تعتبر الخطبة عن ركعتين فيكون المجموع المطلوب لصلاة

الظهر أربع ركعات. وفسرها آخرون تعني الصلاة الاعتيادية أو تشملها مع صلاة الجمعة المذكورة يشترط معظم الشيعة ما لا يشترطه آخرون منهم كما لا تشترطه السنة. وقد نظمت ما عند معظم الشيعة فيها بإجمال في الألفين ج١ ص٢٨:

وفي صلاة الجمعة التخيير حل — جمعة صل او الظهر فصل
او اجمع الاثنين وهي أن تصب — جميع شرائط حضورها يجب
أما إذا لم تجمع الشرائط — فبعضهم الكف عنها يربط

و.. إلى آخر ما هناك ما يطول ذكره وبهذا هنا كفاية.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن جواز زيارة القبور واتخاذ المساجد عندها أو عليها..؟

استغرب بعضهم رواية عدم جواز هذا، وذلك لتوفر الأدلة بعكسها. وللبيان لمن قد ينطلي عليه قدم هذا السؤال.. والجواب تحت هذه الأضواء ما يلي:

رواية عدم الجواز شاذة مردودة لمخالفتها الكتاب والسنة فمما في القرآن ما جاء في سورة الكهف آية ٢١: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.

يضاف إلى ما ورد في رواتها من كتب رواتها أنفسهم ما يجعل تلك الرواية مردودة.

١- فمثلاً: أحد رواتها عبد الوارث بن سعيد قال عنه فيمن قال ابن حجر في تهذيب التهذيب بسنده أنه منهي عن الأخذ بروايته فقد كان قدرياً اعتزالياً مذموماً، وأنه كان إذا حدث تركوه وخرجوا عنه، كما عن حماد بن زيد والحسن بن ربيع وغيرهما. وفيه أن أبي علي الموصلي أنه قال: فما جلسنا إلى حماد بن زيد إلا نهانا عن عبد الوارث ونحوه، و.. الخ.

٢- ميزان البصري، قال عنه أبو حاتم السجستاني: إنه لا يحتج بحديثه. وقال النسائي عنه: إنه ليس بثقة. وقال عنه ابن عدي: لم أعلم أحداً من المتقدمين رضيه. وقال عنه عبد الحق في كتابه الأحكام: إنه ضعيف جداً. وقال الجوزجاني عنه بأنه متروك. وقال عنه ابن الجوزي بسند عن الأزدي إنه كذاب. ونحو ذلك قاله أمثالهم.

٣- عبد الله بن عثمان: قال عنه النسائي ليس بالقوي. ونحوه ما قاله ابن معين. وقال ابن حيان إنه كان يخطئ. وقال المؤمني عنه إن عنده منكر الحديث.

٤- ابن بهمان: قال عنه المديني لا نعرفه ونحو ذلك مما جاء في تهذيب التهذيب، لابن حجر. وكذلك في ميزان الاعتدال للذهبي، ونحوه.

وعليه فإن رواية هؤلاء وأمثالهم لا تقبل.

١- من القرآن الكريم، كما تقدم في الآية المذكورة وقد جاء في الحديث إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن خالفه فاضربوا به عرض الجدار، كما رووا عنه(ﷺ) وقوله: ستكثر بعدي الكذابة. - إلى آخر الحديث المذكور - فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

٢- من السنة المحمدية الشريفة وسنن الأنبياء(ع) من قبله فقد ذكر فيمن ذكر قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة أن في المسجد الحرام وعند الكعبة بالذات في الحجر المعروف بحجر إسماعيل سمي حجراً لأن إسماعيل(ع) دفن أمه هاجر في هذا المكان وحجره لئلا توطأ. كما ودفنت فيه عذارى بناته. ودفن هو فيه بعد ذلك، كما في هامش خلاصة الكلام لابن دحلان عن تاريخ مكة المذكور ص٢٢-٢٣. فهذه عدة قبور في نفس المسجد الحرام، وملاصقة الكعبة المشرفة بالذات.

وفي وفاء الوفاء للسمهودي عن ابن أبي شبه بسنده إلى محمد بن علي بن أبي طالب (رض) في فاطمة بنت أسد (رض) حضر دفنها النبي(ﷺ) فأمر بحفر قبرها في موضع المسجد الذي يعرف بقبر فاطمة وفيه أيضاً أن مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة (رض) لاحظ ص١١٥ وص١٠٥ ج٢ من الكتاب المذكور.

وعليه، فلا مانع من اتخاذ مسجد عند قبر أو قبر عند مسجد. إنما المانع هو أن يكون القبر يعبد من دون الله. وهذا لا يوجد في دنيا الإسلام. ولا عبره بمتوهم أو مغالط فإن التوهم، أو المغالطة، لا يغيران من الحقيقة شيئاً. فالمنهى عنه هو ما يعبد من دون الله سبحانه.

كما ولا قيمة للمعترضين على ذلك فإن قبر من ينتمون إليه الشيخ محمد عبد الوهاب ملاصق لمسجد في الدرعية. ذكر ذلك لي ولغيري من الباحثين الدكتور أحمد أمين المدني. وكان مسافراً إلى هناك ومعه أحد تجار دبي

فشاهدا قبره يزار وبجواره بئر يتبركون بمائـه ويتوضـؤون منـه ويدخلـون المسجد . . الخ .

ولنعود إلـى صلـب الموضـوع عـن أسـاس زيـارة القبـور ، فقـد جـاء الرسول(ﷺ) وفي مجتمعه قبور يعظم بعضها ويعتني به إلى درجة الغلو ، فذكر فيما ذكر عنه - إن صح السند - نهى عن زيارتها وربما كان بناء على ذلك . لكن لم يلبث النهي قليلاً - كما في الرواية المشار إليها - حتى زال انتقـل ذلك المجتمع إلى دور التمييز بين تلك القبور وبين غيرها إذ أنزل قولـه تعـالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ أي لا تزره . وجاء الحث على زيارة ما هو على العكس منها . ومن ذلك مثلاً ما جاء في صحيح مسلم (ره) ص٣٤٥ ج٤ بهامش إرشاد الساري وفي حاشية السنة من قوله(ﷺ) : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة . ونحوه في سنن النسائي وسنن ابن ماجه ص٢٤٥ ج١ ونحوهما .

وكان(ﷺ) إضافة إلى ذلك أنه شجع على زيارتها حيث باشر ذلك بنفسه وأخباره في ذلك كثيرة . مما دل على أن النهي الوارد بالجملة ، ورد لاتقاء المحذور حتى زال بالتمييز .

ومن ذلك مثلاً ما جاء في صحيح مسلم ج٣ ص٣٢٥ وفي سنن النسائي ج١ ص٢٨٦ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٤٥ وفي شرح النووي لصحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة(رض) أن النبي(ﷺ) زار قبر أمه فبكى وأبكى . وقال : استأذنت ربي أن أزورها فأذن لي وقال(ﷺ) : من زار قبر أبويه في كل جمعة أو في أحدهما كتب باراً وإن كان في الدنيا قبل ذلك عاقاً بهما ، وفي صحيح مسلم أيضاً ج٤ ص٣١٨ بهامش إرشاد الساري في شرح صحيحي مسلم والبخاري عن عائشة (رض) أن رسول الله(ﷺ) كان يخرج آخر الليل لزيارة قبور البقيع ويسلم عليهم وعلمها تقول السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات .

وفي وفاء الوفاء بسنده عن ابن عباس أن النبي(ﷺ) قال: ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فسلّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام.

وفيه أيضاً أنه(ﷺ) قال: آنس ما يكون بالميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل زيارة قبره(ﷺ) وهي أشهر من أن تذكر وقد مر بعضها في #وضوع سابق. وكانت فاطمة ابنته(ﷺ) تزور قبره وقبر حمزة (رض) كما سيأتي في موضوع النساء وزيارة القبور.. الخ.

كما كان غير فاطمة(ﷺ) من النساء المؤمنات. وكان كل من عمر وابنه عبد الله (رض) وأمثالهما يزوران قبر النبي(ﷺ) - كما في وفاء الوفاء المذكور وغيره من الكتب - ويزوران ذويهما. وهكذا جمهور الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة، لأن ذلك في سنن النبي(ﷺ) ولا يعتني بمن خالف ذلك سواء في هذه أو في غيرها من السنن النبوية. النابعة عن كتاب الله الذي لم ينه إلا عن زيارة قبر من هو على غير هذا السبيل كما في الآية ٨٤ سورة التوبة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ قال المفسرون لا تقم على قبره تعني زيارته - كما تقدم - على العكس فيمن هو على سبيل المؤمنين؛ فإن زيارته مندوبة ومستحبة مؤكدة، نافعة للزائر والمزور.

لقد ذكر السمهودي في وفاء الوفاء ج٢ ص٤١٣ عن الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي: إن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المؤمنين للبركة أثر معروف. وقال: وقد قال حجة الإسلام الغزالي (ره). كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض.

وإلى آخر ما جاء في هذا الباب مما يطول به الكلام.. وفيما ذكرناه هنا كفاية.

جواب حول ما ذكروا في زائرات القبور

فيما ذكروا مما هو مردود عليه من الكتاب والسنة حديث يقول: لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. هذا الحديث المردود - كما سيأتي رده بعد قليل - هذا الحديث فيه لعن ثلاث جماعات من الناس.

١- النساء اللواتي يذهبن لزيارة القبور.

٢- المتخذي المساجد على القبور.

٣- المسرجين عليها: يعني إضاءتها.

تقدم الكلام عن اتخاذ المساجد على أو عند القبور في الموضوع السابق تحت هذه الأضواء. فالكلام هنا عن:

١- اللعن وزائرات القبور.

٢- المسرجين على القبور.

وأبدأ أولاً بكتاب الله العزيز القرآن عما إذا كانت آية من آيات اللعن تنطبق على هذه الجماعات الثلاث أو على أحدها.. أم لا؟

ثم ذكر رواة الحديث المذكور المردود والرد عليهم من كتب رواته أنفسهم وما إلى ذلك فإليك أولاً:

١- آيات اللعن ٤١ آية يمكنك التعرف عليها من المعجم المفهرس للآيات وقراءتها في القرآن. ومراجعة كتب التفاسير لغة واصطلاحاً للعن والملعونين والملعونات. فإنك لا تجد ما ينطبق على الجماعات الثلاث المذكورة ولا على واحدة منها.

فاللعن هو الإبعاد والطرد والتبري ويكون من الله ومن الإنسان. وإلى القسمين تشير الآية ١٥٩ سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا﴾ - إلى قوله - ﴿يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾.

وقد عرفه فيمن عرفه من أئمة اللغة تحت تلك الأضواء الجرجاني في كتابه التعريفات حيث قال في ص٨٣ منه اللعن من الله إبعاد العبد بسخطه عليه ومن الإنسان: الدعاء بسخطه. واللعن من وجه آخر ينقسم إلى قسمين: لعن كبير ولعن عادي.

فالكبير هو ما تشير إليه الآية ٦٨ في سورة الأحزاب: ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ وقد فسر هنا بالعذاب المضاعف والعادي على فرعين: الأول: ما تشير إليه الآية ٣٨ في سورة الأعراف: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾. وقد فسرت بمعنى دعت عليها وطردتها.. كما ذكر ذلك فيمن ذكر في كتابه الوجوه والنظائر - إلى جنب سبعة وجوه أخرى.. يطول الكلام بذكرها - والفرع الثاني جاء لتشديد كراهة الشيء. ومن ذلك مثلاً الحديث: لعن الله من سافر وحده، وأكل وحده، ونام وحده. ونحو ذلك.. الخ. وهذا غير ذاك اللعن المترتب عليه ذلك الأثر الذي تقدم ذكره.

ونكتفي هنا بعرض ١٤ آية من تلكم الآيات كنماذج وعليك إن رمت المزيد مراجعة الأخرى وإلا ففيما يلي منها كفاية كما سترى.

١ - ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ..﴾ الخ، آية ٦٤ سورة الأحزاب. فهل أن هؤلاء من الكافرين وهم يشهدون الشهادتين.. الخ. وقد جاؤوا إلى زيارة القبور طلباً للثواب لا إلى حدائق للنزهة.

٢ - ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنّا أَصْحابَ السَّبْتِ﴾ آية ٤٧ سورة النساء. فهل عمل هؤلاء عمل أصحاب السبت حتى يستوجبوا اللعنة..؟

٣ - ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ﴾، آية ١٣ سورة المائدة. فهل هؤلاء نقضوا الميثاق..؟

٤ - ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾. النساء آية ٥٢. فهل عدم هؤلاء النصير. فيقال لعنهم الله..؟

٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾، آية ٥٧ سورة الأحزاب. فهل هؤلاء من الذين آذوا . . ؟ أم على العكس . . ؟

٦- ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾، آية ٢٢و٢٣ سورة محمد. فهل هؤلاء بعملهم هذا قطعوا أرحامهم وهم يصلون أرحامهم من الموتى بالزيارة وفعل الخير . . ؟

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ..﴾ الخ، آية ١٥٩ سورة البقرة. فهل هؤلاء ينطبق عليهم هذا الوصف حتى يستوجبوا اللعنة . . ؟

٨- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آية ٧٨ سورة المائدة. . فهل هؤلاء يقصدون العصيان والاعتداء . . ؟

٩- ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ - إلى قوله - ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا..﴾ الخ، من آية ٦٠-٦١ سورة الأحزاب، فهل هؤلاء يهدفون النفاق أم عدم علاج ما في قلوبهم من مرض، أم هم من المرجفين في المدينة . . ؟

١٠- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا..﴾ الخ، آية ٦٤ سورة المائدة. فهل هؤلاء من أصحاب هذه المقالة حتى يلعنوا . . ؟

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ آية ٢٣ سورة النور. فهل هؤلاء يعملون ما يعملون ليقذفوا المحصنات . . ؟

١٢- ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ آية ٤٤ سورة الأعراف. فهل هؤلاء يقصدون بالظلم . . ؟

١٣- ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ..﴾ الخ. آية ٢٥ سورة الرعد. فهل هم يقصدون بالفساد بذلك أم العكس . . ؟

١٤ - ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ..﴾ الخ، آية ٦٠ سورة الإسراء. هل هؤلاء من الشجرة الملعونة، أم من الموالين الملتفين حولها. . ؟ أم هم على العكس تماماً - إن كانوا من الشيعة - ومنشدهم ينشد:

يا حبذا دوحة في الأرض نابتة ... ما مثلها نبتت في الخلد من شجر

المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثم اللقاح علي سيد البشر

والهاشميان سبطاها لها ثمر ... والشيعة الورق الملتف بالثمر

٢- أما الحديث المذكور فقد أورده النسائي في سننه هكذا (أخبرنا قتيبة حدثنا عبد الوارث بن سعيد) وفي سنن ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن نفس عبد الوارث هذا، وعن سفيان - أي سفيان لا يدري - عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن عبد الرحمن بن بهمان، وعن محمد بن خلف العسقلاني، عن أبي عوانة الوضاح. . الخ. حيث ينسب ما تقدم من سنن النسائي إلى ابن عباس (رض) وابن ماجه عن أبي هريرة (رض) من ذكر ما أوردوه من حديث: لعن الله زائرات القبور. . الخ.

إن هذا الحديث من الأحاديث المردودة من جوانب عدة. على رأسها ما تقدم من مخالفته للقرآن في اللعن. . الخ. يليه ما جاء في السنة وسيرة السلف الصالح عليها. وما ذكره مشاهير علم الحديث ورجاله فقد ورد في سنده الواهي ثلاثة أشخاص من ذوي الروايات المردودة وهم عبد الوارث وعبد الله ابن عثمان وابن بهمان. أما رابعهم أبو عوانة الوضاح فيكفي أن نذكر عنه ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال بأنه غير معروف روى عنه محمد بن خلف العسقلاني فقط.

٣- اضطراب متن الرواية فهي على ما ذكره ابن ماجه في سننه «زوارات القبور» هكذا بصيغة المبالغة. وعلى ما ذكره النسائي بصيغة اسم الفاعل «زائرات القبور» للفرق بين زوارات وهن المكثرات الزيارة وبين زائرات بشكل اعتيادي.

٤- اضطراب القائلين بذلك فتارة لا يمنعونهن وأخرى يمنعونهن. كما عرف ذلك وشاع على ألسنة الحجاج والزوار في الأقطار.

٥- مع ذلك لو فرضت صحة الحديث - مع ما تقدم - فإنه يحمل على الكراهة لضعف المرأة عن الاحتفاظ بسترها ووقارها كما ينبغي. والمحذور أن يقع ما قد يتوقع. كما هو الحال في الحديث المتقدم عن لعن المسافر وحده والنائم وحده.. الخ، لا اللعن المترتب عليه ذلك الأثر الأكبر.. فيبرر المنع. أو يتوهم الحرمة. وإلا لما ثبت جواز ذلك من سيرة من هم قدوة إسلامية. ومن ذلك ما يلي:

٦- مما دل على جواز بل استحباب زيارتهن القبور ومثلاً أعلى من ذلك ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء ج٢ ص١١٢ بسنده عن ابن أبي شبه عن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله(ﷺ) كانت تزور قبر حمزة(ﷺ) ترمه وتصلح وقد علّمت عليه بحجر. وبسنده عن رزين أنها كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة أيام. ونحو ذلك ما رواه يحيى بن معين، وزاد أنها تصلي هناك وتدعو وتبكي حتى توفيت(ﷺ). وروى الحاكم في مستدركه على الصحيحين أنها(ﷺ) كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده. كما ذكروا أن حفصة (رض) كانت تزور قبر أبيها عمر (رض) إلى جنب قبر النبي(ﷺ) وصاحبه (رض). وما ذكروه من خبر فاطمة بنت الحسين وقبر زوجها الحسن المثنى (رض). وأم البنين، تمثيلها في البقيع قبور أولادها الشهداء الأربعة، وحضور جمع حولها بمن فيهم مروان بن الحكم وكان يعرف بكثرة الاعتراضات. وفيما كان له اعتراض على أبي أيوب الأنصاري (رض) لتمسحه متبركاً بقبر النبي(ﷺ) ونحو ذلك.. الخ. فلم يعترض ولم ينكر عليها ذلك. ولا أي أحد.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسألة الإسراج على القبور لإنارتها وما حولها

لا مانع لدى القرآن من إزالة الظلام بالضياء لم يستثن من ذلك أي مكان. بل استنكر على من استطاب الظلام إذ قال سبحانه في سورة الرعد آية ١٦ : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ ونحوها في معرض النفي الآية ٢٠ سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾ ونحوهما من الآيات التي يتعارض والحديث القائل (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وما عارض القرآن من حديث فهو مردود، وقد تقدم الكلام في الموضوع السابق في الرد عليه من مختلف الجهات فيما يخص الزائرات واتخاذ المساجد فالكلام هنا فيما يخص الإسراج وهو: الإنارة. فلا مانع لها من القرآن كما تقدم.

أما السنة الشريفة فيكفي هنا منها ما رواه الترمذي في سننه بسند معتمد عن ابن عباس (رض) أن النبي(ﷺ) دخل إلى قبر ليلاً فأسرج له سراجاً.

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير «من منع السرج بحيث لا ينتفع بها الأحياء الزائرون وقراء القرآن والأدعية.. الخ، وعليه لا منع في كونه نافعاً ونحوه ما ذكره السندي في حاشية سنن النسائي والحفني في شرح الجامع الصغير، ولا يغيب عن البال الحديث أو القول المأثور: لا إسراف في الضياء.

ويكفي اضطراب القائلين بمنعته أنهم منعون عام ١٣٤٦هـ عن قبر النبي(ﷺ) ثم تراجعوا عنه. فعادوا إلى الإسراج وما زال حتى اليوم مسرجاً بالمصابيح الكهربائية أدخلنا الله وإياهم في هذه ونحوها.. بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.

جواب عن الشكل الخارجي للقبور في الإسلام والرد على شبهة هدمها

القبور في هيئتها عند جميع المسلمين على قسمين:

١- قبور مسوية (مسطحة، كما فعل رسول الله(ﷺ) بقبر ولده إبراهيم(ﷺ) وكما فعل الصحابي فضالة بن عبيد (رض) في رودس بأرض الروم في قبر أحد المتوفين المسلمين وكما عليه قبر رسول الله(ﷺ) وصاحبيه (رض) وممن ذكروا ذلك القسطلاني في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج٢ ص٢٦٨ عن أبي داود بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) قال: دخلت على عائشة (رض) فقلت لها إكشفي لي عن قبر رسول الله وصاحبيه فكشفت له ما على ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة، قال القسطلاني مبيناً ذلك يعني لا مرتفعة ولا لاصقة بالأرض، ونحو ذلك ما ذكره البيهقي في سننه.

وقال شارحو صحيحي البخاري ومسلم وعلى رأسهم النووي الشهير إذ قال مبيناً هذه الهيئة أن السنة بأن القبر لا يرفع عن الأرض كثيراً ولا يسنم بل يرفع نحو شبر، وهذا مذهب الإمام الشافعي ومن تابعه وأن النبي(ﷺ) فعل ذلك بقبر ولده إبراهيم(ﷺ). والشيعة متفقة مع الشافعي في هذا وتراه مستحباً.

٢- قبور مسنمة: ومعنى ذلك أن يتخذ لها شكلاً كسنام البعير.. وهذا على أساس رواية سفيان الثمار الذي قال فيه البيهقي في سننه أنه لا حجة فيه لأن قبر النبي(ﷺ) وصاحبيه (رض) في الأزمنة الماضية لم تكن مسنمة.

وهذا مما يدل على أن التسطيح (التسوية) كان أقدم والتسنيم مستحدث..

قال النووي في شرحه لصحيح البخاري: أن التسنيم هو ما عليه الإمام أحمد وأبو حنيفة ومالك وبعض الشوافع.

ولم يجز ذلك لا هؤلاء ولا أولئك هدم القبور فإن حرمة المسلم حياً كحرمته ميتاً كما في الحديث المتفق عليه.

وحديث أبي الهياج الذي أوله بعضهم مستدلاً به على هدم القبور قوله: إن علياً(ع) قال له: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله(ص) أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته..».

هذا الحديث نضعه على طاولة التحقيق فنلاحظ أولاً ما يجعله غير مقبول، وعليه فنصيبه الترك ثم نفترض أنه لو كان صحيحاً فماذا يعني..؟

فأولاً: إن مما يجعله غير مقبول ما يلي:

١- في سنده وكيع قال فيه الإمام أحمد بن حنبل (ره) كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ج١١ ص١٢٥ بأنه أخطأ في خمسمائة حديث. أفلا يجوز أن يكون حديثه هذا أحدها. وفيه ص١٣٠ عن المرزي أنه كان يحدث بآخر ما حفظه ويغير ألفاظ الحديث ويتحدث بالمعنى وهو ليس من أهل اللسان (يقصد اللغة).

٢- فيه سفيان الثوري جاء في تهذيب التهذيب ج٤ ص١١٥ عن ابن المبارك أنه كان يدلس في حديثه. وأنه استحى منه مرة في ذلك. وفي ترجمة يحيى ابن القطان قال أبو بكر: سمعت يحيى يقول جهد الثوري أن يدلس علي رجلاً أو حديثاً ضعيفاً فما أمكنه.

٣- حبيب بن ثابت: جاء في تهذيب التهذيب عن ابن حبان وابن خزيمة في صحيحه أنه كان مدلساً. وقال العقيلي أن ابن عون غمز فيه. ونحوه قول أبي جعفر النحاس فيه.

٤- أبو وائل: قال عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١ ص٣٧٠ ط م: كان عثمانياً منحرفاً عن علي(ع) ثم صار إلى الخوارج.

٥- الحديث المذكور يعتبر شاذاً عند أهل العلم من جهة وغير دال على عدم البناء على القبور، بل على النهي عن التسنيم بدلاً من التسطيح المذكورين فيما تقدم ويكفي من هذا الحديث والمتحدث به قول علامة الحديث

السيوطي فيه باستهجان كما في سنن النسائي ج١ ص٢٨٦ : أنه ليس لأبي الهياج في الكتب إلا هذا الحديث وقد انفرد به .

وعلى هذا وذاك إن اعتبر على شروط توثيقه فإنه لا ينسخ غيره . وعلى أساس ما قرروه عن الخبر الواحد ، فيما قلت في خمسماءتي المهدية في علم أصول الفقه ج٢ ص٤٥ :

والخبر الواحد فيه قد وثق حجية لكن بنسخ لا يحق

ولننتقل إلى الأمر الثاني وهو ما - لو فرضنا صحته - والفرض كما قلت فيما قلت في منظومتي الخمسمائة المهدية الثانية في علم المنطق ص٣٠ :

والفرض تخمين وظن وقتا تفسير ما شوهد أو نقلاً أتى . . الخ

لو فرضنا صحة الحديث المذكور - فإنه يعني القبر المشرف - فالتسنيم المذكور يجعله مشرفاً كما يقرر التسطيح (التسوية) .

وكذلك حديث فضالة : فإن معنى سويته هو عدلته وسطحته لا يعني : ساويته كما في كتب اللغة كالقاموس والصحاح ولسان العرب والتاج ونحوها . . الخ .

وفرض ثان هو - لو أن المعنى ساويته بالأرض - فإن سياق الحديث يدل على أن المقصود به لو فرض أن المعنى ساويته بالأرض فإن سياق الحديث يدل على أن المقصود به تعديله بإزالة التسنيم . كما يدل السياق على القبر المتخذ عبادة من دون الله بقرينة قوله (ولا تمثالاً) وبقرينة وقوع رواية فضالة بن عبيد في أرض الروم . . وقرينة رواية أبي الهياج في سياقها مع هدم المعبودات من دون الله . وهذا غير موجود في دنيا الإسلام - إن وجد في أهل ملل أخرى - فإنك لا تجد مسلماً يقول أنه يعبد قبراً من دون الله . . كل ما في الأمر عناية ببعضها محدودة - وسيأتي في موضوع قادم . . كما لا تجد لا في القرآن ولا في السنة ولا في اللغة - اعتبار التسوية هدماً بل الأمر على العكس من ذلك . والشواهد على ذلك كثيرة .

وفوق الكل - القرآن الكريم - الذي لا يأتيه الباطل فقد جاءت فيه كلمة تسوية وما إليها في آيات عدة لا تفيد ذلك ولأعرض عليك منها متسائلاً

وليتفضل بالجواب تحت هذه الأضواء، لا تحت ظلمات الأهواء الخاطئة كفهم التسوية هدماً:

فكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

إن التسوية هي: البناء أو الهيئة الأمثل والأرفع والأفضل الذي أجراه الله سبحانه في مخلوقاته وأقره على اختلاف الأجناس والأنواع.. الخ.

من ذلك مثلاً قوله في سورة النازعات في خلق السماء: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها * رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها﴾.. وقوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٩: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماوات﴾.

وقوله في سورة الحجر في آية ٢٩ في خلق آدم(ع) ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ وآدم هو الإنسان الأول.. ويكفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ..﴾، مما يشير إلى أن معنى سويته هو الأحسن هيئة.. وقوله تعالى في سورة الكهف آية ٣٧ في قصة فرعون: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾، كما في إعادة خلقه قوله تعالى: ﴿بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾.

وقوله تعالى في سورة الأعلى آية ٢ في عموم خلقه، قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى..﴾ إلى آخر ما هناك من آيات مما تفهم بكل وضوح أن التسوية هي البناء الأحسن هيئة.

قال صاحب الوجوه والنظائر ص٢٥٤: السوي يعني الصحيح من الداء، ومنه قوله تعالى في سورة مريم: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا﴾ يعني من غير خرس ولا داء. فالسوي إذن معناه السوي في الخلق. ومنه قوله تعالى في سورة الانفطار: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ..﴾ والسوي العدل. ومنه قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدى﴾.

وبهذا يكون خير ختام للجواب على السؤال المذكور.

جواب عن حرمة القبر في الإسلام وجواز الكتابة عليه

مما في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ آية ١٢ سورة يس.

تفيدنا هذه الآية فيما تفيدنا بأن لا مانع من الكتابة على القبر باعتبارها أثراً مرتبطاً بميت كتب ما له وما عليه مما تقدم وكتبت له وعليه آثار.. الخ.

وقوله تعالى في قصة موسى (ع): ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً..﴾ آية ١٤٥ سورة الأعراف. تفيدنا هذه الآية فيما تفيدنا أن كتابة المواعظ على الألواح شيء مقرر، وما كتابة آية من القرآن، وتحتها اسم لميت.. إلا لون من ألوان المواعظ.. وإن كانت تختلف عن التي في ألواح موسى (ع) لكنها لا تخرج عن كونها موعظة للأحياء ونفس قراءة اسم ميت في لوح أو صخرة على قبر أو حفرة هي موعظة لقارئها وناظرها والموعظة مندوب إليها. فهي تنبيه لغافل وإرشاد لجاهل أو سائل. ولهذا ومما في السنة الشريفة وضع العلامة على القبر – وما زال ذلك سائراً في البلاد الإسلامية حتى اليوم – حيث يؤتى بلوح أو صخرة أو لبنة كتب عليها اسم صاحبه.

ففي وضع علامة مما جاء في وفاء الوفاء ص٢٠٣ أن النبي(ﷺ) علم – أي موضع علامة – (حجر) على قبر عثمان بن مظعون (رض) لئلا يضيع أو يدرس وكان يزوره. فرفعه مروان بن الحكم بغياً وعدواناً. وأن فاطمة الزهراء(ع) علمت على قبر حمزة (رض) بحجر أيضاً للغرض نفسه. فكان مما على هذا الأساس أو لئلا يداس عليه بناء غرفة وما إلى ذلك كما سيأتي في موضوعه.

ومما في الكتابة ما ذكره السمهودي أيضاً في وفاء الوفاء من خبر حفر بئر في دار عقيل ووجود حجر مكتوب عليه هذا قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب –

وهي إحدى أزواج النبي(ﷺ) - فدفن عقيل البئر وبنى عليها بيتاً لقبرها . .
وخبر دفن محمد بن زيد بن علي (رض) حيث حفروا له في البقيع فوجدوا حجراً مكتوب عليه هذا قبر أم سلمة زوج النبي(ﷺ). قال: وبذلك عرف قبرها (رض) وخبر الحجر الذي نقش عليه هذا قبر فاطمة بنت رسول الله(ﷺ)، والحسن بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد. هذا كما في وفاء الوفاء أيضاً وفي مروج الذهب للسمهودي (ره) وغيرهما . . وهؤلاء من أقرب الناس إلى السنة النبوية الشريفة والعمل بمقتضاها. ولذا فإنه لا يعتد بالحديث المزعوم الذي ورد فيه النهي عن تخصيص القبور والكتابة عليها. سيما وفي سنده حفص بن غياث وابن جريح وكلاهما أكثر من كونهما مردودي الرواية. ويكفي ما قاله البخاري (ره) في صحيحه في حفص هذا بأنه عنده مناكير. وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل: أنه كان يدلس. أما حال ابن جريح فهو على نحو حال حفص. وقد ذكر تفصيل ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب كما ذكر ذلك غيره. ولو تنوزل عن القول ضد هذين الراويين فالرواية نفسها مردودة من طريق القرآن والسنة كما تقدم. فإهمال القبر مضيع ومسّه بأقل شيء أذى لصاحبه - كما سيأتي بعد قليل - بعد ذكر ما يلي من أمور خاصة وعامة حوله.

وكم من قبر كتب عليه ما صار سبباً في توعية الأحياء الغافلين. فضلاً عن نيل الإعجاب والتقدير ونقله إلى كتب الوعظ والوصايا لفائدته.

ومن ذلك مثلاً مما جاء في كتاب الوصايا لابن العربي، وابن العربي محي الدين هذا المتوفى عام ٦٣٨هـ أشهر من أن يذكر في علمه وأنه ملتزم بالسنة . . لقد أورد في كتابه الوصايا عدة نماذج من ذلك، أقتصر على أحدها إذ قال في ص٢٥٤: رأيت على قبر أبيات عن لسان صاحبه:

يا أيها الناس لي أمل … قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل … أمكنه في حياته العمل

ما أنا وحدي كما نقلت ترو ... ن كل إلى مثله سينتقل

وكان ابن العربي قد ذكر ممن نظمه في هذا الباب ومنه قوله:

يا واقفين على القبور تعجبوا ... من قائمين غدوا بها نياما

تحت التراب موسدين أكفهم ... قد عاينوا الحسنات والأجراما. .

القبر -يا عزيزي القارئ- من حيث هو لصاحبه -كما في الحديث- إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار. والله أعلم بحاله من الناس وأمره موكول إلى الله. وعليه فهدمه الخارجي سواء كان لمبرر صحيح أو غير صحيح، لا يضر بصاحبه ضرراً بليغاً، ولا إشادة الضرائح والبناء والقباب عليه بنافعة له نفعاً كبيراً؛ إنما يؤثر ذلك أثراً كبيراً على مشاهديه وزائريه أكثر فإن القبر المهان يعني إهانة من يمتون إليه بصلة أو أكثر من صلة، وعلى العكس من ذلك القبر المحترم المكرم.

ولهذا توقف عند قبر النبي(ﷺ) وصاحبيه (رض) هدم من تأول جواز هدم القبور على أنني شخصياً لا أذهب إلى ما قاله بعض معارضيهم من أن المسألة كانت مؤامرة مدسوسة لم تنجح بكاملها، ولا إلى قولهم لمعارضيهم: شرك. . شرك.

بل أذهب إلى القول الذي ذهب ويذهب إليه أكثر المسلمين في هذه القضايا - بل في ما هو أعظم منها - إلى مسألتي التأول الخاطئ والتأول المصيب. . الخ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وعليه ليس علينا في مثل هذه القضايا وأمثالها إلا أن نذكر: عملاً بقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم(ﷺ): ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ آية ٢١-٢٢ سورة الغاشية، وبموجب هذه الآية ونحوها إذا كان رسول الله(ﷺ) لم يعطه الله سبحانه - مع جزيل عطائه إليه - لم يعطه حق السيطرة المذكور في الآية وأمثالها. . فالعجب إذا من بعض المنتمين إليه نسبياً أو سبباً أو حسباً. أن يمنحوا أنفسهم حق تلك السيطرة إلى حد لا مزيد عليه

حيث يكفر بضعهم بعضاً ويحاربه ويستحل ماله ودمه وعرضه وما إلى ذلك، لأنه لم يخضع لسيطرته وفي ركابه على أساس تأول واهم أو تصور خاطئ. أو اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب.

فمما يعرض للذكرى هنا ما ذكره السندي في حاشية سنن النسائي أن النبي(ﷺ) رأى رجلاً متوكئاً على قبر، فقال(ﷺ): «لا تؤذوا صاحب القبر» وهذا نهي عام كما تراه. وفي وفاء الوفاء ج١ ص٣٩٨ كانت عائشة (رض) إذا سمعت دق وتد أو مسمار عند جيران قبر النبي(ﷺ) بعثت إليهم من ينهاهم أن لا يؤذوا رسول الله(ﷺ) وأن عمر (رض) قال: أن مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات. وكان أبو بكر (رض) قد قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً كان أو ميتاً. وإلى نحو ذلك مما ورد بشكل خاص.

أما بشكل عام فقد ذكروا أن النبي(ﷺ) كما رواه الغدير في حاشية سنن النسائي. ورواه غيره أيضاً - أن النبي رأى رجلاً متوكئاً على قبر فقال(ﷺ): «لا تؤذوا صاحب هذا القبر» وهذا، كما تراه نهي عام عن إيصال الأذى للميت في التعرض لقبره بأقل شيء - إنه الاتكاء عليه فقط فكيف بما هو أكثر أضف إلى ذلك ما جاء عنه(ﷺ) من أحاديثه الكثيرة في حرمة المسلم حياً كان أو ميتاً.. الخ.. وفي هذا كفاية للذكرى.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن النذر والذبح عند القبور

مما في القرآن الكريم، ما يفيد بأن النذر قسمان. ويلتقيان في هدف واحد هو - لوجه الله تعالى - وفي السنة الشريفة ما يفيد ذلك أيضاً.. الخ. أما عن الأول من القسمين فمثلاً منه:

١- ما يعنيه قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً..﴾ الخ. سورة آل عمران، آية ٣٥. وقوله تعالى في سورة مريم (عليها السلام) حكاية عنها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً..﴾ الخ، آية ٢٦.

٢- ما يخص الأول ويشمل غيره: ومن ذلك مثلاً ما تفيده الآية ٢٧٠ سورة البقرة: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ..﴾ الخ. وقوله تعالى في سورة الحج آية ٢٩: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ - والتفث: المناسك - وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

ومما في السنة، فالنذر قسمان كذلك كلاهما لوجه الله.

١- نذر لله بأن يؤدي الإنسان عملاً عبادياً من صلاة وصوم ونحوهما أو مادياً كإنفاق مبلغ من المال، أو ذبيحة لوجه الله ونحوهما.. الخ.

وقد وفقت والحمد لله فيما وفقت إليه بأن نظمت فيما نظمت في أرجوزتي الألفين الفقهية ١٧ بيتا ج٢ ص٩٩-١٠٠ في النذر وأحكامه.. الخ. ومنها:

الالتزام للإله بعمل -نذر- وذا بغير حل لم يحل
فعربيا قل أو أعجميا للعقد (لله كذا عليا)
لئن على كذا حصلت أو حصل ونحو ذا على شروط تعتمل.. الخ

٢- نذر صدقة بأن ينذر لنبي أو لصالح حياً أو بيتاً أو مسجداً ومزاراً وحسينية أو مدرسة أو نفع خاص، قاصداً بذلك وجه الله.

ومما جاء في السنة الشريفة في ذلك الحديث ذكره فيمن ذكره ابن الأثير في النهاية باب النذر وهو قوله(ﷺ) للبنت التي نذرت لأبيها عملاً، قال لها(ﷺ) فِـ بنذرك.

وأن رجلاً نذر أن ينحر إبلا في رجوانه وهي هضبة وراء ينبع الميناء الحجازي المعروف ولما لم يكن هناك وثن يعبد ولا عيد للجاهلية أجازه رسول الله وقال له(ﷺ): «فِ بنذرك». هذا وذاك لو كان شركا لما أجازهما. فالقصد وجه الله ذبح لله وهكذا كل ما يكون من هذا القبيل ونحوه لوجه الله. ومن ذلك مثلاً: الذبح عند القبور بقصد إهداء ثواب المذبوح، لصاحب القبر كعمل خيري لوجه الله تعالى. وليس لوجه صاحب القبر، ولهذا فإن الذابح لا يذكر غير اسم الله، كذلك الذابح لا يذكر غير اسم الله في ذبح دجاجة لمريض أو خروف لضيف ونحو ذلك. فنفع هذا ما ينتفع به الحي غذاء، ونفع ذاك ينتفع به الميت ثواباً.

ووصول الثواب للميت الذي يهدى إليه - مما أجمع العلماء عليه - كما أثبت ذلك مسلم في صحيحه في باب وصول الصدقة إلى الميت وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في سننه، وأبي داود في صحيحه وغيرهم.. الخ.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن تشييد البنايات والضرائح والقباب على القبور

مما في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ من آية ٢١ سورة الكهف. تدل هذه الآية فيما تدل.. على جواز اتخاذ البناء على الموتى سيما الذين لهم شأن جليل يميزهم على غيرهم.. كأصحاب الكهف المعنيين بهذه الآية، بعد موتهم.. فيكون ذلك البناء إعظاماً لشأنهم ومكاناً يحفظ قبورهم عن النجاسات والأوساخ إضافة إلى حفظها عن الاندراس. وليجد السائحون والآتون إليهم للتقدير لهم والاستفادة من ذكرى قصتهم. منزلاً يريحون فيه.

وعلى رأس ما يستفاد هو ما ذكرته نفس الآية ٢١ في بداياتها إذ قال جل شأنه: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا..﴾ الخ. وبطبيعة الحال كلما يكون ذلك البناء لائقاً بشأنهم تكون عناية الناس بهم أكثر، وحضورهم أوسع. تماماً كما نشاهد في عصرنا هذا مثلاً حضور الناس إلى المسجد الخرب، غير حضورهم إلى المسجد العامر. وكلما كان البيت أو (الديكور) للبيت أو المحل ضخماً كان توجه الناس إليه أكثر. وجلب الناس إلى مكان مبني يجدون فيه راحتهم متمتعين بالاستفادة المذكورة أمر لا يختلف في أفضليته أحد على المكان الذي هو على العكس من ذلك.

إن الأبنية الممقوتة في القرآن هي أربعة لا ينطبق على وصفها بناء على قبر للغرض المذكور:

١- قال تعالى في سورة الشعراء آية ١٢٨: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ فهل أن البناء على قبر نبي أو صالح يبنى للعبث أم للموعظة والذكرى..؟

٢- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً..﴾ الخ، آية ٣٦ سورة غافر، فما البناء على قبر صالح كصرح يتطاول به على الله. أم بالعكس..؟

٣- قال تعالى: ﴿قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ آية ٩٧ الصافات.

فهل أن البناء المذكور لإلقاء الناس في الجحيم أم العكس..؟

٤- قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ﴾ آية ١٠٩ سورة التوبة. البنيان الذي ورد فيه أيضاً قوله تعالى: ﴿لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ آية ١١٠ سورة التوبة. فهل أن البناء على قبر نبي أو صالح هو على شفا جرف أو ريبة. أم على العكس من ذلك؟

وأنتقل وإياك إلى الأبنية المقبولة في القرآن وهي اثنان وينطبق عليها وصف البناء على قبر نبي أو صالح.

١- ما جاء في الآية المفتتح بها هذا الموضوع ولا تنسَ أن الآية نفسها في اقتراح بناء مقبول أيضاً وهو ما جاء في آخرها من قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً..﴾ وقد تقدم الكلام حولها. ومعلومات أخرى في موضوع المساجد والقبور تحت هذه الأضواء.

٢- كل بنيان يقوم على تقوى. قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ..﴾ الخ، آية ١٠٩ سورة التوبة. وهي نفس الآية التي ورد فيها ذكر البنيان الممقوت - فهي جامعة للتنظير بين البنيانين والبناء المتخذ على قبر نبي أو صالح، إنما هو على أساس تقوى - فهو على قبور المتقين من الدرجة الأولى وليجد المتقون المكان اللائق فيستوحوه فيما يستوحون التقوى ويربحون إليها ويتطلعون إلى مستقبل لهم فيها بعد موتهم. للتكريم في الدنيا مضافاً إلى التكريم في الآخرة.

٣- بناء بيت فيه مثابة وأمن للناس بالنظر إلى أن الله سبحانه جعل بيته وهو أشرف البيوت جعله مثابة وأمناً للناس - وهو كما مر عليك في موضوع القبور والمساجد، لم يخل من قبل أكثر من نبي واحد وهو إسماعيل(ع) وآخرين مذكورين هناك أيضاً - قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً

لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ آية ١٢٥ سورة البقرة. وعلى هذا الأساس كلما يبنى لمثابة الناس. . الخ، فهو بناء مقبول عند الله.

٤- مر عليك - أيها القارئ اللبيب - ذكر التكريم المشروع في اتخاذ البناء. . سيما على شكل غرف كما يبنى على قبر نبي أو صالح. . والقرآن ذكر فيما ذكر من تكريم الأنبياء والصالحين في الجنة، غرف مبنية قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ آية ٢٠ سورة الزمر. وتكريم الله لهم بغرف مبنية يجعل المؤمنين هنا من جانبهم أو بدورهم. بعبارة أخرى يكرمون قبور الأنبياء والصالحين بغرف مبنية بحسب ما هي في دنياهم هذه - قربة إلى الله تعالى. . وبهذا القدر كفاية، لأنتقل وإياك إلى مما في السنة الشريفة:

لقد دفن النبي(ﷺ) وصاحباه في غرفة مبنية. وجاء في ج٣ ص٤٠٠ من هامش السيرة الحلبية، ما يشير إلى أن ذلك كان يشبه وصية منه(ﷺ).

وعليه فلو كان القبر داخل بناء لا يجوز لأمر بهدمه. أو لهدمه الصحابة (رض). في حين أن الأمر على العكس، فلقد بنوا له ملحقاً وبنى عمر (رض) حائطاً.

ومما يذكر بالمناسبة لما فتحت القدس وكان فيها عمر. كانت هناك قبور للأنبياء حول بيت المقدس كداود، وقبر إبراهيم وبنيه في الخليل، وقبر يوسف وكان قد نقله موسى من مصر. وعلى تلك القبور بنايات مشيدة. . الخ، ولم ينكر ذلك عمر (رض) وقد اعترف بذلك الجميع كما هو معلوم.

نعود إلى صلب الموضوع. . وبنت عائشة حائطاً بينها وبين القبور وكان موضع سكناها، وتصلي فيه قبل ذلك وبعده. ولما سقط بناء ابن الزبير، وجدد بناءه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي في عصره وآزر الحجرة التي فيها قبر النبي(ﷺ) وصاحبيه (رض) بالرخام. وبنى لها حظاراً يعني (صحناً محيطاً بها) وأعاد تأزيره المتوكل الخليفة العباسي، وجدد في زمن المقتفي

ووضع المشبك عليه (الضريح)، وبنيت أول قبة على تلك الحجرة، في زمن الملك الصالح قلاوون، وكانت زرقاء. ثم بيضاء أيام الملك الناصر حيث جددت. ثم كانت تجديدات وتوسيعات أيام الملك الأشرف ودولة الظاهر قاتباي صاحب مصر وهكذا في دولة العثمانيين و . . الخ. فلو كان ذلك غير جائز لما فعلوه.

هذا مجمل عن البناء على قبر النبي وصاحبيه منذ ذلك العصر حتى عصرنا هذا. وأما من يليه من الآل(عليهم السلام) والأصحاب (رض) ومن إليهم . . الخ.

فمن ذلك ما جاء في وفاء الوفاء للسمهودي ج٢ ص١٠٠ بسند معتمد عن أبي شبه أن سعد بن معاذ (رض) دفنه رسول الله(ﷺ) في طرف الزقاق الذي يلزق بدار المقداد بن الأسود الكندي(ﷺ) في التي يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جنبذة، هي القبة كما في القاموس للفيروز آبادي باب حرف الجيم، وأن قبر العباس بن عبد المطلب (رض) وقبور أهل البيت(عليهم السلام) في دار عقيل في البقيع.

وأن قبر الإمام علي(عليه السلام) في النجف بالعراق بنى عليه هارون الرشيد قبة كما في كتاب عمدة الطالب وغيره، وفي تاريخ بغداد للخطيب اليافعي وغيره من الكتب المعنية أخبار بناء قبة على قبر الإمام الكاظم(عليه السلام) وقد فرش ما حول القبر وعلقت القناديل وكان مزاراً للناس وأن قبر ولده الإمام الرضا(عليه السلام) في القبة التي في دار قحطبة فيها قبر هارون الرشيد بطوس. وكان قد بناها المأمون فلم ينكر عليه ذلك أحد. كما بنيت قبة على قبر زوجته بوران بنت ذي الرياستين.

وفي عصر المأمون كان الإمام أحمد بن حنبل (ره) والشافعي (ره) وسفيان بن عينيه مع أنهم أنكروا عليه في مسألة خلق القرآن وصبروا على الحبس والضرب فلو كان البناء على القبور غير جائز لأنكروا عليه ذلك.

ونفس قبر الإمام أحمد كان مشيداً ببغداد ولما جرفه شط دجلة قال الناس الكلمة المشهورة المذكورة في تاريخ بغداد وغيره من الكتب المعنية: «طبق البحر على البحر». وكل المذاهب قبورهم مشيدة وفي المدائن قبر كل من سلمان الفارسي وجابر الأنصاري وحذيفة اليماني، وفي البصرة قبر الزبير وطلحة والحسن البصري وفي الحي قبر سعيد بن جبير ونحوهم.. وغيرهم من مختلف الطبقات والبلاد والأجيال في ديننا الإسلام وعليها أبنية مشادة فلم ينكر ذلك أحد.

بل الأمر على العكس من ذلك فإن المتوكل لما هدم قبر الحسين(ﻉ) أنكر المسلمون عليه ذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وذمه الشعراء.. الخ. وذكر المؤرخ المسعودي في مروج الذهب فيمن ذكر من المؤرخين «وهدم أعالي القبر.. الخ» مما يدل على بناء كان مشيداً عليه وأخيراً ثار عليه ولده المنتصر وقضى عليه وأعاد بناء قبر الحسين(ﻉ).. إلى آخر ما هنا وهناك من مشيدات وتجددات لقبور الأنبياء والأولياء والأئمة والصالحين و.. الخ.

وعليه فلا يعتد بقول متوهم أو مغالط بحديث النهي عن أن يزاد على القبر غير ترابه. بعدم جواز البناء عليه؛ فإن القبر شيء، وما يوضع عليه من صندوق ويشاد عليه من بناء وما إلى ذلك فهو شيء آخر وهو جائز، وأكثر من جائز، كما هو واضح فيما ذكرناه فيما تقدم من الكتاب والسنة وعمل المسلمين منذ ذلك العصر بل وعصور الأنبياء والصالحين من قبل حتى اليوم.

وإنك- عزيزي القارئ اللبيب - عندما تأتي إلى تلك البنايات التي ضمت فيما ضمته من قبور ترى - كما رأى ويرى غيرك - ترى نفسك في جو من أجواء القداسة والتقديس لرب العالمين سبحانه والقداسة يصح أن يقال أنها مأخوذة من قدوس. وهو اسم من أسماء الله تعالى ومعناه - كما قال الدكتور الشرباصي في كتابه يسألونك ج٣ ص٤٢٩ معناه الطاهر المنزه عن النقائص والعيوب. وتقديس الله تنزيهه عما لا يليق بألوهيته ووحدانيته.. الخ.

ومنه قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ والتقديس في حق غير الله معناه التطهير ومنه الحديث النبوي «لا قدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها».

والمكان المقدس ليس معناه المكان المعبود بل المطهر من الأوثان والأصنام والشرك كالكعبة مثلاً؛ يقال عنها بناء مقدس يعني مطهرة من ذلك وهي لا تخرج عن كونها مركز اتجاه يتجه المسلم إليها عند عبادته لله فالمصلي لا يصلي للكعبة ولا يعبد أحجارها وإن المؤمن التقي أعظم حرمة عند الله من الكعبة مع أنها لها حرمة خاصة بها. وأورد قول النبي(ﷺ) عندها: «لا إلا الله ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك إن الله جعلك حراماً - أي يحرم الاعتداء حولك - وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه وأن يظن به ظناً سيئاً».

وعليه إن ما يتجه فيه المسلم إلى الله من مكان لقداسته - على هذه الأسس - لا يجوز أن يظن به ظناً سيئاً بحكم هذا الحديث المعتمد عند الجمعي فكيف إذا يقال له شرك؟ فيما هو موضع من مواضع التقديس لله وحده لا شريك له.

وإن ما يقال عند فتح أبواب تلك البنايات - وخاصة المشاهد في العراق ونحوه - هو: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من الحق وصدق المرسلين. . » الخ. وكل ما هناك من كلمات زيارة ودعاء لا تشتمل إلا على توحيد الله وذكره وأنبيائه وعلى رأسهم محمد(ﷺ) والإعراب عن مودتهم وأداء ولو بعض حقوقهم بما في ذلك تكريمهم لما لهم من الوجاهة عند الله - كما تقدم ذلك - تحت أضواء الكتاب والسنة في موضوع خاص به وليشملهم من ذلك من الفوائد دنيا وآخرة. . الخ.

جواب عن تزيين مباني قبور الأنبياء والصالحين وتعيين الخدمة

١- إليك أولاً مسألة التزيين:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من آية ٣٢ سورة الأعراف. وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ من آية ٧ سورة الكهف.

وقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ آية ٣١ سورة الأعراف. وقال: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ آية ١٢ سورة فصلت.

إلى نحو هذه وغيرها من الآيات التي تدل فيما تدل، على أن الزينة المشروعة غير محرمة، وأن ما على الأرض عموماً زينة لها. وجواز اصطحاب الزينة إلى المساجد ومعلوم أن هذه الأبنية دونها؛ فلا إشكال في جواز ذلك فيها وتزيين السماء بمصابيح يحبب تزيين الأجواء الروحانية بمصابيح بحسبها.

ونأتي إلى السنة الشريفة ومما نجد فيها ما جاء في مقدمة ابن خلدون ص٤١٨: أن رسول الله(ﷺ) لما فتح مكة وجد أموالاً وذهباً وأثاثاً وهدايا من الملوك في الكعبة، فقيل له لو استعنت به على حربك، لم يفعل بل أبقاها على ما هي وكذلك قيل ذلك لأبي بكر (رض) فلم يفعل. وفي البخاري أن ذلك قيل لعمر (رض) فلم يفعل، وفي وفاء الوفاء للسمهودي أن السبكي الشافعي كلموه في مسألة حكم قناديل الكعبة وحليها، والقناديل التي حول حجرة قبر النبي(ﷺ) وما إلى ذلك فألف كتاباً وأورد حديث البخاري (ره) أن النبي(ﷺ) وصاحباه لم يتعرضا إلى ذلك بل أقروه ومما يذكر أن عمر (رض) لما فتحت المدائن في عهده أرسل

إليه من خزائنها هلالات من ذهب فعلقها في الكعبة وعلق الخليفة العباسي السفاح في عهده الصفحة الخضراء. والمأمون الخليفة العباسي علق الياقوتة. ونحو هذا ما جرى من بعضهم حتى عهد الثمانيين و. . الخ.

أما الكسوة فأول من كسا الكعبة تبع الملك وتتابعت الكسوات حتى عصرنا هذا.

وعن كسوة الحجرة النبوية التي تضم قبر النبي(ﷺ) وعمل الشباك عليه وصندوق الصندل. والأسترة الديبقية وقناديل الذهب والفضة من مختلف الجهات الشعوب والحكومات الإسلامية منذ ذلك العصر حتى اليوم كما في وفاء الوفاء للسمهودي ص١٥٦ ونحوه من الكتب المعنية.

وكل تلك المنشآت والمعلقات وما إليها هدايا موقوفة وهي زينة وهيبة للمسلمين في صدور أعدائهم. وكذلك الحال في مراقد بعض آل النبي(ﷺ) وصحابته ومن إليهم من الأعلام. . الخ. وليس في ذلك بأس. فهو جائز. وكذلك جائز ما تقدم من تشييد غرفة أو بناية أو قباب أو وضع صناديق أو شبابيك على قبور الأنبياء والصالحين تحت أضواء الكتاب والسنة. . الخ.

ولهذا فإن في أسواق العالم كثير من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والخشب والنحاس والورق وما إلى ذلك. . الخ، مما لا يجعل المسلمون لها تلك الميزة الخاصة منها بقبور الأنبياء والصالحين. . الخ.

كما وفي العالم اليوم كثير من المباني والضرائح والقباب. لماذا لا يعظمها المسلمون كما يعظمون مبنى حجرة قبر النبي(ﷺ) وضريحه وقبته. وكذلك لما للأنبياء والصالحين في هذا الشأن. يا أيها المعترضون أليس احترام الظرف احترام للمظروف وما مت إليه بصلة. . ؟

ومما للتحف والآثار في المتاحف العالمية من العناية والقيمة المعنوية المميزة على ما سواه وما في ذلك شيء مناف كما رأيت وترى تحت هذا الأضواء، بل إن الأمر على العكس من ذلك لما فيه م. 'ذكرى المجيدة والدرس والعظة

والسير على هدى من شادوا لهم هذه الأبنية تقديراً لهم وليس في ذلك شرك، كما تجلى تحت هذه الأضواء.

أما التوسل إلى الله سبحانه بجاه الأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً فقد تقدم الكلام عنه في أحد مواضيع كتابنا هذا تحت هذه الأضواء فراجعه إن شئت.

٢- اتخاذ الخدمة والحفظة:

فمما في القرآن الكريم من جواز ذلك للبقاع التي شرفها الله سبحانه بما تمتاز به على غيرها من أعلى الدرجات. وذلك على شرط أن يكون أولئك الحفظة أو الخدمة والسدنة غير متخلين عن الإيمان المطلوب كما تشير إليه الآية ١٩ سورة التوبة: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ..﴾ الخ، مما يشعر أن للقائمين بذلك شرفاً لكنه لا يعادل الإيمان - على ما توهموا - فالمطلوب أن تضم السقاية والعمارة إلى الإيمان ليكمل ذلك الشرف؛ فتحق لهم الكرامة كما تحق للمجاورين الملتزمين بالإيمان قولاً وعملاً.

وقد أورد صاحب وفاء الوفاء في عدة من فصول كتابه المذكور كما أورد غيره مما كتب في هذا الشأن ما روي عن الحث على حفظ أهل المدينة وإكرامهم وأنهم جيران رسول الله(ﷺ) والترغيب على الموت بها والدعاء بذلك. كما حث على المجاورة بها والدعاء لها ولأهلها وذكر عصمتها من الدجال والطاعون ونحو لك.. الخ، مما يعطينا أكثر من صورة واحدة عن كونها إنما جازت على تلك الفضائل برسول الله(ﷺ) ومن إليه. فكان لها مما لها من الوصف المذكور من موضع العناية والتكريم والتعظيم المناسب.

ومن التعظيم المناسب الصيانة المناسبة. ولهذا اتخذت الخدمة والحفظة لها وخاصة لأشرف مكان منها وهو مسجد رسول الله(ﷺ) وموضع قبره وقبور آله الأطهار وصحابته الأخيار (رض)، ومن إليهم.. الخ، وما لهم من الآثار خاصة في المدينة المنورة وعامة في المدن الأخرى.. الخ.

ذلك لأنه داخل في إطار تعظيم الشعائر التي فيما فيها إيحاء للقلوب بتقوى الله وما إليها. كما ترشد الآية ٣٢ سورة الحج: ﴿ذلكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيها مَنافِعُ..﴾ الخ. ومما لمدينة النبي(ﷺ) من إشراقات لأضواء تلك المنافع على البشر ومما ترتب على ذلك من أثر أنها سميت بأسماء عديدة ذكر منها مثلاً صاحب معجم البلدان ج٧ ص٤٣٦ خمسة وعشرين اسماً ذكرتها ومما إليها في كتابي كفاية الخطيب ج١ مجلس١٢، أذكر منها بالمناسبة طيبة والمباركة والجابرة والمحببة والناجية والموفية والمجنة والقدسية والعاصمة والمسلمة والمرزوقة و.. الخ.

ومن إشراقات المدينة المنورة انطلاقاً من ساكنها محمد(ﷺ) ما شمل غيرها من المدن حتى لقد أصبح بعضها يضاهي المدينة المنورة بتلك المنافع المعنوية والمادية وما إلى ذلك؛ مثل كربلاء والنجف الأشرف ونحوهما.. الخ.

وأذكر لك على سبيل المثال لا الحصر مما جاء في مقال للأستاذ فاروق عبد القادر، وهو ليس شيعياً ولا نشأ في مجتمع شيعي وإنما كان ذلك عن شجاعة في إعلانه عن الحقائق في هذه المجالات. وقد نشر مقاله في مجلة الطليعة اللبنانية عدد حزيران١٩٧٤م ومنه ما نصه: (لقد ملأت عيني بزيارة العتبات رأيت الكاظمية والنجف وكربلاء والكوفة وسامراء قباب ومآذن الذهب وملايين المرايا الصغيرة والنقوش الزاهية والزخارف الرائعة تجسد شوق الإنسان إلى البطولة والفداء، ولافتات تمنع دخول السافرات وتلعنهن ورجلاً يروي مشاهد استشهاد الحسين والناس من حوله تنشر حزناً على الشهيد، وفي جانب مسجد الكوفة ضريح مسلم بن عقيل وآخر لا يقل عنه روعة لهاني ومس قلبي أن تجد الشخصيات الثانوية بالنسبة للحسين مكانها اللائق. وفي هذا المسجد تدهمك صورة التاريخ كأنك ترى حيدرة أسد الغاب يهوي صريعاً في المحراب. وكانت الكلمة التي فاه بها (فزت ورب الكعبة) قد جسدتها الريح. وكأنك ترى مسلماً (رض) - إلى قوله - والآذان صم فلا

تسمعه والإرهاب الأموي يحيط بكل شيء. وكأنك ترى والي الكوفة يقبض عليه ويضرب عنقه ولا يكتفي بل يلقي الجثة من فوق القصر تخويفاً وتحذيراً. وفي كربلاء قريب من ضريح الحسين ضريح لا يقل عنه روعة وفخامة لأخيه العباس الفارس الجميل قطعت يداه وساقاه ورشقت عيناه بالنبال وهو لا يفلت الراية - إلى قوله - وتتخيل وأنت في كربلاء طابور الشهداء منذ تاريخهم الأول إلى يومهم هذا غارقاً بالدم والتعذيب كي يقيم الحجة على الكسالى والخاملين المساومين وباعة الدم المسفوك، وقبر الحسين محجة ومزار، وقبر معاوية في الصمت البارد لا أحد يعرفه إلا إذا دل عليه، وتحت أقدام علي (رض) تستلقي ثروات العالم. تاج الشاه المرصع بالدر والجواهر وثروات الأغنياء وعلى من وقف عند منعطف الطريق أين يختار. . ؟ أين يكون. . ؟).

عزيزي القارئ اللبيب، لقد نعم وما زال ينعم المسلمون في هذه المجالات بمن فيهم صاحب المقال المذكور ونحوه من المتنبهين. ولم يعوزهم والجميع سوى العمل بكل ما للإسلام في هذه المجالات تحت أضواء الكتاب والسنة لا يؤثر على هذا أو ذاك إلى الأبد متوهم أو مغالط لغاية خاصة أو هوى متبع وإن أثر بعض الوقت فالمستقبل للحق وأهله مما لا جدال فيه.

اللهم جنبنا جميعاً من التوهم والأهواء. . ووفقنا للسير تحت هذه الأضواء.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن تفاضل بقاع الأرض والسجود لله على التربة الحسينية وغيرها

١ - فمما في القرآن مثلاً: تفضيل بعض بقاع الأرض على بعض في الغذائيات كقوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ﴾ - إلى قوله - ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ..﴾ الخ، آية ٤ سورة الرعد. وقطع مفضلة بقداستها. كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ من آية ١٢ سورة طه. ﴿يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ من آية ٢١ سورة المائدة. وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلْعالَمِينَ﴾ الخ، آية ٩٦ سورة آل عمرن ونحو ذلك.. الخ.

٢ - ومما تحت أضواء السنة الشريفة ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء ج١ ص١٩ من القول: «بأنه انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة - يقصد أعضاء النبي(ﷺ) حتى على الكعبة». وقوله هذا عام كما تراه وبطبيعة الحال يأتي في الدرجة الأولى في الشرف ما ضم أعضاء رسول الله وما إلى ذلك..

وأتبع ذلك قائلاً: «وأجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد واختلفوا في أيهما أفضل فذهب عمر بن الخطاب (رض) وابنه عبد الله ومالك وأنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة. وأحسن بعضهم فقال: الخلاف في غير الكعبة فهي أفضل من المدينة عدا ما ضم الأعضاء الشريفة إجماعاً».

ونقل صاحب الوفاء هذا فيما نقله عن القاضي عياض والقاضي الباجي قبله. كما قال الخطيب ابن جملة ونقله ابن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة ونقل التاج الفاكهي نفي الخلاف عن ذلك.

وإنما نالت المدينة ذلك الشرف بوجود النبي(ﷺ) حياً وميتاً، وهذا مما جوزوا على أساسه التبرك بقبره الشريف كما مر عليك في موضوع التبرك، وأساسه التربة

التي ضمته(ﷺ) ومن ذلك ما جاء في الفصل السادس من وفاء الوفاء للسمهودي في الاستشفاء بترابها وزاد على ذلك بتمرها. . وذكر فيما ذكر أن المسلمين كانوا يتشرفون بموضع قبر النبي(ﷺ) ويأخذون من ترابه فأمرت عائشة (رض) بجدار فضرب وكانت في الجدار كوة (نافذة) فكانوا يأخذون منها.

وفي جامع الأصول لابن الأثير مثل ذلك أيضاً. وتأتي بعد تربة النبي(ﷺ) المشرفة ومن إليه تربة من كرم بالإيمان والجهاد والشهادة والقرابة والصحبة وهي تربة عمه حمزة (رض) كما ذكر ذلك السمهودي عن الزركشي وغيره. . الخ.

وأكثر من هذا ذكروا ومن ذلك مثلاً ما ذكره صاحب وفاء الوفاء عن الصديق حسن الحنبلي (ره) أن الإمام مالك (ره) مع ضعفه وكبر سنه لم يركب دابة في أرض المدينة وكان يقول: «لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله(ﷺ) مدفونة».

نعم هكذا كانوا يعظمون أرض المدينة ويتبركون حتى بتمرها، إضافة إلى تبركهم بقبر وتربة النبي(ﷺ) ومن إليه كعمه حمزة ونحوه. . وغير ذلك لاحظ موضوع التبرك. الخ، بما فيه ابنته الزهراء وعلي(ﷺ) وأبيات ماذا على من شم تربة أحمد. . الخ، وخبر وصية أبي بكر وعمر (رض) بدفنهما في تلك البقعة من الأرض وعند تلك التربة. . و. . الخ.

ثم بعد ملاحظة ذلك وما تقدم. نلاحظ ولو بعضاً مما ذكروه عن النبي(ﷺ) نفسه الذي كان بها ومن أجل هذا التعظيم والتبرك والتشرف. . الخ. نلاحظ ولو بعضاً مما ذكروه عنه(ﷺ) بأسانيد معتمدة أيضاً. فيما يخص سبطه وريحانته الفادي نفسه لتخليد دينه. . الذي كان مما قاله فيه حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا. أبغض الله من أبغض حسيناً. . الخ، الحديث المعترف به المتفق على صحته عند جميع المسلمين. فضلاً عن أحاديث أخرى مماثلة. . الخ.

فمن ذلك مثلاً ما ذكروه عنه(ﷺ) في تربة الحسين(ﷺ) ما أثبته الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن عبد الله بن حنبل (ره) متصلاً بأبي وائل شقيق أم سلمة زوج النبي(ﷺ) أنها قالت كان النبي(ﷺ) عندي فنزل جبرئيل وأخبره بمقتل الحسين وناوله تربة من الأرض التي يقتل فيها. فشم النبي(ﷺ) تلك التربة وأودعها عندها في قارورة.. إلى آخر الحديث. وقد ذكره فيمن ذكره كذلك الحافظ الكنجي في كتابه الكفاية ص٢٧١.

وعليه فإن تربة يشمها - رسول الله(ﷺ) نفسه - ويعتني بها هذا الاعتناء وأكثر كما في أحاديث أخرى. ثم عناية الإمام علي(ﷺ) بها يوم جاء من صفين ومعه جماهير من الصحابة (رض) والتابعين (ره) يؤيدونه لجدير بجميع المسلمين عبر العصور أن يشموها ويعتنون بها كما فعل رسول الله(ﷺ).

أما السجود عليها فهو لله. لا لها.. فليس السجود على الشيء أو للشيء عبادة له كما توهمه بعضهم إنما هي - أعني التربة الحسينية - داخلة في الحديث المتفق عليه جميع المسلمين وهو قوله(ﷺ): «جعلت لي الأض مسجداً طهوراً». وبما أن بقاع الأرض بعضها أشرف من بعض - كما تقدم ذكر ذلك من القرآن الكريم في أول هذا الموضوع - فإن التربة الحسينية ليست إلا شيئاً من بقعة أرض اعتنى بتربتها وشمها رسول الله(ﷺ) إبرازاً لشرفها. كما أبرز شرف تربة المدينة به(ﷺ) وقد تقدم ذكر ذلك، ليس من كتب الشيعة بل من كتب إخوانهم السنة. ولا تعطل الصلاة إذا لم تحصل التربة؛ إذ يصح السجود على ما هو من الأرض، إذ السجود عليه ليس إلا مسجداً، وليس معبداً. فلو أن كل ما يسجد عليه يعني عبادته.. فهل إن السجود على الحصى أو على الطين أو على الفرش عبادة لها..؟

الجواب: طبعاً لا.. وألف لا. وإنما السجود على الشيء في العبادة، هو لله وحده لا شريك له. وإنما قلت - في العبادة - لأن هناك سجوداً لا يقصد به

العبادة بل التعظيم المتعارف عليه ؛ ومنه سجود النبي يعقوب(﵇) وأولاده ليوسف(﵇) كما في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ آية ١٠٠ سورة يوسف . كما وهناك سجود للشيء ليس عبادة له . وإنما هو طاعة للأمر به كسجود الملائكة لآدم(﵇) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ..﴾ الخ ، آية ٣٤ سورة البقرة .

وهناك سجود لا يتطلب أن يكون على أرض أو على تربة ، أو أي شيء من أرض كما تقدم . ولا على حصى أو لبنة أو حصير أو فراش ونحو ذلك وغيره . . الخ . . إنه لا يتطلب من ذلك شيئاً فهو مجرد انحناء -أعني الركوع- ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ من آية ١٦١ سورة الأعراف ومثلها في سورتي البقرة والنساء . فسروها بـ ركعاً وعدها كذلك الأفغاني في كتابه الوجود والنظائر ص٢٣١ والسجود في العبادة أفضل أركان الصلاة كما اتفقوا عليه .

وأعود وإياك إلى أساس الموضوع : في السجود على شيء من الأرض سواء كان تربة أو حصى أو لبنة أو بساطاً أو أي شيء كان ، ليس عبادة له وإنما هو مسجد يسجد عليه لله وحده لا شريك له . وأذكر لك بعدما تقدم نماذج من ذلك مما جاء في السنة الشريفة .

من ذلك مثلاً ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في سنن مسنداً عن عمر بن الخطاب (رض) أن رسول الله(ﷺ) كان يأخذ حصى معه يسجد عليها في صلاته ويقول ما أحب هذا البساط ومما رووا أنه بالإضافة إلى أنه(ﷺ) كانت له خمرة يسجد عليها وهي حصير ، وكان يفضل السجود على الحصا - كما تقدم - قائلاً : ما أحسن هذا البساط كما كان يفضل أيضاً السجود على التراب فقد جاء في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد (ره) في الحديث عن السجود أن النبي(ﷺ) يشاهد وعلى جبينه وأنفه من التراب لسجوده . ومما يذكر هنا : ليلة القدر عند الإمام الشافعي ٢١ رمضان لقول النبي(ﷺ) : أراني

أسجد فيها على ماء وتراب - أي طين - وسئل أستاذ المذاهب الإمام الصادق(ع) عن أفضلية السجود على التراب. فقال: لأن قلوب الناس معلقة بما يأكلون ويلبسون ويفترشون، والتراب ليس كذلك -يعني وضعه الحالي- فيكون السجود عليه أبلغ تواضعاً وتجرداً وأخلص تعبداً و. . الخ. وعليه فيبدو أن التفضيل المذكور مركز على شيئين الأول ليكون السجود على شيء مقطوع بطهارته؛ لمكان الحديث جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، والثاني خلوه من تعلق القلوب به كمواد الأكل واللبس والفرش.

وعلى هذه الأسس: كان الآل(ع) والأصحاب (رض) يقتدون بالنبي(ص) في اتخاذ أحسن بساط وجرى على ذلك العارفون التابعون لهم بإحسان.

فمثلاً: هذا مسروق بن الأجدع الذي كان من رجال الصحاح الست: البخاري، ومسلم و. . الخ، يروي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رض)، وكان فقيهاً صالحاً يعلم الناس شرائع الإسلام وكان يقول: اللهم لا أموت على أمر لم يسنه رسول الله(ص). وكان هذا الرجل من أصحاب عبد الله بن مسعود الصحابي (رض). قال عن مسروق هذا إمام إخواننا أهل السنة في عصره أبو بكر بن أبي شبة في كتابه المصنف ج٢ أن مسروق المذكور كان يعمل لبنة من طين للسجود عليها في صلاته.

وعلى هذا وذاك يعرف أن الحصى الذي كان يستعمله رسول الله(ص) لسجوده كان من أرض شرفت به كما تقدم ذكر ذلك. . وأن اللبنة المذكورة هي من طين نظيف طاهر.

والتربة الحسينية تجمع بين كونها من أرض أشاد رسول الله(ص) نفسه بشرفها. . كما تقدم ذكر ذلك. . وبين كونها من طين نظيف طاهر.

وعلى هذا وما تقدم وما يليه من أسس متينة فمن الأولى أن نأخذ طينة من تلك التربة التي شمها رسول الله واعتنى بها وحفظها وديعة في بيته عند أم سلمة (رض).

وهذا ولده الإمام السجاد(ع) وهو قدوة اعترف بفضله جميع المسلمين كان قد اتخذ له خريطة من تلك التربة للسجود عليها في صلاته - والخريطة الكيس فيه خيط يخرط على الشيء يوضع فيه - ونحوه ما ذكروه عن الإمام الصادق(ع) أستاذ المذاهب الإسلامية الذي اعترف بفضله الأباعد والأقارب، فكان من مجموع ما تقدم قدوة للآخرين بمن فهم ذلك حق فهمه.

ومما يدعم ذلك حتى في عصرنا هذا تفضيل تربة على تربة لميزات خاصة وعامة ومن ذلك مثلاً: من يموت من ذوي الشأن في بلد وإن كان بعيداً فإنه يؤتى بجثمانه ليتوسد تربة البلد الذي كان فيه مسقط رأسه. أو قطعة الأرض التي فيها مميزات خاصة لا تباع أو لا تؤجر بمثل ما يباع أو يؤجر سائر الأراضي والأمكنة.. الخ. وللمميزات الخاصة بتربة الحسين كتب عنها عدد من الكتاب والعلماء الأعلام حتى عصرنا هذا، أكثر من موضوع واحد وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر من غير الشيعة.

١ - هذا ابن عساكر في تاريخه والحافظ الكنجي في كفايته. ذكرا كما ذكر غيرهما أنّه لما محى المتوكل أثر قبر الحسين(ع) بالماء جاء إعرابي من بني أسد وأخذ قبضة بعد قبضة من التراب حتى وقع على القبر فبكى وقال: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً وأنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن محبه   وطيب تراب القبر دل على القبر

٢ - وهذا الأستاذ محفوظ مدرس اللغة العربية وآدابها بمدارس القاهرة يقول في كتابه عن المشهد الحسيني بمصر - هذا فضلاً عن كربلاء ما نصه: «إن الشفاعة حاصلة في تربة الحسين» يقصد - على ما يبدو - المعنى المذكور في كتاب الوجوه والنظائر للدامغاني مع وجوه لمعاني أخرى، وهو المعنى المتناسب وهذا الموضوع ولا أود أن أعلق على ما هو على العكس مما يتناسب والسجود على طرف عباءة وسخة أو ما جوزه بعضهم من السجود على العذرة اليابسة الذي ذكره ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان في ترجمة

محمد خدابنده، باب حرف الميم. عمن يجوز ذلك منهم، وابن خلكان المذكور شافعي المذهب، ويذكر ذلك عن أحد المذاهب الأخرى (ره)، مما يتناسب وما ذكره صاحب الوجوه والنظائر من إخواننا السنة أيضاً في تتمة معنى شفاعة؛ ألا وهو الشفاعة السيئة في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾، أي وزر - فذلك يعني العمل غير الصالح. فالكلام هنا عن المعنى شفاعة المذكور للعمل بالحسنة. لا موضوع الشفاعة بالذات فذلك مما سيأتي في موضوع مستقل به - وقد استشهد للمعنى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً..﴾ الخ، من كون الشفاعة هنا العمل بالحسنة لاحظ ص٢٦٥ منه. أو إنه أعني الأستاذ محفوظ ما بدا لي في حينه، وأنا أؤلف كتابي كفاية الخطيب ج٤ مجلس ١٣ حيث ذكرت فيما ذكرت هناك من أنه لعله يشير إلى الحديث الوارد عن آل محمد(ﷺ) أن السجود عليها يخرق الحجب السبعة - إلى الله تعالى - فلا يمنعها مانع أو يجوز أن يكون هذا تصحيف من الشفاء كما يجوز الوجهان في الإعراب عن بعد المدى لشرف هذه التربة.

وهذا العلامة الرحالة البيروني في كتابه الآثار الباقية أسماها التربة المسعودة وأنه ليس في الأرض أسعد ولا أشرف منها ولم يسم أو يصف بهذا الوصف غيرها.

وهذا الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه أبو الشهداء يقول بعد كلام له عن شرف هذه التربة وقداسة هذه البقعة ما نصه في ص١٥٤ (لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم للنوع الإنساني من تلك التي قرنت باسم كربلاء).

وهذا الملك المغربي محمد الخامس (ره) الذي توفي عام ١٩٦٤م، أرسل طلباً رسمياً إلى الحكومة العراقية يطلب فيها مقداراً من التربة الحسينية لتفرش في قبره إذا مات. وفعلاً نفذ الطلب.

يلخص من مجموع ما تقدم أن بقاع الأرض بعضها أشرف من بعض. وأن الأرض جعلت مسجداً وأن ما يسجد عليه منها سواء كان حصى أو خمرة أو حصير، أو لبنة أو تربة من طين نظيف طاهر كل ذلك ليس عبادة له بل للسجود عبادة لله وحده لا شريك له، وأن السجود على التربة الحسينية لله سبحانه أفضل لما تمتاز به من كونها من طين متأكد من نظافته وطهارته. ولكون الرسول(ﷺ) نفسه ميزها بشمها والاعتناء بها وإيداعها عند أم سلمة (رض). وكون المسلمين كانوا يتشرفون بتراب قبره والأرض التي ضمته وتربة حمزة (رض) وما إلى ذلك. مما تقدم ذكره وكون تراب قبر الحسين والأرض التي ضمته، إنما شرفت بتشريف رسول الله لها. في كونها تضم جسم من قال فيه: حسين مني وأنا من حسين. وما تبع ذلك من أخبار شرفها وفضلها وما إلى ذلك.. الخ، ولأن السجود أفضل أركان الصلاة فناسب أن يكون على أفضل شيء. فكان السجود على التربة الحسينية مارسه أعلام من آل محمد(ﷺ) وممن اقتدى بهم من الصحابة والتابعين ومن إليهم حتى اليوم وكل ما في الأمر هو سجود لله سبحانه على شيء من الأرض مشرف لا أكثر. ولا تتوقف عليه الصلاة إذا لم يحصل فليس للسجود عليه أو على أي شيء كان مما تقدم ذكره عبادة له بل لله وحده لا شريك له. وبهذا كفاية.

جواب عن الطواف والتقبيل وقبور الأنبياء والأئمة والصالحين

للطواف فيما يقصد به: عدة معان. والمهم هنا ما يدخل تحت هذا العنوان فهاكه أولاً من القرآن الكريم:

١- **طواف عبادي**: وهو على قسمين الأول ما يخص الكعبة، وإليه تشير الآية ١٢٥ من سورة البقرة: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ..﴾ الخ، والثاني ما يخص الصفا والمروة، والسعي. وقد سماه الله طوافاً بقوله تعالى في سورة البقرة آية ١٥٨ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا..﴾ الخ، والعبادة لله لا للبيت ولا للشعائر.

٢- **طواف عذاب واضطراب**: إليه يشير قوله تعالى في سورة الرحمن آية ٤٤: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ ويراد به الجولان كما في التفاسير أيضاً.

٣- **طواف خدمة**: وطبعاً الخدمة تقع بين خادم ومخدوم ويراد للمخدوم التكريم بها ما يراد من وجهة أخرى الاستفادة من المخدوم، إن عاجلاً أو آجلاً.

دل على الوجهة الأولى قوله تعالى في سورة الواقعة آية ١٧: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾، أي يخدمهم ولدان مخلدون كما في التفاسير. وكذلك قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾ آية ٢٤ سورة الطور. ودل على الوجهة الثانية قوله تعالى في سورة النور آية ٥٨: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ..﴾ وطبعاً كما تكون الخدمة من الأحياء للأحياء، تكون من الأحياء للأموات كما هو معلوم بما في ذلك ما يخص الوجهة الأولى من تكريم ما يخص الوجهة الثانية من استفادة وفيما سيأتي بعد قليل. مما ورد من استفادة من الأموات. أيضاً على ضوء القرآن والسنة الشريفة وما إلى ذلك.

وعلى هذه الأضواء يتضح بأن ما كل طواف عبادة أو شرك. وما كل تقبيل أو تبرك وما إليها عبادة، أو شرك. . وإن من يقول بأنه عبادة أو شرك فهو إما جاهل وإما مغالط لغاية خاصة نسأل الله له ولأمثاله ولنا جميعاً نعمة التبصر والهداية. كصاحب كتاب التحفة الذي ملأه بالافتراءات والشتائم التي لم تعد تأخذ مأخذها. كما في أيام زمان على ما يقال ومن ذلك مثلاً ما ذكره في معرض الانتقاد على أفضلية كربلاء ص ٢١٨ من أبيات لم يذكر اسم صاحبها والكتاب الذي فيه نتحداه الآن أن يأتي باسم صاحب الأبيات، إذ لا يوجد شيعي واحد يقول هذا. . كما لا تجد ذكراً لهذا الطواف المزعوم في كربلاء، وما أدري أن صاحب الكتاب المذكور - مع احترامنا له - كان قد لقف هذا ممن هو على شاكلته دون تحقيق. . أو أنه يظن أنه لا أحد ممن حوله وصل أو يمكن أن يصل إلى كربلاء - في عصر الطائرات هذا - ما قام به هو لا يمكنه أن يصل فتنطلي المسألة بقوله عنهم بدون سند عليهم في هذا القول وشبهه:

هي الطفوف فطف سبعاً لمغناها فما لمكة معنى مثل معناها

أرض ولكن السبع الشداد لها دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

نكرر تحدينا أن يأتينا باسم صاحبها بشكل ثابت وإلا فهو افتعال وهو إثم وخطيئة في آن واحد وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ آية ١١٢ سورة النساء.

إن الذي عند الشيعة بخصوص كربلاء ونحوها لم يتعد حدود ما عند إخوانهم من المسلمين الآخرين سيراً تحت أضواء الكتاب والسنة، في التعرف على شرف بعض بقاع الأرض على بعض وما يترتب على ذلك - مما سأذكره في محله في الموضوع السابق - من ذكر إجماع المسلمين على تفضيل المدينة على الكعبة بما ضمت من أعضاء النبي(ﷺ). . كما في وفاء الوفاء للسمهودي وغيره كالقاضي عياض، والقاضي الباجي قبله، والخطيب ابن جملة، وابن عساكر والتاج الفاكهي ونحوهم. . الخ.

ومن المعلوم أن أعضاء أو جثة الحسين(ع) تمثل جثة وأعضاء رسول الله لقوله(ص): «حسين مني وأنا من حسين». وهذا الحديث مما اتفق على صحته جميع المذاهب الإسلامية. ولو لم يكن سواه لكفى. فكيف وهناك أحاديث متفق عليها مماثلة. فيما يترتب عليها.. الخ.

وجاء نظراء من تقدم ذكرهم من العلماء وكلهم ليسوا من الشيعة. ومنهم البيروني في الآثار الباقية. قال إنه ليس في الأرض أسعد ولا أشرف منها.. ونحوه بل أكثر منه ما ذكره العقاد في ص١٥٤ من كتابه أبو الشهداء. والأستاذ محفوظ في كتابه المشهد الحسيني. ونحوهم.. الخ، من تفضيلها على ما سواها إطلاقاً. مما دفع بعض الشيعة إلى قول شخصي لا عن الشيعة كلهم إذ قال:

ومن حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

وقوله هذا - كما تقدم - قول شخصي وليس عمومي عن الشيعة ومع ذلك لم يذكر وحتى لم يشر إلى الطواف سبعاً. كالذي افتراه على الشيعة في الأبيات هي الطفوف فطف سبعاً لمغناها.. الخ.. دون أن يذكر بالتأكيد لمن هي..؟

وستعرف فيما سيأتي من مواضيع هذا الكتاب كما عرفت فيما تقدم منها أن الشيعة هؤلاء يسيرون تحت أضواء الكتاب والسنة، معرضين عن لغو صاحب الكتاب وما افتعله من أبيات ونحوها. كما هم معرضون عن لغو أمثاله إلا بالقدر الذي إليه يشير قوله تعالى في آخر إحدى آيات الإعراض عن اللغو: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ من آية ٧٢ سورة الفرقان.

ولئلا يطول الكلام أكثر. أنتقل وإياك إلى الوصلة الثانية من هذا الموضوع وهي التقبيل وهو إلى قسمين:

١- تقبيل يكون لعبادة الله سبحانه:

وعلى رأس ما قبل لهذا الغرض الحجر الأسود في ركن الكعبة المقابل تقريباً مقام إبراهيم(ع) الذي فيه صخرة عليها أثر قدميه ما زال الناس يقبلون تلك الصخرة ويصلون عندها.

ولعمر (رض) كلمة هي أشهر من أن تذكر في الحجر الأسود وتقبيله: «إني لأقبلك وإني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله(ﷺ) يقبلك لما قبلتك» رواه ابن ماجه وغيره وأكثر من هذا في التقبيل ما رواه مسلم في صحيحه ج٥ ص٢٨٠ بهامش إرشاد الساري في شرح صحيحي مسلم والبخاري وكذلك في سنن ابن ماجه ج٢ ص١١٥ أن النبي(ﷺ) طاف راكباً وكان يستلم الركن - الذي فيه الحجر - بمحجنه ويقبل المحجن، والمحجن: عصا محنية الرأس. لملامسة المحجن هذا للركن.

فهذا التقبيل يهدف عبادة الله لا عبادة المقبّل الحجر فإن الحجر الأسود المذكور مما تعبد الله خلقه بتقبيله. كما هو معلوم. ولأنتقل وإياك إلى:

٢- تقبيل يهدف التكريم والمودة لا العبادة:

جاء في وفاء الوفاء للسمهودي ج٢ ص٤١٠ فيما جاء قول الحافظ ابن حجر أنه استنبط بعضهم - يقصد علماء الأمة - من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره - إلى ذكره - عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية ما جاء من جواز تقبيل المصحف (القرآن) وأجزاء الحديث وقبور الصالحين. ونقل الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسه. قال:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدار

فما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديار. الخ

وقد تقدم ذكر مقام إبراهيم والصخرة فيه وفيها آثار قدمه وكان قد قبلها ولده النبي إسماعيل(ؑ) فكان تقبيلها اقتداء به وهو في أصله تقبيل مودة ثم صار قربة إلى الله في موضع أمر الله أن يتخذ للصلاة. كما قال سبحانه ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى..﴾ الخ.

ومما يؤيد تقبيل بعض ما للنبي(ﷺ) مودة له وتكريماً. لا عبادة ما رواه الإمام أحمد في سنده ج٢ ص٢٣ أن عبد الله بن عمر (رض) قبل يد

النبي(ﷺ) فكان مما على أساسه تجويز تقبيل يد الإمام الحق والعالم العدل العامل بسنته(ﷺ) لا تقبيل يد مما قيل فيها:

أنا لا أختار تقبيل يد قطعها أجمل من تلك القبل

وجاء في السيرة الحلبية ج٢ ص١٧١ ط ١٣٢٠هـ أن سواد بن غزيه قبل بطن النبي(ﷺ) في غزوة بدر وقبل كشحة سواد بن عمر ولم ينههما. روى ذلك أبو داود أيضاً في سننه. وفي سنن ابن ماجه أن أبا بكر (رض) قبل النبي(ﷺ) وهو ميت.

أما عن تقبيل قبور الأنبياء والصالحين فمما جاء في جواز ذلك - إضافة إلى ما تقدم عما ذكروا عن ابن أبي الصيف اليماني العالم الشافعي المكي - ما جاء في كتاب مطالب المؤمنين وخزانة الرواية وفتاوى الغرائب وكفاية الشعبي.. الذين ذكر عنهم فيما ذكر صاحب كشف الارتياب ما جاء عنهم بالنص التالي: «لا بأس بتقبيل قبر الوالدين لأن رجلاً جاء إلى النبي(ﷺ) فقال: يا رسول الله إني حلفت أن أقبل عتبة الجنة وجبهة حور العين فأمره(ﷺ) أن يقبل رجل الأم وجبهة الأب. فقال: يا رسول الله إن لم يكن أبواي حيين قال(ﷺ): قبل قبرهما. قال: فإن لم أعرف قبرهما؟ قال(ﷺ): خط خطين أنو أحدهما قبر الأم والآخر قبر الأب. وقبلهما ولا تحنث بيمينك.

فانظر بالله عليك - أيها القارئ اللبيب - إلى أي حد جوز النبي(ﷺ) التقبيل، وما تقبيل ضريح ريحانته الحسين(ع) أو تربته إلا من هذا القبيل وقد سبق أن النبي كان يكثر تقبيله في حياته وقبل تربته كما في كتب السنة أنفسهم عن أم سلمة وغيرها.. الخ، وقد تقدم ذكر ذلك ونحوه في الموضوع السابق عن التربة.. الخ. فلو كان مجرد تقبيل الشيء عبادة له، لما تقرر في السنة الشريفة.

ومما يذكر هنا ما لتقبيل تربة الحسين(ع) من أكثر من معنى سام ولله در الجواهري فيما قاله مخاطباً صاحبها:

شممت ثراك فهب النسيم نسيم الكرامة من بلقع

وعفرت خدي بحيث استراح خد تفرى ولم يخضع

أجل: إن تربة لم يعفر صاحبها خده عليها لغير الله جدير بكل مسلم أن يعفر خده عليها مستوحياً فيما يستوحي هذا المعنى العالي. كما يسجد عليها المصلي لله سبحانه لعناية نبيه(ﷺ) بها ولأفضليتها على كل مسجود عليه مع عدم المساس بغيرها مما يصح السجود عليه - كما تقدم - وتقبيلها تقبيل مودة وتكريم لا عبادة وإنما هي ذكرى وتوجيه إلى أشرف قيادة وقد تقدم الكلام عنها بالتفصيل في الموضوع السابق فراجعه.

٣- تقبيل نيابة داخل في الوجوب:

وهو عندما يكلفك إنسان بتقبيل آخر نيابة عنه فهذا من باب ما يشمله وجوب أداء الأمانة على شرط أن لا يكون هناك مانع شرعي..

٤- تقبيل بداية صلة داخل في المستحبات:

ومنه مثلاً تقبيل العريس جبين عروسة ليلة الدخول. ونحو ذلك مما ورد في الحديث.

٥- تقبيل عادة داخل في المباحات:

ومنه مثلاً تقبيل شريك شريكه مثلاً أو أي إنسان آخر - لا مانع في الشرع من تقبيله - للتأكيد عليه على إنجاز عمل ما.. ونحو ذلك.. الخ.

٦- تقبيل مجاملة أو مبادلة:

ومنه تقبيل الملوك والرؤساء ومن إليهم بعضهم بعضاً، أو إنساناً يقبلك وتقبله في الأعياد والمناسبات.

٧- تقبيل نفاق:

ومنه أن يقبل إنسان إنساناً ليخدعه. في نيل مطلبه منه، وهذا ممقوت. وقانا الله وإياك أيها القارئ والجميع من النفاق وشره. آمين.

وفي هذا كفاية للتمييز بين تقبيل وتقبيل. وخاصة التقبيلين الأولين ١- التقبيل الهادف للعبادة. ٢- والمعرب عن المودة أو التكريم لا العبادة. وعليه فما كل تقبيل عبادة. وللإيضاح أكثر يطرح السؤال التالي..:

هل يجوز تقبيل حجر والسجود عليه..؟

قد ينتقد من لا علم لـه، أو لـه علـم لكنه يغالط، فيقول لمن يسجد لله تعالى على التربة الحسينية كما تقدم بأن هذا شرك..

والجواب: خذه من كتب الذين يقول بعضهم - وليس كلهم - هذا شرك..

جاء في كتاب سنن البيهقي ج٥ ص٧٤-٧٥ باب السجود على الحجر بسنده عن عكرمة عن ابن عباس (رض) قال: رأيت النبي(ﷺ) قَبَّل الركن وسجد على الحجر وفي موضع آخر أن ابن عباس قَبَّل الركن ثم سجد عليه. ثم قَبَّله ثم سجد عليه ثلاث مرات وبسنده عن ابن عباس أنه قال: رأيت عمر بن الخطاب قَبَّله وسجد عليه. قال عمر (رض): رأيت رسول الله(ﷺ) فعل كذا،.. عن مروان الطيالسي وغيره..

ونحو هذا كثير - وقد تقدم منه في أبواب التقبيل - بما في ذلك ما جاء في صحيح البخاري (ره) من تقبيل رسول الله(ﷺ) للركن وهو حجر، يضاف إلى ذلك ما تقدم ذكره من سجوده(ﷺ) على الحجر. والسجود لله سواء كان على حجر أو تربة وهي حجر أيضاً.. ولا ينافي ذلك تقبيله. فلو أن ذلك منافياً، أو - شركاً - نعوذ بالله لما فعله رسول الله وعمر وابن عباس (رض) عليه فإن الذي يقول هذا شرك، عليه أن يطلع أولاً على فعل رسول الله ومن إليه، ثم يتكلم، وإلا فإنه يعتبر راداً على رسول الله ومن معه. كذلك فيما يخص التربة الحسينية من تقبيل لها بالذات.

وقد تقدم ذكر ذلك عن نفس كتب المعترض - سامحه الله - وذلك إعلاماً لما يتمتع به الحجر أو التربة من الشرف.

جواب عن الزواج المؤقت المعروف بالمتعة

ويسمى المنقطع أيضاً لانقطاع مدته المعينة. أو هبة ما تبقى من تلك المدة.. وذاك وهذا طلاقه، أو بالموت.

ولزواج المتعة شروطه - كما للدائمي شروطه أيضاً - وكل منهما إذا خالف انحرف، كما هو الحال في العقود الشرعية الأخرى، وسيأتي الكلام عن شروط زواج المتعة في محله من هذا الموضوع.. وإنما ذكرته باسمه المتعة لا بما قد يطلق عليه من اسم الزواج المؤقت لأن اسم المتعة هو الأصل.. وقد جاء على أساس كتاب الله والسنة - كما سيأتي بعد قليل - ولأن الزواج المؤقت في الأصل هو ما جاء تقريره في فقه الحنفي، كما سيأتي أيضاً، وكل ذلك وما إليه بإجمال فلا أود الإطالة في شيء قليل الوقوع، ولولا كثرة الأسئلة والمناقشة حوله من بعضهم لما أصرف وقتاً في الحديث عنه عما هو أهم.

وعليه فحديثي هنا عنه باقتصار عن استرشاد بالكتاب والسنة وعمل الآل والصحابة والتابعين ومن إليهم ونموذج مما من اعتراضات ورد متين عليها.

١ - فمما في القرآن ما جاء في الآية ٢٤ سورة النساء: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ وقد جاء في كتاب التفسير من صحيح البخاري ج٣ ص٣١ عند ذكر آية المتعة عن عمران بن الحصين نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله(ﷺ) ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء، قال البخاري يقصد بالرجل القائل برأيه عمر (رض).

وقد اتفق المفسرون أن جماعة من أبرز الصحابة (رض) كعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وابن مسعود وأبي بن كعب وعمران بن

الحصين المذكور والسدي وابن جبير وغيرهم يقولون بإباحتها ويقرؤون الآية المذكورة هكذا ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ - إلى أجل مسمى - فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الخ، ومن المفسرين مثلاً القرطبي في تفسيره ج٥ ص١٣٠ عن تفسير ابن كثير ونحوهما.

وقد ذهب بعض الباحثين أن الجملة - إلى أجل مسمى - مقصود بها البيان على نحو التفسير المأخوذ عن النبي(ﷺ) وهذا القول وجدته في كتاب أصل الشيعة للإمام كاشف الغطاء.

كما ذهب بعضهم من قبل أنها من صلب القرآن فقد أورد ابن جرير في تفسيره الكبير بسنده قول أبي نصيرة (رض) قرأت عن ابن عباس (رض) هذه الآية: فقال: إلى أجل مسمى، فقلت ما أقرؤها كذلك. قال: والله لأنزلها الله كذلك (ثلاث مرات).

ومما يؤيد ذلك ما جاء في بابها في صحيح مسلم (ره) من ذكر الآية المذكورة وفيها جملة إلى أجل مسمى لاحظ ج١ ص٤٥٠ منه.

وجاء في تفسير شيخ المفسرين الإمام الرازي ج٣ ص١٩٤ في تفسير آية المتعة المذكورة بسنده ما نصه: «قال عمر (رض) متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهم متعة النساء ومتعة الحج».

وهذا القول ذكره العشرات بل المئات من مستوى الرازي وغيره. وهو كاف للاعتراف بحليتها في عهد رسول الله(ﷺ) وعهد أبي بكر ومدة من خلافة عمر (رض) وعملاً بما اتفق عليه المسلمون في تلك العصور بأن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة. أخذ من أخذ بكونها حلالاً وترك من ترك. . كما سيأتي ذكر بعض منه.

وفيه - أعني تفسير الرازي أيضاً - أن المراد بهذه الآية حكم المتعة وهي عبارة أن يستأجر الرجل امرأة بمال معلوم إلى أجل معين فيجامعها واتفقوا على أنها كانت مباحة. . الخ.

وفي تفسير الرازي أيضاً ج٣ ص٢٠٠ عن تفسير الطبري في تفسير آية المتعة المذكورة بسنده عن الإمام علي(ع) أنه قال: «لولا أن عمر (رض) نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي».

وفي تفسير الطبري نفسه ج٥ ص٩٠ بسنده عن شعبة بن الحكم قال: سألته عن هذه الآية - يعني آية المتعة - أمنسوخة هي.. ؟ قال: لا.. ونفس هذا ما ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور ج٢ ص١٤٠ بسنده عن عبد الرزاق وعن أبي داود في ناسخه.. وفي النهاية لابن الأثير في مادة شفى - بالفاء لا بالقاف - بسنده عن ابن عباس (رض) أنه قال: ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد(ﷺ) لولا نهيه عنها - يعني عمر (رض) - ما احتاج إلى الزنا إلا شفى؛ يعني قليل من الناس.

وفي تفسير الزمخشري قوله: كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها؛ وسميت متعة للاستمتاع بها بما يعطيها وأن الآية هذه بسند عن ابن عباس (رض) أنها محكمة وليست منسوخة - كما قاله بعضهم - وسيأتي في محله من هذا الموضوع..

وفي القرآن آية أخرى لها صلة - بالمتعة - مما أخرجه كل من البخاري ومسلم (ره) في صحيحهما. وتلك هي قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾، آية ٨٧ سورة المائدة. جاء في كتاب التفسير من صحيح البخاري (ره) ج٣ ص٨٤ بسنده عن ابن مسعود (رض) قال: كنا نغزوا مع النبي(ﷺ) وليس معنا نساء فقلنا له: ألا نختصي فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب. ثم قرأ الآية المذكورة.

وفي صحيح مسلم ج١ ص٤٥٠ بسنده عن عبد الله: كنا نغزوا مع رسول الله(ﷺ) وليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي فنهانا ثم رخص لنا أن ينكح المرأة إلى أجل.. ثم قرأ الآية المذكورة والأخبار التي جاءت في التأكيد على حلية

المتعة وعدم نسخ الآية التي نزلت فيها كثيرة جداً ليس بالقول فقط بل قولاً وعملاً. ومن ذلك ما جاء عن الإمام علي وابن عباس وابن مسعود وابن الحصين وجابر وغيرهم فيما تقدم. أضف إلى ذلك ابن عمر (رض) نفسه وابن كعب وابن الأكوع وسبره بن معين الجهني وغيرهم.. من الآل والصحابة (رض) ثم من يليهم.. الخ.

فمثلاً من أخبار عبد الله بن عمر (رض) ما ذكره الترمذي في صحيحه عند ذكره المتعة بسنده أن رجلاً من الشام سأل ابن عمر (رض) عن متعة النساء فقال: هي حلال. قال الرجل: إن أباك قد نهى عنها. فقال ابن عمر (رض): أرأيت إن كان أبي قد نهى عنها وقد سنها رسول الله(ﷺ) أنترك السنة ونتبع قول أبي..؟

وجاء بهامش المنتقى ج٢ ص٥٢٠ عن ابن حزم أنه ثبتت إباحتها - يعني المتعة - بعد رسول الله(ﷺ) وذكر عدداً آخر من الصحابة (رض) إضافة إلى ما تقدم ذكرهم. ذكر سلمة وسعيد بن أمية بن خلف وأبا سعيد ومعاوية وجابر وعمرو بن حريث وغيرهم ممن يرون إباحتها. ومن التابعين طاووس وسعيد بن جبير وعطا وسائر فقهاء مكة.

وممن ذكرهم وذكر غيرهم أيضاً ابن خلكان في وفيات الأعيان باب حرف العين وبان سعد في طبقاته ج٥ ص٣٦١ ممن يجيزها عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي المولود عام ٨٠هـ الذي احتج به أهل الصحاح الستة وغيرهم وترجمه فيمن ترجمه ابن القيسراني في كتابه الجمع بين رجال الصحيحين ص٣٦١ ج٥ وعده الذهبي في ميزان الاعتدال بأنه أحد الأعلام الثقاة مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج حوالي ٩٠ امرأة بالمتعة وأنه كان فقيه أهل مكة في زمانه وكان يرى المتعة حلالاً.. وأن رجلاً كهذا، له طبعاً عدد كبير ممن تبع ويتبع رأيه وقد نفذه بالفعل دون التفات إلى من يعارضه في ذلك. ممن يوجد أمثالهم اليوم ومع احترامنا للجميع.

على أن من المذاهب الأربعة ممن يرى إباحتها الإمام مالك والإمام أحمد ولا تعجب إذا لم يعمل اتباعهما بها. فالشيعة أيضاً لا تعمل بها إلا نادراً ففي الغالب يعتبرها بعضهم منكراً أو شبيهة بالمنكر كما حدث فعلاً مما شاهدته وغيري من معظمهم لا يستنكرون الزنا على الزناة ويستنكرون المتعة.

إن المتعة يرى الإمام أحمد بن حنبل (ره) إباحتها عند الضرورة. ويرى الإمام مالك نكاح المتعة كان مباحاً فيبقى إلى أن يظهر ناسخه، لاحظ ص٣٨٥ من كتاب الهداية في شرح البداية لشيخ الإسلام المرغيناني وتفسير ابن كثير ج١ س٤٧٤. وفي شرح الزرقاني المالكي على مختصر أبي الضياء ج٣ ص١٩٠ ما نصه: «حقيقة نكاح المتعة الذي يفسخ مطلقاً أن يقع العقد مع ذكر الأجل من الرجل أو المرأة بأن يعلمها ما قصده. وأما إذا لم يقع ذلك في العقد وقصده الرجل وفهمت المرأة ذلك منه فإنه يجوز. قاله مالك وهو فائدة حسنة تنفع المتغرب».

إلى نحو ذلك وغيره وهو كثير وبهذا كفاية لكي يفسح المجال لذكر نماذج من أقوال ضد ما تقدم من معارضة مع ردود قصيرة عليها وفي بعض تلك الأقوال من نفسها ما يرد عليها

١ - فمثلاً من ذلك ما جاء في صحيحي مسلم ج١ ص٤٦٧: أن ابن عباس (رض) كان يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها فذكر ذلك لجابر (رض) فقال: على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله(ﷺ) وما منع ذلك.. الخ.

وهذا مما يفيد مع ما تقدم من حديث: متعتان كانتا حلالاً على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما. إن تاريخ المنع كان من خلال عهد عمر (رض) لا من عهد رسول الله(ﷺ) أو أبي بكر (رض). كما يفيد الرد على ذلك من نفس الحديث؛ إذ يتهافت نهي ابن الزبير أمام أمر ابن عباس حبر الأمة. وجابر (رض) وكذلك يتهافت أمام مقولة متعتان كانتا حلالاً على عهد رسول الله.. الخ وكل ما ذكره بعضهم من أنها حللت وحرمت في عهد رسول الله(ﷺ).

ويبدو، أن ابن الزبير كان يعاني فيما يعاني من انقباض نفسي في معارضته للمتعة فقد ذكر كل من الراغب الأصفهاني في المحاضرات وابن أبي الحديد في شرح المنهج وغيرهما أن ابن الزبير وقعت بينه وبين ابن عباس مشادة حول المتعة فقال له ابن عباس (رض): سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك. فسألها فقالت: والله ما ولدتك إلا بالمتعة.

وفي شرح النووي لصحيح مسلم بهامشه ج١ ص٤٥٢ نادى ابن عباس (رض) عبد الله بن الزبير المذكور وهو يخطب على المنبر وينهى عن المتعة، ناداه: إنك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين ويعني رسول الله(ﷺ).

وهذه من أوائل الصيحات الاستنكارية في وجه الناهي عن المتعة تبعتها صيحات وكتب ألفت.. الخ. بما في ذلك إزالة الشبهات عن بعضهم فيها.

تلك الشبهات التي أهمها ما يلي:

وهي ادعاء بعضهم أن آية المتعة المتقدم ذكرها، آية منسوخة بآية الأزواج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ..﴾ الخ. وقد جاءت في سورتين. وهذا ادعاء مردود من نفس القرآن فآية المتعة في سورة النساء وهي مدنية. وآية الأزواج في سورة المؤمنون وسورة المعارج وكلاهما مكيتان، ويستحيل تقدم الناسخ على المنسوخ وحتى لو أن سورة النساء مكية فلا وجه لنسخ آية التمتع لأنها متفقة وآية الأزواج فإن المتعة زوجة كذلك دل على ذلك فيما دل قول ابن مسعود (رض): رخص لنا رسول الله أن نتزوج المرأة بالثوب.. الخ. وقول علي(ع) - كما تقدم ذكره عن تفسير الطبري -: «لولا نهي عمر لما زنى إلى شقي» فهي إذا زواج. كذلك أضف إليه ما ذكره الزمخشري في تفسير آية المتعة أن الرجل كان ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب ثم يسرحها، وإنما سميت متعة للاستمتاع بما يعطيها وأن

هذه الآية محكمة وليست منسوخة». إلى نحو ذلك وغيره مما يؤكد أن المتعة زوجة كذلك بحسب ما عين لها من شروط.

ومما وفقت إليه - والشكر لله - نظم خلاصة ذلك في خمسة عشرة بيتاً من المتواضعة الألفين الفقهية ج٢ ص١٠٨-١٠٩ منها:

وقول (أمتعتك نفسي بكذا ... لمدة معلومة) ذا يحتذى
لدى زواج متعة فأنت قل ... قبلت هكذا خلية تحل
ولا تحق متعة إنفاقا ... أو إرثاً أو قسمة أو اطلاقا
إلا إذا يكون ذا قد اشترط ... فالمؤمنون بالشروط ترتبط.. الخ

ولم تكن المتعة وحدها لا تحق النفقة فالناشز بالدائمي لا تحقها، كما وليست وحدها لا ترث ففي حالات للدائمية لا ترث كالكافرة والقاتلة والمعقود عليها في المرض وإذا مات المعقودة له ولم يدخل بها.

وهنا حالة خروج عن الزوجية ومع ذلك ترث وهي المطلقة مع خروجها من العدة ترث حتى انتهاء الحول فمسائل الميراث إذا لا تتقيد بالزوجة فأحكام ذلك ترتبط بحالات معينة سلباً وإيجاباً.. الخ.

ومما يذكر هنا ما جاء في كتاب يسألونك للشرباصي أن رجلاً قال لآخر كانت ابنته جالسة إلى جنبه وقد دار الحديث عن المتعة فقال له: زوجني ابنتك هذه بالمتعة فأحرجه، وأحرج البنت على حد قوله، في حين أن هناك فرقاً كبيراً بين الشيء غير المشروع وبين المشروع يتحرج منه بعضهم لسبب اجتماعي أو نحوه. كتحرجهم من تزويج رسول الله (ﷺ) زيد بن حارثة (رض) مولاه من زينب بنت جحش (رض) ابنة خالة رسول الله (ﷺ). ثم تزوجه (ﷺ) منها بعد أن طلقها زيد. وكتزويج الإمام زين العابدين (ع) أمه الرضاعية من مولى له. مع أن هذا وذاك مشروع. مع ما في ذلك المجتمع من تحرج حكم بإزالته إذ نزلت الآية ٣٧ سورة الأحزاب في ذاك: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وأتبع هذا الجملة من الآية بجملة ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ..﴾ الخ.

وعليه فلا مكان للحرج الذي ذكره الشرباصي عن الرجل وابنته ولا لما من هذا القبيل حيث يتحرج بعضهم من أن يزوج ابنته وهو غني من ابن أخيه الفقير. أو من فلان ليس من قبيلته أو مذهبه. كما يتحرج بعضهم من المتعة مع كونها مشروعة - كما تقدم بيانه - ولا يتحرج من الزنا. حتى لقد أخبرني بعضهم أنه اجتمع بامرأة خلية وقال لها قولي متعتك نفسي لمدة كذا بمهر كذا - يعني زواج المتعة، لأقول: قبلت فيدفع الحرام بالحلال - فعابت عليه المرأة ذلك ولم ترضه ورضت بالزنا.

وأغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب عقائد إسلامية من تسرع رجل متطرف قال بحدة ما نصه: (الشيعة يجيزون زواج المتعة والزنا خير منه وأفضل - على حد تعبيره -).

وإذا كان قد بلغ ببعضهم الحال إلى النظر للمتعة بهذا النظر مع أنها مشروعة كما تقدم تحت أضواء الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح. فكيف إذا نظروا إلى ما ذكره الإمام الشعراني في كتابه الميزان في باب الزنا ما نصه: (اتفق الأئمة على أن من استأجر امرأة ليزني بها ففعل فعليه الحد إلا ما يحكى عن أبي حنيفة من قوله لا حد عليه).

ذكر هذا فيمن ذكره الإمام الغزالي في كتابه المنخول ج١ ص٣١ وأتبعه بتعليقه نصها: (ومن يبغي البغاء - يعني الزنا بمومس - كيف يعجز عن استئجارها. ومن عذيرنا ممن يفعل ذلك).

ومما يجاب عليه أن هذا ما أفتى بعضهم بإجرائه فيمن يدعون بـ السكرتيرات.

وأكثر من هذا حصل، ومن ذلك الفهم السقيم الذي فهمه من الآية ٥ و٦ المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ فضم إليها حديث الناس مسلطون على أموالهم ومادة الدبر أحد المأتيين ومادة الاضطرار فأجاز بعضهم وطء الذكور

وممن ذكر ذلك صاحب كتاب مختصر العلم والعمل، وهو من علماء السنة وليس من الشيعة ذكر في ص٢٠٣ بعد أمور يؤسف لها. قول أحدهم:

وجائز نيلك غلام أمرد لا سيما للرجل المجرد

هذا إذا كان وحيداً في سفر ولم يجد أنثى تفي عن الذكر

علماً بأن تحريم اللواط أشهر من أن يذكر، ولقد غاب عن هذا القائل أو تعمد هذا تبعاً لهواه وأمثاله. أن حديث الناس مسلطون على أموالهم وفق ما شرع الله، وأن مادة أحد المأتيين جوزها بعضهم في الإناث دفعاً للواط في الذكور ولم يجزها آخرون - وهم أهل الصواب - لما فيها من ضياع النسل إضافة إلى كونها على العكس مما أمر الله كما تقرر الآية: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني القبل وأن الله لا يأمر بما فيه الضياع فضلاً عما فيه الضرر وسيأتي الحديث عن ذلك في الموضوع القادم.

ويتذرع القائلون بجواز أحد المأتيين بمادة الاضطرار علماً بأن الاضطرار إنما جاز فيما فيه سد الرمق أو دفع الخطر لا في هذا المورد فإنه مأمور بالعفة لقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..﴾ الخ.

وهذه الآية إن عنت المهر في قول فإنها شاملة للمهر والوطء. وفي الحديث: (من يجد الباءة فليتزوج ومن لم يجد فليصم فإن في الصوم وجاءً له).

والمتعة زواج - كما تقدم بيانه - فهو داخل في نطاق هذا الحديث في مادة فليتزوج، ولذلك كان الأمر بالمتعة على عهد رسول الله وأبي بكر وشطر من عهد عمر. فأخذ من أخذ بنهيه ولم يأخذ من لم يأخذ ولا داعي للقال والقيل. والتماس المبررات لتركها: كقول بعضهم أن فيها ضياع النسل وعدم استقرار المرأة بالزواج المؤقت هذا، المتعة كاستقرارها بالدائم.

فهذه الشبهة مردودة بما تقدم ذكره من مراعاة ابن المتعة وإلحاقه بأبيه وإرثه من الأبوين. وما إلى ذلك.. الخ، وأما بالنسبة للمرأة فإن استقرارها غير

مرتبط بكلا العقدين الدائم والمتعة وإنما هو مرتبط بما تقرره هي أو هو، فكم من ذات عقد دائم لم يكن لها استقرار.

إن المذاهب الإسلامية عامة لا تجد مانعاً في تزويج مستطرق مسافر بالعقد الدائمي وغالباً ما تمتنع الزوجة من السفر معه، أليس في الزواج بالعقد المنقطع المتعة مجال أكثر لتقرير مستقبل المرأة بشكل مرضي أكثر إن وافقت على الذهاب معه وإلا فانتهاء مدتها تصبح حرة في أن تلك تبقى في مشكلة إن رفضت الذهاب معه ورفض طلاقها. فتبقى معلقة أو تذهب معه مرغمة وكم جر ذلك إلى مشاكل ربما تكون أوسع من مشاكل الطلاق بالثلاث والتجحيش عند بعضهم. . الخ.

ولئن أجاز عمر (رض) الطلاق بالثلاث، ومضى على ذلك زمن طويل، ومنذ قريب ألغي رسمياً عند معظمهم - كما سيأتي في موضوع الطلاق تحت هذه الأضواء. فكذلك المتعة نجدها اليوم ميسورة عند السنة في الهند ونحوها أكثر بكثير جداً عما هي عند بعض الشيعة وقد تقدم ذكر كل من المالكي والحنبلي في جوازها اضطراراً والحنفي استئجاراً.

ومما يذكر هنا ما قاله أستاذ جامعة أمريكي اسمه نويل برين ونشرته جريدة الفجر الظبيانية عدد ٢٤٨٠ تاريخ الأحد ١٦/ج٢/١٤٠٦هـ ٢٦/ يناير/ ١٩٨٦م. ما نصه: (أعتقد أن مجتمعنا بحاجة إلى تطبيق نظرية الزواج بعض الوقت وذلك من أجل علاقة أسعد).

ويعتبر الأستاذ المذكور ممن درس الموضوع ودعا إليه وطبقه و. . الخ.

وفي إفريقيا ما يعرف بالزواج الداموسي وهو الزواج المؤقت أيضاً نشرت عنه مجلة المقتطف المصرية.

ويمتاز على هذا وذاك ما تقدم بيانه من الزواج المؤقت (المتعة) لمشروعيته وأحكامه الكفيلة بضمان حقوق وسعادة الطرفين تحت هذه الأضواء.

جواب عن وطء الزوجة في دبرها أيجوز أم لا..؟

مما في القرآن قوله تعالى: ﴿نِساؤُكُم حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ آية ٢٢٣ سورة البقرة.

وقد فسرت الإتيان المقصود في (فأتوا) آية قبلها – وذلك على ما بدا لي والله أعلم – أبلغ في التشخيص إذ تقول ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ – إلى قوله – ﴿فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ قد أمر سبحانه بإتيانهن من القبل لما يلي:

١- لدلالة كون المحيض من القبل.

٢- ولأنه المقصود بقوله ﴿فَإِذا تَطَهَّرْنَ﴾ بدلالة طهره بانقطاع الدم وإجراء الغسل وقيل يكره قبل الغسل.

٣- دلالة أن الحرث يطلب أن يكون حيث ينبت الزرع فيجب أن يكون الوطء حيث يكون النسل.

٤- ولأن ﴿أَنَّى﴾ في الآية المذكورة هي: أنى الزمانية. لا المكانية. ومعنى ذلك متى ما شئتم بناء على ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ ووطوء الدبر نهى الله عنه أشد النهي وعاقب عليه قوم لوط (ﷺ) أشد العقاب. لما ينجم عنه عدة أضرار منها نفسية ومنها خلقية ومنها.. ومنها. مما يطول الكلام بذكرها ويبعدنا عن أصل الموضوع.. ولو لم يكن من الإضرار سوى هدر الطاقات في غير محلها لكفى رداً على من جوز ذلك. وإن كان – على حد تعبير المجوزين – بكراهة أو كراهة شديدة والكراهة العادية تركها أولى، والشديدة مقاربة للحرام.

والغريب أنهم اتهموا الشيعة في جواز ذلك – علماً أن ليس كل الشيعة تقول به – وليس القائلون به من الشيعة وحدهم دون بعض السنة أيضاً. فهذا الإمام

مالك الذي ينتمي إليه المالكيون يقول به كما في كتابه الموطأ. باب النكاح ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر و. . الخ.

كما وكفى رداً على من جوزوا ذلك من الطرفين -أعني بعض الشيعة، وكل المالكيين السنة- كفاهم رداً على ما ذكروه عن أستاذ المذاهب جعفر الصادق(ع) أنه قال: لا يفعله إلا أراذل شيعتنا.

وتعريف الأراذل - لغة - هم الناقصو الأقدار أهل الضعة والخساسة. وفي تعريف: مفرد الأراذل رذل وهو: النذل الدون الخسيس، ونحو ذلك مما ذكروا لاحظ اللغة ومجمع البيان في تفسيره الآية المذكورة. ومما يذكر قول صاحب المجمع المذكور (وبه قال كثير من أصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء قالوا إن الحرث لا يكون إلا بحيث النسل فيجب أن يكون الوطء كذلك، فأجيبوا على ذلك بأن النساء وإن كن حرثاً لنا فقد أبيح لنا وطوءهن بلا خلاف في غير موضع الحرث كالوطء فيما دون الفرج وما أشبه). وهنا ملاحظة هاكها بإجمال فيما يلي:

١- قول كثير من أصحابنا. مردود عليه من نفس كلامه هذا لجملة وخالف في ذلك جميع الفقهاء. فإن لفظ جميع ليعلو على ما قبله قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ آية ٣٢ يس، ونحوها من الآيات. . الخ.

٢- ما ذكره عنهم بعبارة أبيح لنا وطوءهن بلا خلاف في غير موضع الحرث - وذكر ما دون الفرج ولا يبرر وطء الدبر. فدون الفرج ما بين الفخذين مثلاً - وإضافة جملة وما أشبه. دلت على ما قبلها على الالتواء والتكلف. هذا مع احترامنا لهم. وعليه فالقول الأول هو الذي عليه المعول. أعني إتيانهن من حيث أمر الله كما في الآية المذكورة. وفي أخرى ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ آية ١٨٧ البقرة، وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بما كتب الله لكم: الذرية. والدبر لا ينتج ذرية، وهذا هنا مما به كفاية.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن الطلاق وهل الثلاث واحدة أم ثلاث..؟

١ - أفردت للطلاق سورة بين سور القرآن. وجاء ذكره في ثلاث سور أخرى منه هي:

أ - البقرة الآيات المبتدئة بآية ٢٢٧: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ..﴾ إلى آية ٢٣٢ المختتمة بـ: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ حيث تتحدث ثلاث آيات بعدها عن الرضاع وغير ذلك بالمناسبة ثم يعود الحديث عن الطلاق في آية ٢٣٦ و٢٣٧ وبعد آيات ثلاث تتحدث عن شيء من الصلاة والأزواج والوصايا. يعود الحديث عن الطلاق في آية ٢٤١ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وينطلق التحدث بعدها عن أمور أخرى.. الخ.

ب - سورة الأحزاب آية ٤٩: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ..﴾ الخ.

ت - سورة التحريم آية ٥: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ..﴾ الخ.

أما سورة الطلاق فتبدأ بآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ..﴾ الخ. آية ١ سورة الطلاق.

والطلاق كما في الحديث النبوي: «من أبغض الحلال إلى الله». وإنما يوقع عندما يتعذر الوفاق بين الزوجين ببذل الوسائل المختلفة وبشروطه المعينة.. الخ.

عزيزي القارئ، من بين الآيات الواردة في الطلاق آية: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ آية ٢٢٩ و٢٣٠ سورة البقرة. مما قاله أئمة التفسير

عنها وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الزمخشري في تفسيره الكشاف. المراد به تطليقة بعد أخرى على التفرق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة فالمراد به المرة بعد الأخرى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي كرة بعد كرة - إلى قوله - ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الطلاق الموصوف بالتكرار بقوله ﴿مَرَّتَانِ﴾ فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين الأوليين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي من بعد الطلاق الثالث ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾. وفي التفاسير الأخرى نحو هذا. . الخ.

وعليه. إذا كان على هذا الأساس فسرها جميع المفسرين وهو المتبادر إلى الذهن إضافة إلى كونه عليه العمل في عهد رسول الله(ﷺ) وأبي بكر (رض) وشطر من عهد عمر (رض) ثم حدث القول بالإعراض عن ذلك إلى جواز إجرائه مرة واحدة بالثلاث «أنت طالق ثلاثاً». ومضى على هذا القول زمان طويل عند أئمة المذاهب الإسلامية وأتباعه عدا الشيعة فإنهم كانوا ولا يزالون يجرونه على ما كان عليه في عهد النبي(ﷺ) وأبي بكر وشطر من عهد عمر (رض) ثم عدل بعض أهل المذاهب الإسلامية الأخرى منذ قريب جداً إلى ما عليه الشيعة من إجرائه على ما كان عليه في تلك العهود فصار يجري رسمياً بذلك في معظم الدول العربية والإسلامية اليوم. فكيف كان ذلك. . ؟

فإليك الجواب من كتب الذين أجروه على غير ما كان عليه في تلك العهود ثم عدلوا عنه إلى ما كان عليه فيها مع احترامنا للجميع.

١ - جاء في صحيح مسلم (ره) ج٢ ص٥٧٥ باب الطلاق بسنده عن أبي الصهباء (رض) أنه قال لابن عباس (رض) هات من هناتك ألم يكن الطلاق على الطلاق الثلاث واحدة على عهد رسول الله(ﷺ) وأبي بكر (رض) فقال: «لقد كان ذلك فلما كان في عهد عمر(رض) تتابع الناس الطلاق فأجازه فيهم» وفي صحيح مسلم أيضاً في نفس الباب

المذكور عن ابن عباس (رض) بأسانيد كلها صحيحة قال: كان الطلاق على عهد رسول الله(ﷺ) وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر(رض): «إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم. . ».

ونحو هذا ما أخرجه البيهقي في سننه ص٣٣٦ ج٧ وأبو داود في كتاب الطلاق في سننه. والحاكم في مستدركه على الصحيحين البخاري ومسلم فيما لخصه عنها من باب الطلاق ص١٩٦، كذلك أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج١ ص٣١٤ وجاء ذلك فيما ذكره كل من ابن تيمية وابن القيم (ره). . كما سيأتي في مناسبة أخرى في موضوعنا هذا نفسه بعد قليل مع ما إلى ذلك. . الخ.

فمما يقدم ذكره هنا هو ما أخرجه النسائي في سننه في باب الطلاق بسنده أن رسول الله(ﷺ) أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً. فقام(ﷺ) غضباناً ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم. حتى قام إليه رجل وقال: يا رسول الله ألا نقتله. . الخ.

ومما في هذا الباب ما جاء في كتاب السيرة النبوية لابن اسحاق ج٢ ص١٩١ بما أخرجه كل من النسائي وأبي داود والبيهقي في سنن كل منهم والحاكم في مستدركه. ونشره بمناسبة الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار المصرية ج٤ ص٢١٠ بأسانيدهم أن الصحابي ركانه (رض) طلق زوجته ثلاثاً في مجلس واحد. فسأله رسول الله(ﷺ): «كيف طلقتها؟ فقال: ثلاثاً، قال(ﷺ): في مجلس واحد؟ قال: نعم. قال(ﷺ): فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت».

هذا مما يعطي أكثر من صورة عن الطلاق في الصدر الإسلامي الأول وما حدث عليه حتى العودة به عند الجميع، منذ قريب إلى ما كان عليه في ذلك الصدر واحتفاظ الشيعة به فيما احتفظوا حتى اليوم مما يبعث الأمل بالتنبه إلى

جميع ما اختلف فيه سواء من هؤلاء أو من هؤلاء ورده إلى أصله فيعم الوفاق. فإليك بعدما تقدم عدداً ممن قرر ذلك ونفذ فيما يلي:

٢- قال ابن القيم في رسالته الفقهية باب الطلاق بعد ذكره ما كان عليه في الأصل قال ما نصه: (ولكن أمير المؤمنين عمر (رض) رأى أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق وكثر إيقاعه بينهم جملة واحدة ورأى من المصلحة عقوبتهم بإمضائه - إلى أن قال -: «فهذا مما تغيرت به الفتوى وعلم الصحابة حسن سياسة عمر وتأديبه رعيته في ذلك فوافقوه».

وعن إرجاع الطلاق إلى ما كان عليه على عهد رسول الله(ﷺ) قال: «إن الزمن قد تغير أيضاً وأصبح إيقاع الثلاث بكلمة واحدة مدعاة لفتح باب التحليل الذي كان مسدوداً على عهد الصحابة (رض»).

وضم ابن القيم (ره) قوله إلى قول ابن تيمية (ره): «بأنه لو رأى عمر عبث المسلمين في تحليل المبانة لمطلقها ثلاثاً لعاد إلى ما كان عليه الأمر على عهد رسول الله(ﷺ)، وأن ما أبداه ابن تيمية من الملاحظات القيمة قد كان مدعاة لعودة المحاكم الشرعية في مصر الآن إلى ما كان عليه الحكم في عهد رسول الله(ﷺ) عملاً بقاعدة تغير الأزمان».

وهذا مما يبعث الأمل في ملاحظة تغير الأزمان - وإن كانت هذه القاعدة فيها كلام - يبعث الأمل في ملاحظة ذلك في عموم وخصوص ما بين المذاهب الإسلامية بمن فيهم الشيعة وغيرهم في تعامل بعضهم مع بعض فاليوم غير الأمس؛ ومن ذلك إن فرض رأي بعضهم على بعض بالعنف أصبح أمراً ليس لأنه غير مقبول فحسب بل يعكس رد فعل أكثر مما سبق سيما وقد وضحت الحقائق.

وهذا الأسلوب الذي استعمله ابن القيم وأستاذه ابن تيمية في هذا الخصوص ونحوه يحسن أن يستعمل في غيره أيضاً. منهما ومن نحوهما.. حتى اليوم.. الخ، من أي الأطراف كان. فمع احترامنا للجميع، قد لا

يسلم من المؤاخذة ورد الفعل أسلوب الأستاذ المصري المعروف خالد محمد خالد في كتابه الديمقراطية ص١٥٠ بعد ذكره لأمور من هذا اللون قال ما نصه: «وبينا الطلاق الثلاث في مجلس واحد يقع واحداً بحكم السنة والإجماع جاء عمر فترك السنة وحطم الإجماع».

هذا بينما نرى مثلاً الدكتور الدواليني في كتابه أصول الفقه، ص٣٤٦ وما بعدها ما نصه: «ومما أحدثه عمر (رض) تأييداً لقاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان - على حد تعبيره - هو إيقاعه الطلاق الثلاث بكلمة واحدة مع المطلق في زمن النبي(ﷺ) وزمن خليفته أبي بكر وصدراً من خلافة عمر كان إذا جمع الطلقات بفم واحد جعلت واحدة كما ثبت ذلك في الخبر الصحيح.. الخ».

ونحو هذا الأسلوب ما ذكره الدكتور الشرباصي في كتابه يسألونك، ج٦ ص١٤٥ من تعبير بعضهم إذ قال ما نصه: «وقد قسم الفقهاء الطلاق إلى قسمين»:

١ - طلاق سني وهو ما وافق السنة ولم ينحرف عن سواء السبيل.

٢ - وطلاق بدعي، وهو ما كان مخالفاً لروح الشريعة ومبتعداً عن صراط السنة.

وملخص ما ذكره من تفصيل هو: أن الطلاق السني تطليقة واحدة تكون في طهر لم يمسها منه والبدعي ثلاث طلقات دفعة واحدة. أو يطلقها في حالة حيض أو في طهر جامعها فيه. ومما يذكر أن الشرباصي المذكور لطف الأسلوب. بنحو من أسلوب كل من ابن تيمية وابن القيم ونحوهما.

في هذا الموضوع الأسلوب غير المتوتر الذي يجمل أن يكون في كل ما فيه خلاف ليعود الائتلاف لقد لطف الأسلوب بما ذكره عن نفس الكتاب المذكور ج٧ ص٧٦ من تقرير قانون الأحوال الشخصية بمصر ما نصه: «الطلاق بالثلاث في مجلس واحد يعتبر طلقة واحدة وأن هذا مستمد من أفعال فقهاء

الأمة ، وإن ما روي عن سيدنا عمر (رض) من اعتباره ثلاثاً كان ذلك منه تأديباً للمطلق ، ونهياً عن التلاعب بألفاظ الطلاق والاستهزاء بشرع الله تعالى . . » . .

وعليه فليوص بعضنا بعضاً بحسن الأسلوب في الاعتراف بالخطأ لكي ينال الجميع نعمة الرجوع إلى الصواب بما فيه ذلك اشتراط الطهر ، فمما جاء في كتب السنة في ذلك ما جاء في صحيح مسلم ج١ ص٥٧١ عن عبد الله بن عمر (رض) أنه طلق زوجة له وهي حائض تطليقة واحدة فأمره النبي(ﷺ) أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر ، ثم إن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء و . . الخ .

وفيما وفقت له نظمي الطلاق وما إليه من أحكام بما فيها ما تقدم ذكره وبما فيها عدم وقوعه في حال الغضب ونحو ذلك وغيره . . الخ . في أرجوزتي الألفين في الفقه . في ٤٩ بيتاً بشكل ملم مفيد .

فراجعه إن شئت وإلا فيما تقدم ذكره هنا كفاية ففيما فيه حسن الأسلوب لنيل المطلوب :

وقد نهى عن الطلاق ربنا إلا إذا الإصلاح ليس ممكنا . . الخ[1]

إن أسلوب حسن ظن وعذر ورجوع إلى الصواب ارتقاء[2]

(١) ج٢ ص١١٥-١١٨

(٢) من قصيدة من ديواني الثاني عوالم وقمم.

مسألة ما يحرم بالرضاع والأخذ بما عليه الشيعة في ذلك

مما جاء في القرآن: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ آية ٦ سورة الطلاق. وفي سورة البقرة آية ٢٣٣: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ..﴾ الخ.

فيما في هاتين الآيتين جواز إرضاع الرضيع من غير أمه. وفي الآية ٢٣ سورة النساء: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾.

هذه الآية فيما فيها في معرض التحريم تحريم نكاح المرضعة. فقد أنزلها منزلة الأم، وتحريم نكاح التي رضع من أمها. أو رضعت هي من أمه بلبن واحد. ويجري ذلك فينسل كل منهما. في تفصيلات أحكام. كذلك بالنسبة إلى الرضاعة بوجه عام أو خاص أحكام. في كتب الفقه والحديث وما إلى ذلك. . الخ. حيث أوكل الله سبحانه فيما أوكل نبيه تفصيل ما انطوى عليه مجمل الآية المذكورة كغيرها من المجملات ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ..﴾ الخ.

وجاء دور المذاهب الإسلامية فتوسع بعضهم في ذلك وضيق بعضهم حتى أن الإمام مالك (ره) قال: يحرم بالرضاعة من قطرة واحدة. جاء ذلك في الموطأ باب الرضاعة.

لقد ذكر الشيخ الأكبر لجامع الأزهر محمود شلتوت في كتاب الفتاوى اختلافات المذاهب في ذلك فمنهم من ذهب إلى القول بأن المحرم ما بلغ خمس عشرة رضعة ومنهم من قال بسبعة ومنهم من حرم ما فوق الخمس عدا مالك الذي خالف النص وحرم قطرة واحدة وأنا - يعني نفسه - أميل إلى أوسط الآراء فأقول بسبع فما فوق.

ومما يذكر أن خلاف ما قاله مالك ما جاء في صحيح البخاري باب الرضاعة بسنده عن عائشة (رض) قالت: توفي رسول الله(ﷺ) ولم يحرم من الرضعات إلا خمس فما فوق. ونحو هذا ما جاء في صحيح مسلم وبداية المجتهد لابن رشد وزاد المسير لابن الجوزي وغيره من كتب السنة بعضها زاد على العدد المذكور وأقصاه ما أشار إليه الشيخ شلتوت في كتابه آنف الذكر وهو خمس عشرة وهو ما عليه الشيعة وممن أيدهم من السنة من ذكرهم الدكتور التيجاني في كتابه ثم اهتديت، ص١٨٢-١٨٣ في قضية وقعت في تونس أجروا بعد مشادة واطلاعهم على ما في كتبهم وما عليه من الصواب للشيعة فيما ذهبوا إليه من أحكام الرضاع.

وفيما وفقت نظم ذلك وما إليه في أرجوزتي المتواضعة الألفين الفقهية ج٢ ص١١٠-١١١ في ١٥ بيتا، منها:

والرضع بالمص من الثدي اعتبر ... وفي عدا الحولين لم يكن يقر

أو بتوالي خمس عشرة ورد ... فذا انتساب دون توريث يعد

بأن يكون الرضع ذا عن امتلا ... وعدد بالوصف ذا أن يكملا . .

فراجع الأرجوزة المذكورة إن رمت المزيد. مما يجعلك في اطمئنان أكثر في أخذك عني أهل البيت الطيبين الرضاع وإضافة إلى كون الرضاع ينزل المرضعة منزلة الأم. والرضيع والرضيعة منزلة الأخوين مما يحرم النكاح. . فإن الرضاع - كما جاء في حديث - الرضاع يغير الطباع وعلى أساس ذلك نظمت ما يلي:

اعلم بأن للرضاع الأثر ... في الطفل والطفلة إذ ينتشر

فانظر لمن تختارها رضاعا ... فإنه يغير الطباعا و. . الخ

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسالة القوة البدنية الاعتيادية والقوة الخارقة

مما في القرآن ما جاء في الآية ٣٨-٤٠ سورة النمل: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ - إلى قوله - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي..﴾ الخ.

القوة البدنية البشرية يستحيل عليها قلع عرش بكامله ونقله إلى مكان آخر بعد أم قرب دون أن يسقط منه شيء أثناء النقل. وبسرعة. فإذاً، وراء هذا القضية قوة أخرى.

إن هذه الآيات تحمل فيما تحمل في طياتها - التعريف بقوتين - أو قدرتين بعبارة أخرى.

١- القوة الخارقة التي يستعملها بعض الأنبياء وبعض من إليهم، في ظروف خاصة.

٢- القوة الجسمية عند غير البشر كما ورد في الآية: ﴿عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ الخ وتأتي بعد هاتين.

٣- القوة الجسمية الاعتيادية: نحو ما ورد في ذي القرنين في الآية ٩٥ سورة الكهف: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا..﴾ الخ.

هذا كان عن طريق القوة الجسمية. وهي تتفاوت شدة وضعفاً. فهي في هؤلاء أقوى من الذين ما استطاعوا أن يظهروه الخ.

يتلخص مما تقدم، استخدام الإنسان طاقاته الجسمية وما إليها. في الظروف والحالات الاعتيادية، واستخداماته الخارقة. سواء كانت معجزة لنبي، أو عن طريق غير البشر مما هي عند البشر خارقة نحو ما جاء في (عفريت من الجن). أو عن طريق روحاني، أو لاهوتي بعبارة أخرى. لنبي، أو لغير نبي سواء كان ذلك عائداً لأمر أو رغبة النبي، أم كان ذلك عائداً لإرادة مستخدمها شخصياً. أو لطلب آخر استجاب إليه و. . . إلخ

وإليك مثالين من ذلك في شخص واحد هو علي بن أبي طالب أول المؤمنين برسول الله(ﷺ) والمجاهدين بين يديه. وإلى آخر ما يتمتع به من صفات وفعاليات ليس لها نظير.

مثلاً: لقد أجمع المؤرخون أنه قلع باب خيبر الذي كان يفتحه أربعون أو سبعون رجلاً ويغلقه كذلك.

المقصود بالأربعين أشداء الرجال والسبعين العاديين منهم. وقد نظمت في ذلك الأشعار منها لحسان بن ثابت (رض):

إن امرأ حمل الرتاج بخيبر	يوم اليهود بقدرة لمؤيد
فرمى به ولقد تكلف رده	سبعون شخصاً كلهم بتشدد
ردوه بعد تكلف ومشقة	فقال بعضهم لبعض اردد. . الخ

يشير فيما يشير إلى قول علي(ع) نفسه: قلعت باب خيبر بقوة لاهوتية لا بقوة جسدية و. . الخ، وعلى هذه فقس ما سواها. . الخ. كما وأجمع المؤرخون أن علياً وضع أفراد حمائل سيفه في عنقه وقادوه إلى المسجد ليبايع. وكان من أيسر ما يكون عليه دفعهم عن نفسه - بالقوة البدنية - التي قابل بها الأبطال العظام في بدر وأحد وحنين والأحزاب وخيبر وغيرها. . الخ. فضلاً عن القوة اللاهوتية. فلم يفعل ذلك. لأن كل فعل - وخاصة من حكيم كعلي - لا يوقع إلا في ظرفه ودواعيه الخاصة.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسألة القيادة العسكرية والقائد الأعلى ومن دونه

مما في القرآن ما جاء في طالوت: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ..﴾ الخ، آية ٢٤٩ سورة البقرة. فصل في قوله: (فلما فصل) لغة: القطع. و(طالوت) أحد القواد الذين كانت لهم لياقة وأهلية للقيادة العسكرية و(الجنود) جمع جند والفرد من الجند جندي. وفصل: طالوت بالجنود سار بهم وقطعهم من موضعهم.

والأهلية التي عند طالوت وضعها القرآن بعبارة (بسطة في العلم) وعطف على العلم: الجسم في البسطة وهي الزيادة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ..﴾ الخ. آية ٢٤٧ سورة البقرة. وهذه الآية تفيد فيما تفيد ما يلي:

١ - أن القائد في شرع الله تعالى يكون باصطفاء منه سبحانه.

٢- ميزة العلم فلا يكون جاهلاً فتفشل قيادته، وأن يكون مع العلم تقى وإلا لما وصفه الله به.

٣- اللياقة الجسمية أو القيافة المناسبة بعبارة أخرى ليكون مهاباً في جنده وأمام أعدائه أي لا يكون ذميماً بحيث يزدرى في العيون، ويهون في النفوس.

والقادة العسكريون على قسمين:

١ - قائد أعلى: والقائد الأعلى في شرع الله هو النبي. وهو بتعيين الله.

٢ - قائد يعينه النبي سواء كان عن تعيين الله، أو عن تعيينه الخاص لأمور معينة فإنها كذلك لا تخرج عن امتثاله لأمر الله، حسب الظروف والأحوال المختلفة أو للاختبار كذلك.

وعلى النبي أن يشيد بالقائد الذي يؤدي للقيادة حقها تقديراً له وتشجيعاً لغيره.

كما وعليه أن يحدد موقفه من القائد الذي يقع منه أو يقع في انحراف غيره. فيوبخه ويتبرأ من سوء تصرفاته ثم يوجهه من جديد أو يعزله. ليكون عظة وعبرة لغيره - كما فعل(ﷺ) وسيأتي ذكره. فإن لم يحدد القائد الأعلى موقفه ممن دونه من قائد أساء التصرف. فإن ما قد يحققه من فتح، لا بد أن تعقبه نكسة في يوم من الأيام كما حدث فعلاً. وخاصة في معظم القيادات التي كانت بعد عصر النبي(ﷺ) حتى عصرنا هذا.

وإليك من الأمثلة الكثيرة مثلين مما كان - وليس كل ما كان - في عصر النبي(ﷺ) ممتداً إلى عصر يليه مباشرة فضلاً عما كان بعده من عصور فذلك مما يؤلف أكثر من كتاب ضخم أيضاً.

١ - المثال الأول: علي بن أبي طالب(ﷺ) فمن أخباره في ذلك - وليس كل أخباره - أنه لما صرع عمرو بن ود العامري بطل الشرك كله. وجلس على صدره طلب إليه عمرو أن لا يسلبه حلته. فأجابه إلى ذلك. ولما مرت عليه أخته عمرة ورأته على حالته في حلته وبردته ودرعه وسيفه قالت من قاتله؟ فقيل لها: علي بن أبي طالب. قالت: كانت أمنيته أن تكون منيته على يد رجل كريم. والله ما سمعت بأكرم من هذا يا بني عامر ومن كرمه أنه قتله وما سلبه. وأنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد

ولما عاد علي منه ومعه رأسه، أخذ يتبختر في مشيته. فقال بعضهم لرسول الله(ﷺ): أما ترى علياً كيف يتبختر في مشيته. وقد نهى الله ونهيت عن التبختر والاختيال.. فأجاب(ﷺ): إنها مشية لا يمقتها الله في مثل هذا المكان.

وسئل علي(ﷺ) عن توقفه بعض الوقت عن قطع رأس عمرو فقال(ﷺ): إنه شتم أمي فغضبت وصبرت حتى سكن غضبي فذبحته غضباً لله لا غضباً لي.

وكان النبي(ﷺ) قد قال في علي(ع) ساعة برز إلى عمرو برز الإيمان كله إلى الشرك كله. وقال(ﷺ) بعد ضربة علي عمرو: ضربه علي يوم الخندق لعمرو تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة. وعلى هذا فقس ما كان له في مواقفه البطولية الأخرى

هذه من علاه إحدى المقالي وعلى هذه فقس ما سواها

أضف إلى ذلك أنه لم يتبع منهزماً ولم يجهز على جريح وصنع يوم فتح البصرة ما صنعه رسول الله(ﷺ) في فتح مكة من عدم التعرض للنساء والذراري والبيوت وأصدر كما أصدر رسول الله(ﷺ) في مكة العفو العام. و. . إلى آخر ذلك مما يحبب القائد حتى إلى حساده وأعدائه ويعطي السمعة الحسنة لرسالته. وعلى العكس من ذلك.

٢- المثال الثاني خالد بن الوليد - ومن أخباره وليس كل أخباره - مما أجمع عليه المؤرخون ومن إليهم حتى من دعوه بسيف الله والتمسوا له المعاذير التي رفضها حتى مسيره بعد النبي(ﷺ). وكان موقف عمر بن الخطاب منه ذلك الموقف السلبي كما سبق ذلك من النبي(ﷺ) أيضاً. هاك مما جاء فيه عن صحيح البخاري (ره) ج٤ ص١٧١ بعثه النبي(ﷺ) إلى بني جذيمة ليدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتالهم فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا. فأخذ خالد يقتل ويأسر بهم وأمر أصحابه بقتل الأسرى وامتنع بعضهم عن ذلك لما تبين لهم أنهم أسلموا. ولما رجعوا إلى النبي(ﷺ) ذكروا له ذلك فقال: اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد قالها مرتين.

وبعث علياً إلى بني جذيمة ومعه مال فودى لهم الدماء أخذ منهم من مال حتى ميلغة كلب. واستقبل النبي(ﷺ) القبلة - كما في سيرة ابن هشام أيضاً ج٤ ص٥٣ وطبقات ابن سعد وأسد الغابة ج٣ ص١٠٢ - حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه شاخصاً ببصره إلى السماء قائلاً: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ثلاث مرات.

ومما كان له بعد النبي(ﷺ) قتل مالك بن نويرة وقد ضيفه ومن معه ولم يقف إلى هذا الحد بل زنى بزوجته ووضع رأسه تحت القدر وفي اليمامة تزوج بنتاً ولم تجف بعد دماء المسلمين ولا دماء أتباع مسيلمة وقد عنفه أبو بكر على فعلته بأشد ما عنفه على فعلته مع زوجة مالك بن نويرة - ذكر هذا الدكتور التيجاني في ص١٥٨ عن كتاب الصديق للأستاذ هيكل - كما ذكر ما تقدم أيضاً، ونحوه ما ذكره الطبري في تاريخه ج٣ ص٢٥٤ وتاريخ الخميس ج٣ ص١٤٣ و. . الخ.

وفي تاريخ ابن الأثير في حوادث عام ١٧هـ أن خالداً اغتسل بخمر في حمام حمص. ولعمله هذا ونحوه عزله عمر عن القيادة وإلا لشوهت سمعة قواد المسلمين أكثر. وعلى هذه ونحوها فقس ما جرى من بعض القادة في ذلك العصر وعصور بني أمية وبني العباس ومن جرى مجراهم حتى عصرنا هذا. مما أوقع أكثر من انتكاسة ويا للاسف فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم جنبنا التصرف غير المحمود، ولا تجعل في قلوبنا غلاً على من مضى.

في الرأيين لبعض الأنبياء وخلفائهم ورأي الحسن السلمي والحسين الثوري

مما في القرآن ما جاء في الآية ٧٩ سورة الأنبياء: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً..﴾ الخ.

مجمل القضية ما جاء في الآية التي قبلها: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ وذكرت فيما ذكرت الأحاديث النبوية وكتب التفسير أن داود حكم ببيع الغنم وتعويض صاحب الحرث بثمنها أو من ثمنها. وحكم سليمان بأن تصرف منتجات الغنم من ألبان وأصواف وبعر للسماد إلى صاحب الحرث حتى يستوفي ثمن ما خربته تلك الغنم. فيكون بذلك إيفاء صاحب الحرث، وإبقاء الغنم لصاحبها. فأمضي حكم سليمان من غير طعن بحكم داود ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً..﴾ الخ.

ومثلاً، من رأي النبي(ﷺ) قبول بيعة أبي سفيان. ومن رأي خليفته من بعده الإمام علي(ع)، رفض بيعة أبي سفيان.

وكان من رأي الحسن(ع) الصلح مع معاوية ومبايعته على ذلك ومن رأي الحسين(ع) الامتناع من أن تكون لمعاوية بيعة في عنقه وكل على حكم صائب وعلم فكان للحسن(ع) فيما يعبر به في عصرنا هذا- الخط السلمي وكان للحسين(ع) الخط الثوري فلا خلود ذاك إلى السلم وبدء هذا بالثورة حتى أقامها على يزيد بن معاوية أنهما على خطأ وقد قال فيهما من لا ينطق عن الهوى قولاً معترف بسنده وصحته عن رسول الله(ﷺ) عند جميع المسلمين. ذلك هو قوله(ﷺ): الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

يضاف إليه ما جاء من أحاديث كثيرة في كتب الطرفين في فضلهما وعلمهما وفهمهما وسائر الخصال الحميدة والسجايا المجيدة والصفات العالية؛ بما في ذلك الشجاعة، فلا يعد جبناً من الحسن(ع) خلوده إلى السلم والمصالحة. ولا تهوراً من الحسين(ع) إقدامه على الثورة والمصارحة؛ فلكل له ظروفه الخاصة وتصرفه المناسب، وقد عرفوا فيما عرفوا به الشجاعة. إنها الإقدام حيث يكون الإقدام جميلاً، والإحجام حيث يكون الإحجام جميلاً. فضلاً عن كون كل تصرفاتهما المختلفة على صواب بنص من رسول الله(ص) كما تقدم وحف ذلك النص بنصوص مماثلة. كقوله(ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

وهذا الحديث مما يفيد اشتراك السيادة بينهما. ولو لم يكونا لها أهل في الدنيا مع كون خط هذا سلمي وذاك ثوري، لما كانا أهلاً لها في الجنة ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ..﴾ الخ.

لقد ابتلي الحسن(ع) بظرف عصيب بحيث لو لم يصالح لأسلمه بعض أصحابه إلى معاوية يحكم فيه كيف ما شاء هواه العدائي الإجرامي. هذا في الوقت الذي كان فيه طلب الصلح من معاوية لا من الحسن. بعد أن أطلعه على أحوال وكتب الخائنين من أصحابه لقاء الأطماع العاجلة وعرض عليه أن يشترط ما يريده لصالحه ولصالح المجموع. وعاهده على الوفاء بذلك - ولكن معاوية لما استتب إليه الأمر لم يف بذلك - وخطب خطبته المشهورة ما قاتلتكم لتصلوا أو لتصوموا أو لتحجوا أو لتزكوا وإنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك إلا أني وعدت الحسن بمواعيد وأعطيته على نفسي عهوداً. وكلها تحت قدمي لا أفي منها بشيء. و.. الخ.

وبهذا يكون المنتصر الحسن معنوياً لا معاوية. فقد اكتشف خيانته وما إلى ذلك.. الخ، وكان الأمر كما قلت في إحدى قصائدي على هذا الأساس وما إليه:

وآض سبط رسول الله منتصراً | وعاجل النصر ينسي عاجل الظفر
أين ابن آكلة الأكباد من رجل | زانت معاليه جيد الدهر بالحلل
للصالح العام ضحى كل صالحه | وفضله لم يكن عنهم بمستتر
سبط حباه رسول الله هيبته | وزاده شرفاً في البدو والحضر . .

لقد أجمع الباحثون أنه لو لم يصالح الحسن(عليه السلام) لاستأصل معاوية بأعوانه كل أهل البيت ومن يمت إليهم بصلة . فمع الصلح بدرت بوادر ذلك من معاوية في سمه الحسن وتتبع شيعة علي ومن إليه قتلاً وحبساً وتشريداً واضطهاداً على يد زياد بن أبيه ونحوه . . الخ . ولما توقف إلى حد فكان الصلح مع معاوية مفسدة وضرر - كما وقع فعلاً - وعدم الصلح أفسد وأضر ، كما هو متوقع مئة بالمئة بما وقع فعلاً من بوادر ذلك كما تقدم ومن الحكمة والصواب اختيار أقل الضررين وأهون المفسدتين وعليه فيسقط كل اعتراض قديماً أو حديثاً كان على الحسن أو على من انتهج نهجه حتى عصرنا هذا في ظروف مماثلة .

ومما يذكر هنا مما هو مضحك مبكي ، ما سمعته من أحد الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء . وأنا أماشي يوماً سماحة السيد جمال الخوئي في صحن مرقد السيدة زينب(عليها السلام) في الشام ما أشار بحديثه إلى السيد الخوئي وإلي بنفس الوقت قائلاً : من لم يهتم بشؤون المسلمين فليس منهم ، فاستنكرت ذلك والتفت إلى السيد المذكور قائلاً له : هل سمعت ما سمعته أنا . . ؟ وهل يكون غير مهتم بشؤون المسلمين من اعتزل الأحزاب المتضاربة . وعمل عن طريق استقلاله ما يهم من شؤون المسلمين . . ؟ فأجابني قائلاً : هذا قليل من كثير مما سمعنا وسمعت فقد تحدث بعضهم في أكثر من يوم وهو يشير إلينا وإلى أمثالنا من المسلمين قائلاً : اتركهم الله يلعنهم هؤلاء على خط الحسن .

من معاني هذا أنهم لعنوا الحسن(عليه السلام) أيضاً ، وما لنا إلا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وأن المستقبل كشاف . وسيأتي

الوقت -وهو غير بعيد- الذي يندم فيه هؤلاء ونحوهم على هذه المقالة وشبهها. وفعلاً ما مرت بضع سنوات حتى حدث فيهم ما يؤسف له وندموا حيث لا يفيد الندم وانقلب معظمهم إلى لعن من ضلله معتذراً إلى من تسرع إلى لعنهم. فكان الجواب من المسالمين ممن على خط الحسن في تعبيرهم جواب يوسف وأخيه، لإخوتهما الآخرين مما حكاه القرآن في الآية ٩٢ سورة يوسف(ع) ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وأن الكرة تمحي الفرة والحسنات يذهبن السيئات و.. الخ.

ومما يذكر هنا أن كثيراً مما يكون من شخص ما، في سلوك معين وتصرف خاص. يحسبه، بل قد يعتقد به بأنه منكر من المنكرات التي لا تطاق. من ذلك مثلاً ما ذكره القرآن مما أجراه الخضر(ع) من قتل الغلام وخرق السفينة وإقامة الجدار وما كان من استنكار موسى(ع) عليه. وكان مما حكاه القرآن عنه قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً..﴾ الخ. ولما بدا له بعد ذلك أنه ليس بمنكر وإنما خفي عنه وجه الحكمة والصواب في ذلك اعتذر، وكان مما جاء في الآية ٨٢ من سورة الكهف نفسها حكاية عنه: ﴿ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً..﴾ الخ.

وكما أن اعتراضات وجهت إلى الحسن(ع) وإلى من يسير على خطه السلمي، وجهت اعتراضات إلى الحسين(ع) ومن يسير على خطه الثوري أيضاً. وكما أن الاعتراضات على الحسن مردودة كذلك مردودة عن الحسين(ع) وعمن سار على خطه الثوري عن تفهم أيضاً، لقول رسول الله(ص) فيما قاله فيه: بأنه إمام قام أو قعد أيضاً.

ولقد كان فيما كان صلح الحسن(ع) ممهداً لثورة الحسين(ع). والظروف التي حفت بالحسين(ع) أشد قسوة مما كانت عليه ظروف الحسن. فقد زاد يزيد على معاوية بالجور أضاف إليه الاستهتار والمجاهرة بالمنكرات أكثر وقد وجد الحسين(ع) من الرجال ينهض بهم ما لم يجده الحسن(ع) وكما كانت مأساة الحسن انتصاراً آجلاً للحق كانت مأساة الحسين(ع).

ومما يحسن الختام به هنا جواب الإمام زين العابدين رداً على من سأله في رجوعه إلى المدينة : من هو المنتصر . . ؟ قال : إذا حضر وقت الأذان علمت من هو المنتصر .

وهكذا كان التقاء خط الحسن (ع) بخط الحسين (ع) في تحقيق النصر الآجل للحق - إن لم يكن في العاجل - وآجل النصر ينسي عاجل الظفر . كما أن نعيم الجنة ينسي المعاناة في الدنيا . وعذاب النار ينسي نعيم الدنيا والعاقبة للمتقين .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن تعيين الفرقة الناجية في الإسلام

فمما جاء في القرآن قوله تعالى في سورة الحديد آية ٢٦ : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ .

نوح(ع) أول أولي العزم الخمسة وهو أبو البشر الثاني بعد آدم(ع) وإبراهيم ابن ذريته وهو أبو الأنبياء وعلى رأسهم موسى وعيسى ومحمد(ﷺ) كما وهو أبو أتباعهم. فله الأبوة كما لنوح من قبله . ومن مجموع ذريتهما الأنبياء المذكورون ومن إليهم . . الخ .

وقد شخصت هذه الآية فيما شخصت كون تلك الذرية منهم مهتد . . ولا جدال في أن المهتدين منهم: هم الناجون من النار، وهم قلة - كما يبدو من الآية - لمكان قرينة - ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ .

والفاسقون في النار دل على ذلك فيما دل ما جاء في الآية ٢٠ سورة السجدة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ ونحوها من الآيات. . الخ .

وعليه فالكثيرون وهم بالطبع فرق متعددة يجمعها إطار واحد هو الفسق. أما الاهتداء فهو لفرقة منفردة في إطار خاص بها متمثلاً في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

وعلى هذا الأساس جاء الحديث النبوي، بذكر فرقة ناجية واحدة في كل ما ذكر لأحد الأنبياء الثلاثة المذكورين - كما سيأتي ذكره ومما إليه بعد قليل - مما على أساسه قال أحد الأدباء المفكرين:

إذا كان كل الناس سبعين فرقة ... ونيفاً كما قد جاء في محكم النقل

ولم يكُ منهم ناجياً غير فرقة ... فماذا ترى يا ذا البصيرة والعقل

أفي الفرقة الناجية آل محمد ... أم الفرق الهلاك أيهما قل لي
رضيت علياً لي إماماً وسيداً ... وأنت من الباقين في أوسع الحل

يشير بهذا إلى الحديث المتوتر عند السنة والشيعة: كما جاء في ص٦٢ من كتاب ثم اهتديت، للدكتور التيجاني. والحديث قوله(ﷺ): افترقت بنو إسرائيل إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة.

ومما علق عليه أن المسلمين يقرؤون هذا الحديث ويرددونه في خطبهم ويمرون عليه مرور الكرام بدون تحليل والغريب أن كل فرقة تدعي أنها هي وحدها الناجية وقد جاء في ذيل الحديث قالوا من هم يا رسول الله..؟ قال: من هم على ما أنا عليه وأصحابي - يعني الكتاب والسنة - وهل هناك فرقة إلا وهي متمسكة بهما فلو سئل مالك أو الشافعي أو الإمام أحمد بن حنبل أو أبو حنيفة فهل يدعي أحدهم إلا وهو متمسك بالقرآن والسنة الصحيحة. فهذه المذاهب السنية وإذا أضفنا إليها الفرق الشيعية التي كنت أعتقد بفسادها وانحرافها فها هي تدعي التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة المنقول عن أهل البيت الطاهرين وأهل البيت أدرى بما فيه كما يقولون، فهل يمكن أن يكون كل هؤلاء على الحق كما يدعون وهذا غير ممكن لأن الحديث يفيد العكس. اللهم إلا إذا كان الحديث مكذوب وهذا لا سبيل إليه لأنه متواتر عند السنة والشيعة أم أن الحديث لا معنى له ولا مدلول. وحاشا لرسول الله أن يقول شيئاً لا معنى له ولا مدلول وهو الذي لا ينطق عن الهوى.. الخ.

إن هذا الحديث يفسره حديث آخر ذكره التيجاني نفسه في ص١٦٠ من كتابه المذكور تحت رقم ٢ ألا وهو حديث السقيفة عن مستدرك الحاكم على الصحيحين البخاري ومسلم ج٣ ص١٥٠ وتلخيص الذهبي والحنفي في ينابيع المودة ص٣٠ وص٣٧٠ والصواعق لابن حجر ص١٨٤ و٢٣٤ وتاريخ الخلفاء والجامع الصغير للسيوطي وإسعاف الراغبين للنشاشيبي

أن النبي(ﷺ) قال: «أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

وذكر أيضاً عن مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٦٨ قوله(ﷺ): إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له.

وفيما علق به على هذا الحديث قوله: ويا ليتني أسأل ابن حجر هل كان من الذين ركبوا السفينة ودخلوا الباب وأخذوا بهدي العلماء أم أنه من الذين يقولون ما لا يفعلون ويخالفون ما يعتقدون و.. الخ.

ويمضي الدكتور المذكور في ذكر أحاديث معتمدة عند السنة والشيعة تؤكد الفرقة الناجية ومن ذلك ما ذكره في ص١٦١ عن المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٨، والجامع الكبير للطبراني، والإصابة للعسقلاني وكنز العمال للبيهقي ج٦ ص١٥٥، والمناقب للخارزمي ص٣٤، والينابيع للحنفي ص٤٩، وحلية الأولياء للحافظ أبي نعيم ج١ ص٨٦، وتاريخ ابن عساكر ج٢ ص٩٥، والحديث قوله(ﷺ): «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي».

وأكتفي بشيء مما علق به على هذا الحديث ما نصه في ص١٦٢: (وهذا الحديث كما نرى من الأحاديث الصحيحة التي لا تقبل التأويل ولا تترك للمسلم أي اختيار بل تقطع عليه كل حجة وإذا لم يوال علياً ويقتدي بأهل البيت عترة الرسول فهو محروم من شفاعة جدهم رسول الله (ص)».

ومما يذكر هنا بالمناسبة ما رواه ابن تيمية في كتابه العقيدة الواسطية، ص٣ بسنده عن النبي(ﷺ) أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة».

وهذا الحديث إن فسره كل منا بالطائفة أو المذهب الذي ينتمي إليه في ظل لا إله إلا الله محمد رسول الله(ﷺ) عليه أن يعرف أن من خالف الحقيقة وخذلها أضر نفسه.

كما وعليه أن يتعامل مع إخوانه المسلمين الآخرين، على الأقل كتعامله المطلوب مع الناس عامة في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ..﴾ الخ.

جعلنا الله وإياكم من الموفقين للتي هي أحسن ممن في عداد الفرقة الناجية. ومن سار على الدرب وصل.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن معنى حزب وكيف ينبغي أن يكون..؟

السؤال من الشاب حسن أمين أحد المصلين معي في مسجد الزهراء بالشارقة.

فمما في القرآن ما جاء في الآية ٢٢ سورة المجادلة: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

كلمة حزب معناها لغة بشكل عام - كما يقول الراغب في المفردات - جماعة فيها غلظ يستثنى ما جاء في هذه الآية ففي التفاسير المراد بالحزب هنا: الجند، وكذلك في الآية ١٩ سورة المجادلة: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وقد عرف القرآن حزب الله في الآية ٥٦ سورة المائدة: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، لا بعض الذين يحاربون من هم بهذا التولي مثلهم لمجرد خلاف شخصي أو بسط نفوذ أصلح الله الجميع.

ومن الطريف أن بعضه يؤول الآية التي ذكرت آخرها أول هذا الموضوع، يؤولها بعضهم فيمن هم مثله كما يؤولها الوهابيون - أصلحهم الله - في الشيعة. علماً بأنها نزلت في المشركين وما يطلب ممن يريد أن يكون من المؤمنين حزب الله. وإليك نصها: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فيدع المتأولون هؤلاء إلى مقاطعة آبائهم

وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم لمجرد عدم الانضمام إليهم لسبب أو أكثر. مع كونهم مؤمنين بالله واليوم الآخر غير متعاونين مع من حاد الله ورسوله وما إلى ذلك.. الخ، أصلحنا الله وإياهم جميعاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعليه فكلمة حزب معناها الأول ما تقدم ذكره وهو أحد وجود معانيها الستة:

٢- المعنى الثاني: الحزب أهل كل دين على حدة ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ آية ٣٢ سورة الروم، ويعني أهل كل دين.

٣- الفرق النصرانية في تحزبهم على أقوال المسيح(ﷺ) وهم النسطورية القائلون بأن المسيح هو ابن الله. واليعقوبية القائلون أنه هو الله. والملكانية القائلون بأنه ثالث ثلاثة هم الله ومريم وعيسى المسيح(ﷺ) وفيهم قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ آية ٣٧ سورة مريم.

٤- كفار قوم عاد وثمود ونحوهم. وقد عناهم الله بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ آية ١٣ سورة ص.

٥- كفار بني أمية وهم الأحياء الثلاثة: وهم بنو أمية، وبنو المغيرة، وآل أبي طلحة بن عبد العزى، وفيهم نزلت الآية ١١ سورة ص: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾.

٦- الأحزاب: يعني أبا سفيان في قبائل من العرب واليهود تحزبوا على رسول الله(ﷺ) يوم الخندق فقاتلوا في ثلاثة أماكن ثالثها في نفس المدينة؛ وكان أولها ما عنته الآية ١٠ سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، يعني من فوق الوادي ومن أسفله. وثانيها من قبل الخندق؛ وفيهم نزلت هذه الآية والآية ٢٠ سورة الأحزاب: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا..﴾ الخ.

وقد أيد الله نبيه محمد(ﷺ) فيما أيده أن اهزم تلك الأحزاب . يضاف إليهم الذين خذلهم بسبب عصيانهم أوامره ونواهيه . وما جرى في الماضي جرى ويجري بعده حتى اليوم . وكل حزب عصى الرحمن مخذول . . ومن ذلك مثلاً التدخل بحريات الناس ، في الانتماء وعدم الانتماء والمضايقة لمن لا ينتمي وقد يجر إلى أكثر من مضايقة تحت شعار من لم يكن معنا فهو ضدنا حتى لو لم يكن ضداً ، بل مسالماً للجميع وكل ما في الأمر أن مزاجه أو ظروفه العائلية بما فيها المعاشية والصحية والأخلاقية والاجتماعية لا يجد بينها مجالاً لما تتطلبه الأحزاب بل أن يكون مسالماً لا ينتمي إلى حزب ولا يعادي أي حزب كان . ربما حتى حزب الشيطان لما قد يجد في بعض أفراده من لا يفعل ما يفعله بعض مدعي الانتماء إلى حزب الله من المناكير التي تشوه سمعته فيكون مسؤولاً أمام الله والتاريخ . هذا مع احترام الجميع وكل حسابه على ربه سائلاً للجميع الخير والصلاح .

ومما يذكر هنا - بأسف - أن معظم الذين ينتمون إلى حزب ما ، تراهم يطعنون بالآخرين عاملين على هدم كياناتهم ليبنوا على أنقاضها كياناً لهم وإذا بكيانهم يتصدع أو ينهدم فالكيان المطلوب هو ما يبنى على حسن التفاهم ، والمودة والتعايش السلمي بين المنتمين ، لهذا أو لذاك وبين المستقلين وتوحيد العمل للصالح العام .

وإذا كان هناك من تحزب أو تعصب لشيء - بعبارة أخرى - فليكن - كما قال الإمام علي (ع) - : (إذا كان لا بد من التعصب فليتعصبوا لخلال الحمد) .

أي لا يتحزبوا أو يتعصبوا لخلال الذم ، التي عليها معظمهم . مع احترامنا للجميع والدعاء بالخير والصلاح . وآخر دعوانا إلى ما دعا إليه رب العالمين بقوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا..﴾ الخ ، آية ٣٨ سورة البقرة .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

الإرهاب والرد على من وصم الشيعة به وذكر ما يجوز منه

حدثني الشاب المهذب عبد الصاحب أمين من أهل الشارقة يدرس في أمريكا، أن الدعاية المضادة هناك، صورت الشيعة بأنهم إرهابيون؛ حتى لا يكاد يذكر اسم شيعي حتى يقال إرهابي. سيما عندما توالت أخبار الخطف والرهائن.. الخ.

فحديثنا الآن هنا تحت هذه الأضواء عن الإرهاب فيما يجوز منه وما لا يجوز.

فمما في القرآن ما جاء في الآية ٦٠ سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ..﴾ الخ.

فترهبون من الإرهاب وهو: الإخافة ويجوز في حدود ما رسمه القرآن من إلقاء الرعب في نفوس الأعداء. وما جاء في السيرة والسنة النبوية. ومنها أن رسول الله(ﷺ) لما قدم إلى فتح مكة وأنزل جيشه خارجها أمرهم أن يوقدوا نيراناً، هنا وهناك ففعلوا.

وعندما مضى عمه العباس يستطلع شاهد على جبل أبي قبيس أبا سفيان وابن ورقاء وهما يتطلعان إلى تلك النيران الكثيرة. وأبو سفيان يقول: ما رأيت نيراناً كالليلة. فقال له صاحبه هذه نيران خزاعة أحمشتها الحرب وأهاجها يوم الوتير، فأجابهما العباس: إن خزاعة أقل من أن تكون لها هذه النيران. هذا محمد وأصحابه جاءكم بما لا قبل لكم به ولا طاقة.. فصاح أبو سفيان من الرعب. واسوء صباحاه واسوء صباح قريش، ثم التمس من العباس ما يجد فيه النجاة. فأردفه العباس على البغلة التي كان عليها وكانت بغلة النبي(ﷺ) وجاء به حتى أدخله وهو مرهوباً مرعوباً ذليلاً على رسول

الله(ﷺ) وكان ما كان من أمر خضوعه للنبي(ﷺ) وخضوع من إليه . . الخ . وكان بدء ذلك بسبب الإرهاب الذي حصل له من كثرة النيران .

ومما يذكر هنا ، بالنسبة للمؤمنين أن شجعهم على عدم الرهبة من أعدائهم فقال سبحانه : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ..﴾ الخ ، آية ١٣ سورة الحشر . ما وعدهم بالنصر وما إليه إن هم رهبوا منه تعالى إذ قال : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ آية ٤٠ سورة البقرة .

وعليه فمن التزم بهذا التقرير في الرهبة نال مراده . ومن تعدى ذلك - وإن اضطره إليه الظالمون المستكبرون - فإنه وإن يحصل على مكسب ما ، فإن الطرف الآخر يستغل ذلك لتشويه سمعة المجموع فتكون الخسارة أكبر من ذلك المكسب وعليه وعلى المسؤولين في مختلف المجالات أن يتلافوا ذلك ويتداركوه قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، بما في ذلك جعل المخطوفين يتحدثون عن حسن المعاملة وأن ذلك لم يقع إلا من إلجاء الأقوياء أولئك الضعفاء إليه فالذنب ذنب من ألجأهم .

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسألة التحريف والحذف والوضع للتضليل أو لطمس الحقائق

من المؤسف جداً أن يقع من بعض أفراد من أمتنا الإسلامية ما وقع من بعض الأمم قبلنا من التحريف والحذف والوضع للتضليل أو لطمس حقيقة ما.

فما أخبر به القرآن عن اليهود مثلاً ما جاء في الآية ٤٦ سورة النساء: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ونحوها ما جاء في الآية ٧٥ سورة البقرة و١٣ و٤١ المائدة.

فيما ذكر المفسرون أنهم حرفوا الحكم بغيره كتحريفهم أو حذف حكم الزنا ووضعوا هم مكانه الجلد أربعين جلدة. والتحريف في هذا المجال شيء واحد - على ما يبدو - ويختلف في مجالات أخرى. فمثلاً إنهم حرفوا كلمة اشكروا بتحويلها إلى اسكروا فأحلوا هم والنصارى المسكرات بما فيها الخمر، علماً بأنها مفسدة للدين وما إلى ذلك.. الخ.

أما الحذف فهو لغة: الرمي، والإسقاط.

ومن المضحك المبكي في عصرنا هذا عصر المطابع وآلات النسخ - تغابي الذين يمارسون ذلك - عما ينتظرهم من افتضاح. وإليك من ذلك نماذج للتذكرة والتبصرة لا أكثر، مع احترام الجميع والدعاء بالهداية والصلاح.

١- فمما في مصر مثلاً مما جرى وذكره فيمن ذكره الدكتور التيجاني في كتابه ثم اهتديت، ص١٤٨-١٤٩ من حديث الدار يوم الإنذار ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال رسول الله(ﷺ) مشيراً إلى علي(ع) إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. عن تاريخ الطبري ج٢ ص٣١٩ وابن الأثير ج٢ ص٦٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٣١١، وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٣٧١، وكنز العمال للبيهقي ج٥ ص١٥،

وتاريخ ابن عساكر ج١ ص٨٥، وتفسير الخازن ج٣ ص٣٧١، وحياة محمد لحسين هيكل ط١ وكلهم من السنة.

قال: «وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي نقلها المؤرخون لبداية البعثة النبوية وعدوها من معجزات النبي(ﷺ) ولكن السياسة هي التي أبدلت وزيفت الحقائق والوقائع ولا عجب من ذلك فما وقع في ذلك الزمان يتكرر اليوم في عصر النور. فهذا محمد حسين هيكل أخرج الحديث بكامله في كتابه حياة محمد في ص١٠٤ من الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤هـ، وفي الطبعة الثانية وما بعدها حذف من الحديث قوله(ﷺ): «ووصيي وخليفتي» وأبدلها بقوله: إن هذا أخي وكذا وكذا. . وغفلوا عن أن الطبري ذكر الحديث بكامله في تاريخ ج٢ ص٣١٩ أنظر كيف يحرفون الكلم عن مواضعه ويقلبون الأمور يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره. . ».

٢- ومما في المملكة العربية السعودية مثلاً حذف في الطبعة الثانية من تفسير ابن كثير للآية ٣٨ من سورة محمد(ﷺ): ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم قوم هذا وضرب بيده على كتف سلمان الفارسي. وقال: لو كان الدين في الثريا لتناوله رجل من فارس». كما حذف هذا من مختصر تفسير ابن كثير للصباغ.

٣- ومما في الجمهورية الإسلامية الإيرانية حذف من سند الصحيفة السجادية في الطبعات الأخيرة والسند كله من بعضها قول الإمام الصادق(ع) المذكور في الطبعات التي قبلها ومنها في ص٢٢: (ثم قال أبو عبد الله ما خرج ولا يخرج أحد منا قبل قيام قائمنا أهل البيت ليثبت حقاً أو ليدفع باطلاً إلا اصطلمته البلية. وكان ذلك زيادة في مكروهنا ومكروه شيعتنا).

ومثل هذه النماذج أمثال، فأكتفي بها بلا تعليق تاركاً ذلك إلى القارئ اللبيب. والله نعم الحسيب.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

جواب عن انقلاب بعض النسا على بعض وثبات المؤمنين

مما جاء في القرآن قوله تعالى في سورة الحج آية ١١ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ..﴾ الخ .

وقوله في سورة البقرة آية ٧٥ : ﴿وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ..﴾ الخ . فيما في الآية الأولى من وصف ضعفاء الإيمان وفيما في الثانية ذكر المحرفين على علم .

ويلتقي الطرفان فيما يلتقيان به . في نقطة واحدة هي الانقلاب فذاك تقلبه فتنة ما من عبادة الله إلى ما بضدها ، وهذا يقلبه الهوى المردي من صحيح إلى إدخال تحريف عليه .

وإليك مثلاً من الماضي والحاضر بما في ذلك التحذير من المماثلة ووصف المماثلين بأفظع وصف وأفضحه .

١ - روى البخاري (ره) عن عبد الله بن عمر (رض) في باب وصف الخارجين عن الإسلام ما نصه : (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين) .

وفيه عن ابن عباس (رض) : (لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في أهل القبلة ، إنما أنزلت في أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال) .

ومن الآيات التي تأولوها . . قوله تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً﴾ ، ومثل له دعوة الحق والذين من دونه لا يستجيبون لهم بشيء . ونحو ذلك . . الخ .

٢- جاء في السيرة الحلبية ج٣ ص١٤٠ كما وفي نحوه من الكتب المعنية فيما جاء عن النبي(ﷺ) في وصفهم قوله: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه إلا تلاوة الفم وإنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.. » الحديث. ومما يذكر هنا ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن معظم ما نشأ من انقلاب في الأفراد أو الجماعات هو عن ضعف اقتصادي – حسب تعبيرهم –.

ومما يعني ذلك مثلاً في العصر الجاهلي طمع بعضهم باقتصاديات الآخرين أو بما عندهم من نساء ونحو ذلك فيشن عليه الغارة للسلب والنهب، ويرد عليه الآخرون بعد ذلك بغارة للثأر والانتقام وهكذا. وكذلك الحال فيما جرى ويجري الآن ويا للأسف.

فخالد بن الوليد مثلاً للأموال قتل أولئك الذين أنزل الله فيهم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ الخ، آية ٩٤ سورة النساء. وقد أنكر النبي(ﷺ) ذلك فرفع طرفه إلى السماء قائلاً: اللهم إني أبرأ إليكم مما فعل خالد.

كما وقتل مالك بن نويرة لغرض أخذ زوجته الحسناء حتى لقد قال مالك: هذه هي التي قتلتني.. إلى آخر ذلك ونحوه مما هو مشهور في كتب التفسير والحديث والتاريخ.. الخ.

والغارة الوهابية مثلاً على العتبات المقدسة لما فيها من ذهب وفضة وأموال وأثاث.. الخ. ومما يذكر هنا من الطرف المضحكة وشر البلية ما يضحك أن معمماً معيدياً رأى امرأة حسناء لمعيدي أيضاً فترصده حتى إذا وجده يبول مستقبلاً القبلة قال له باستنكار: ويلك ماذا صنعت تبول على القبلة لقد طلقت منك امرأتك فاعتزلها. وصدّق المعيدي الساذج الجاهل فاعتزلها. وتزوجها فيما بعد ذلك المعمم. وفي أحد الأيام شاهده المعيدي زوج المرأة الأول، وهو يبول إلى القبلة. ففرح وقال له: لقد طلقت منك المرأة، ويمكنني أن أستعيدها..

فعند ذلك مسك المعمم ذكره بيده وحرف رأسه إلى غير القبلة. وقال للرجل: أنظر. ها أنا حارف رأسه عن القبلة بعبارة المعدان (حارف اروسه).

هذا مما جرى ويجري عبر العصور بتفاوت بين قلة وكثرة.

وقد سبق للنبي(ﷺ) أن عبر عن ذلك العصر - أعني عصر الرسالة الأول - بما مجمله: أن الناس في ذلك العصر ورق لا شوك فيه ثم يلي ذلك ورق وشوك، ثم يليه شوك لا ورق فيه و.. الخ.

وهذا التعبير طبعاً نسبي. فليس معناه خلو عصره من شوك أو خلو عصرنا هذا من ورق خلواً تاماً، وإنما هو نسبي يعني أن ما هنالك من بعض الشوك ما لا يكاد يذكر. وما في عصرنا هذا مثلاً من بعض الورق ما لا يكاد يذكر أيضاً.

ومما جاء في وصف الناس في عصرنا هذا قوله(ﷺ): يأتي زمان على أمتي لا ينجو فيه المؤمن إلا بدعاء الغريق. يا مقلب القلوب والأحوال ثبت قلبي على دينك.

الخمس والمذاهب الأخرى ومن سبقهم وما عند الشيعة

سألني من الشارقة الشاب المهذب عبد الناصر أمين: لماذا في الخمس آية واحدة هي: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..﴾ الخ، آية ٤١ سورة الأنفال. وفي الزكاة آيات كثيرة..؟ فأجبت - والله المسدد للصواب - أن الإسلام دين سلمي وأنه لو لم يبتل بالحرب لما حارب. وحيث أن الخمس من حيث الأصل من غنائم الحرب - ثم عمم كما سيأتي - كفة آية واحدة فيه، ثم آية أخرى تشير فيما تشير إليه هي الآية ٢٦ سورة الإسراء: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ والآية ٣٨ سورة الروم: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى..﴾ الخ.

وبعضهم يقول الآية ١ سورة الأنفال تعنيه من جانب هي: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ..﴾ الخ. وعلى أساس ذلك نظمت فيه بيتاً فيما نظمت من أرجوزتي الألفين الفقهية ج١ ص٦٥ منها:

النفـل في تعريفـه غنيمـة	كـذا زيـادة رأوا تفهيمـه
لـذاك قيـل إنـه هـو الخمـس	مـع أنـه في ذاتـه لـه أسـس

وسيأتي في الموضوع القادم، فالحديث هنا عن الخمس، ونظمته أيضاً فكان وأحكامه في ٤٢ بيتاً ج١ ص٦٣-٦٥ منها:

آل رسـول الله بيـت القـدس	عـن الزكـاة عوضـوا بـالخمس
وهـو لسـته لـدى اقتسـام	لله والنبـي والإمـام
ولليتيـم بعـد والمسـكين	وابـن السـبيل فـارع للتبيـين
والشـرط أن يكـون كـل منتسـب	لهاشم والـد عبد المطلب و.. الـخ

وتمضي الأبيات في وصف من يستحق الخمس ثم ذكر ما يجب فيه هاكه نثراً بإجمال بعد البيت الآتي له تفصيلات في كتب الفقه :

فسبعة : الخمس فيها واجب ١-غنيمة تؤخذ ممن حاربوا

٢- المعدن ٣- ما يستخرجه الكافر ٤- ما يظهر في جوف حيوان ٥- الغوص ٦- الكنز ٧- فضلة من كل ربع بعمل . وكل هذا بعد إخراج المؤن ولنعود إلى آية الخمس المذكورة وكيف صرفوها - ويا للأسف - عن منطوقها فإن أبا بكر لما تولى أسقط سهم النبي وسهم ذوي القربى ومنع بني هاشم من الخمس كما جاء هذا في التفسير الكشاف للزمخشري .

وفي صحيح البخاري باب غزوة خيبر ج٣ ص٣٦ أن فاطمة الزهراء طالبت أبا بكر بما بقي من خمس خيبر فأبى أن يدفع لها شيئاً . فوجدت عليه وهجرته ولم تكلمه حتى توفيت ودفنت ليلاً ولم يؤذن له بحضور جنازتها ، ونحو هذا ما جاء في صحيح مسلم ج٢ ص٧٢ باب لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

وفيه - أعني صحيح مسلم - ص١٠٥ ط م باب الجهاد والسير جواب ابن عباس (رض) لنجدة بن عامر الحروري : سألت عن سهم ذوي القربى الذين ذكرهم الله من هم . . ؟ وإنا كنا قرابة رسول الله(ﷺ) هم نحن فأبى ذلك علينا قومنا . . الخ .

وذهب الإمام مالك إلى أن الخمس بأسره مفوض - كما في الموطأ - إلى السلطان يصرفه كيف شاء ولا حق لأحد بالمطالبة فيه ، وعند الشافعي والحنبلي يقسم الخمس إلى خمسة أسهم : سهم الرسول ويصرف على مصالح المسلمين وسهم لذوي القربى ممن انتسب إلى هاشم بالأبوة لا فرق بين غني أو فقير والثلاثة تنفق على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل من بني هاشم أم من غيرهم ، وعند الحنفية أن سهم الرسول(ﷺ) أسقط بموته وأما ذوي القربى فهم يعطون لفقرهم لا لقرابتهم من رسول الله(ﷺ) .

علماً بأن إجماع المسلمين كافة قبل حدوث المذاهب على أن رسول الله كان يختص سهم له وسهم لأقربائه ولم يتغير ذلك بعد وفاته و﴿أنّما غَنِمتُمْ﴾ في قوله تعالى أعم من غنائم دار الحرب، كما والآية نفسها تقسمه إلى ستة أقسام. فالذي لله راجع للرسول، والذي للرسول راجع بعده إلى قرباه وعلى رأسهم الإمام وهذه الأسهم الثلاثة بولايتها له. ولهذا أطلق عليها سهم الإمام ويتصرف فيه المجتهد العادل كوكيل عنه، لصرفه في مصالح المسلمين بما فيها ما لشؤون العلم وطلابه وما إلى ذلك من إنشائيات ومؤسسات. . الخ. والثلاثة الأسهم الأخرى لليتامى والمساكين وابن السبيل. ممن ينتسب إلى هاشم بن عبد المطلب جد النبي(ﷺ).

وهذا ما عليه الشيعة بإجمال. له تفاصيل في كتبهم المعنية. مما على أساسه ما سبق أن أشرت إليه في أرجوزتي الألفين الفقهية. فراجع ذلك إن رمت المزيد.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

مسألة الأنفال وكونها خاصة لله وللرسول

فيما في القرآن سورة اسمها الأنفال، تبتدئ بالآية التالية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الأنفال: جمع نفل، ويراد به هنا ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فهي لله ولرسوله خاصة ولمن قام مقامه يصرفها حيث يشاء من مصالحه وصالح عياله. ومنها فدك - كما سيأتي - ذكرها - ويعد من الأنفال كل من أخذ من دار الحرب بغير قتال والأرض جلا عنها أهلها. وغير ذلك.. الخ.

وقد نظمته فيما نظمت من أرجوزتي الألفين الفقهية ج١ ص٦٥ فبعد تعريفه فيما سبق في بيتين في الموضوع السابق لمناسبة هناك. أتبعتهما بما يغني عن ذكرها نثراً بما يلي.. و:

وأنها لله والرسول نص	لذاك بالإمام من بعد يخص
وهو مباح في زمان الغيبة	لأمة الحق فخذ ترتيبه
١- أرض جلا الآهلون عنها طوعا	٢- كذا الموات غير ملك شرعا
٣- وكل أرض لم تجد من مالك	٤- والإرث دون وارث لهالك
٥- وبطن واد ٦- وكذا رأس جبل	٦- وساحل البحر ٧- أو الشط :
٧- وقمة ٨- وبطن واد وبقر	٨- ساحل بحر ماؤه قد انحسر
٩- ومعدن ليس له من صاحب	١٠- كذلك الآجام دون طالب
١١- قطائع الملوك إن لم تغتصب	فيما بلا قتال استوى الغلب
١٢- صفو غنيمة كذا ١٣- ومغتنم	من غير ما أذن إمام يلتزم والخ..

هذه هي خلاصة ما جاء عن الأنفال في كتب السنة والشيعة المعنية في بعضها اختلاف بسيط عن بعض أعرضنا عنه للاختصار الكافي هنا.

جواب عن مسألة الفيء ومستحقيه

أما الفيء: فقد جاء ذكره في القرآن في سورة الحشر آية ٦ و٧: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..﴾ الخ.

وأصل الفيء هو: الرجوع ويراد هنا بما أفاءه الله ما رده من أموال اليهود للمسلمين كأنه في الأصل لهم ومنه: أفاء الله على المسلمين: أي أرجعه إليهم وصيره لهم.

جاء في صحيح البخاري في أواخر باب غزوة خيبر أن فاطمة الزهراء(عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فلم يدفع إليها شيء من ذلك، فوجدت عليه حتى توفيت.. الحديث. ونحوه في صحيح مسلم، باب لا نورث ج٢ ص٧٢ كما وفي مواضيع أخرى من الصحيحين المذكورين والمستدرك للحاكم ونحوه.. الخ. كما وفي التفاسير للآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ..﴾ الخ.

ومما يذكر هنا ما تنبأت به الزهراء(عليها السلام) فيما يكون من نتيجة مظلوميتها (ثم أبشروا بسيف صارم وهرج شامل يدع فيئكم زهيداً و..) الخ. وكذلك في كتب التاريخ المعنية. ومنها مثلاً تاريخ البلاذري ونحوه ممن يفصل قضية فدك. ما مجمله أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) دعا ابنته فاطمة، وقال لها فيما قال: إن لأمك خديجة علي حقاً. ثم أمر فكتب صك لها بفدك. وأشهد فيها علياً

والحسن والحسين وأم أيمن. وأمرها بالتصرف فيها. فوكلت على فدك وكيلاً يجبي إليها غلتها. فتوزعها على فقراء بني هاشم حتى تمسي وعلي وولداها وليس عندها شيء من ذلك سوى قوت يومهم. فلما توفي رسول الله(ﷺ) وضع القوم أيديهم على فدك وطردوا وكيل فاطمة وطالبتهم بذلك وعرضت عليه الصك فأقره أحدهم ومزقه الآخر. وحضرت فاطمة إلى المسجد وألقت خطبتها المعروفة بخطبة فدك. ذات الحجج الدامغة. وبدلاً من أن يعيدوها، أصروا على أخذها. ولما تولى عثمان قسمها ثلاثة أقسام: قسم له وقيل لأخيه. وقسم لولده عبيد الله، وقسم لمروان بن الحكم. ثم صارت كلها لمروان في ولايته. فأعطاها لولده عبد العزيز وبعد عبد العزيز صارت لولده عمر(رض) فردها إلى بني علي وفاطمة. وجاء دور الذين تولوا بعده فوضعوا أيديهم على فدك. حتى قيام دولة بني العباس. فردها أول خلفائهم السفاح إلى ولد علي وفاطمة. وجاء دور المنصور فأخذها منهم. وصارت بأيدي من تولى بعده. إلى أن تولى المأمون. فأعادها إلى ولد علي وفاطمة. وفي ذلك أنشد دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا　　　برد مأمون هاشم فدكا

ثم صارت بأيدي من تولى بعده حتى عصر المتوكل. فأقطعها لأحد قواده ويدعى عبد الله البازيار. وكانت فيها نخيلات كان رسول الله وعلي قد غرساها. فكان بنو علي وفاطمة يشترون ثمرها ويهدونه إلى بعض الحجاج فيحصلون على مال كثير. فلما سمع بذلك البازيار أرسل بشر بن أمية الثقفي لصرمها لئلا يستفيد من ثمرها أبناء علي وفاطمة(ﮱ). فمات الثقفي عندما صرمها. وظلت فدك تتقلب بأيدي الغاصبين وآل علي وفاطمة محرومون منها.. الخ.

ومما يذكر هنا أن علياً(ﮱ) ذكروا له فدكاً في أيام خلافته فقال: ما أصنع بفدك وغير فدك.. وقد سخت بها نفوس قوم وشحت بها نفوس آخرين.

والنفس مضانها قريبة . . الخ لعلمه(عليه السلام) أن لو وضع يده عليها لعادوا بعده لوضع أيديهم عليها كما وقع فعلاً . مما تقدم ذكره مجملاً عن بعض مصادر السنة أنفسهم . ومما يذكر هنا مما قاله أبو بكر عبد العزيز الجوهري أحد رواة خطبة فدك . يخاطب رسول الله(صلى الله عليه وآله) :

دكـــدك القـــوم مســـجدك   غصبـــوا فاطمـــأ فـــدك

. . إلى آخر الأبيات مما لا أود ذكره من اللعن .

وكانت فدك أول غصب مادي في الإسلام لإنزال الضعف المادي في آل محمد لئلا يميل إليهم الناس - كما ذكر هذا غير واحد من المحققين - فكانت خطبة فدك صرخة داوية ، في وجوه غاصبي الفيء الموروث ونحوه . والعاقبة للمتقين .

مسألة الجدل وقول: اترك الجدال ولو كان على حق

مما في القرآن ما جاء في الآية ١٢٥ سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ الخ. جادلهم في قوله ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ من الجدل وهو: مقابلة الحجة بالحجة.

أما النهي عن الجدل: فقد جاء في مواضع خاصة منها ما جاء في الآية ١٩٧ سورة البقرة: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فسروها لا مراء في الحج بأن تقول حجي أحسن من حجك أو الحج غداً أو بعد غد ونحو ذلك.. الخ.

وفي الحديث النبوي المروي عن الطرفين: «ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا».

ويعني هذا فيما يعني - على ما يبدو - ما يكون من جدال بالباطل نحو ما جاء في الآية ٥ سورة غافر: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ونحو ذلك.. الخ. فإن المجادل بلا سلطان لهو مما عنته الآية ٥٦ سورة غافر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ إذ يضيف لنفسه الكبر وهو ضلال أيضاً فيصر على العناد. فهنا تأتي كلمة اترك الجدال ولو كان على حق ما تجادل فيه. وعلى باطل ما يجادل به الآخر، طبعاً هذا بعد مقارعته بالحجج. فليس يعني هذا لا تجادله بل يعني اترك مجادلته بعد الحجة. إن أصر على الكبر والعناد فتكون بذلك قد خرجت عن مسؤولية الأمر بالمجادلة في ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ الآية.

كذلك ورد النهي عن الجدل ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ آية ١٠٧ سورة النساء، وفيما فسروها. التماس المعاذير لهم. كما يفعله بعضهم. كما نبه سبحانه أن من المجادلين من هو متبع للشيطان على غير

علم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾ آية ٣ سورة الحج، ونحوها آية ١٢١ سورة الأنعام. فعلى المرء أن يتعوذ ويطلب من مجادله أن يتعوذ من الشيطان، كما وينبهه بسوء العاقبة إن هو أطاع الشيطان. فقد قال سبحانه: ﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - والكفر فيما قسم إلى - كفر بالله وكفر بنعمته: كفر غير الكافر بوجوده.

إن القرآن يأمر فيما يأمر أن لا نجادل: ﴿أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لاحظ آية ٤٦ سورة العنكبوت. فمن باب أولى أن يكون بالتي هي أحسن بيننا نحن المسلمين. لا أن يفتح أحدنا باب الجدال مع أخيه بالتي هي أسوأ. كاتهامه بالشرك. كما حدث لكثير من الحجاج الذين قبلوا ضريح الرسول(ﷺ) فزجرهم الآخرون قائلين: أتقبلون النحاس والحديد والخشب.. وما كادوا يجيبونهم بأننا نفعل هذا اعتناء وتعظيماً لمن ضمه ما يقبل غلاف ضم المصحف وإلا في الخارج من النحاس والحديد والخشب الكثير لا يقبله أحد.

ما كادوا يجيبون بهذا الجواب ونحوه للمجادل إلا وأمطرهم بكلمة شرك. شرك. ومع الضرب بالعصا غالباً وذكر بعضهم أن أحد الحجاج ذات مرة.. وربما مرات غيره.. رد على وابل كلمة شرك بوابل من كلمة شر شر شر، ترى ماذا كانت النتيجة.. غير اتباع الجدال بسباب وعراك وشرطة وقاضي. ورد فعل وتنافر أكثر و.. الخ.

ولنعود إلى الآية: ﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللهِ﴾ - وهي العلامات والدلائل - ﴿إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ آية ٤ سورة غافر، فتتمتها ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ إلى نحوها من الآيات مما لنا فيها جميعاً أكثر من عظة وعبرة.

إن أكثر المسلمين جدالاً:

١ - الخوارج ومن على شاكلتهم من الزاعمين أن الإسلام لهم وحدهم.

٢- منافسو ذوي الزعامات باستحقاق. وحسادهم بمن فيهم المشوشون عليهم.

٣- طلاب الزعامة بدون استحقاق.

٤ - الجهلة المتعصبون أو المتحزبون لهذا، أو ذاك تقليداً أو ادعاءً.

٥- ذوو الأهواء الخاصة بمن فيهم من صادفوا هوى في غيرهم موافقاً لهواهم.

وهذا بحث واسع يطول ذكره - منه محاضرة لي في كتابي المنبر الجديد - لم يطبع للآن فأقتصر هنا على ذكر بعض ما صدر من بعض المشوشين على بعض أهل الزعامة الحقة.

ومثلاً من ذلك أن أبا حنيفة اسمع بهلول بن عمر وكان قد مر به. قال: لقد تكلم جعفر بن محمد بثلاث مسائل ما يعجبني كلامه فيها. يقول إن أفعال الخلق مستندة إليهم مع أن الآيات دالة على أن الله فاعل كل شيء. ويقول: إن الله موجود لكن لا يراه أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهل يكون موجود من لا يرى..؟ ما هذا! إلا تناقض، ويقول: إن الشيطان خلق من النار ويعذب بالنار، فكيف يعذب الشيء بجنسه..؟

فما كان من بهلول إلا أن تناول حجراً وضرب به رأس أبي حنيفة وشجه. فذهب إلى القاضي يشتكي منه فاحضرهما القاضي وقال لبهلول: أأنت ضربته..؟ قال: نعم. قال له: ولم؟ فقال: أيها القاضي إن هذا الرجل غلط جعفر بن محمد في ثلاث مسائل، فهاكها في الرد عليه.

الأولى: أن أبا حنيفة يزعم أن الأفعال لا فاعل لها إلا الله فهذه الضربة من الله فما تقصيري..؟

الثانية: يقول إن كل موجود لا بد أن يرى فهذا الوجع الذي في رأسه موجود لكن لا يراه أحد. أهو أبيض أم أسود..؟

الثالثة: يقول إن الشيء لا يتعذب بجنسه وهو مخلوق من التراب وهذا الحجر من التراب أيضاً فكيف يتعذب بجنسه..؟

فلم يدر القاضي ولا أبو حنيفة بماذا يجيبان، فخرج بهلول منتصراً ولم يسع أبا حنيفة أن يقول له ما قاله لفضال بن فضال. كما يقول بعض أمثاله إذا أحرج. فقد مر فضال عليه وهو يقرر للناس ما يقرره معرضاً نفسه للسؤال والجواب فقال له فضال: ما تقول في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ..﴾ الخ، منسوخة أم لا..؟ قال: إنها غير منسوخة فقال فضال: ما تقول في دفن الشيخين في بيته أبإذن كان منه أم لا..؟ قال: لا. ولكن نظراً في حق ابنتيهما عائشة وحفصة من الميراث. فقال له فضال: أنتم تقولون أن النبي قال: لا نورث ومنعتم ابنته فاطمة من أن ترث فكيف ترثه زوجتاه؟ ثم أنت تعلم أنه(ﷺ) مات عن تسع زوجات. ولهن الثمن - إن تراجعتم إلى القول بتوريثه - فتصيب كل واحدة منهن تسع الثمن. وهو أقل من شبر في تلك الحجرة فأطرق أبو حنيفة ثم رفع رأسه وقال لمن حوله: نحوه عني فإنه رافضي خبيث.. و.. الخ.

وعلى هذا فقس أمثاله. وقد ألف أكثر من كتاب في المجادلات والمناظرات وتخصص أناس لها. كان الحق على أيديهم وما زال يعلو ولا يعلى عليه. فضلاً عما جاء ضمن كتاب مثلاً ككتاب ثم اهتديت، للدكتور التيجاني وكان وهابياً، فاستشيع.

وككتاب لماذا اخترت مذهب الشيعة؟ لقاضي القضاة بحلب. وكان شافعياً فاستشيع. واحتجاج الطبرسي ونحوهم.. الخ. وقول أبي حنيفة المذكور لفضال يذكرنا بقول نافع بن الأزرق الخارجي لسبط رسول الله الحسين(ع) بعد محاجة غلبه الحسين بها: إنكم قوم خصمون.

وهذه من قبيل رافضي إلا أنها أنزك - كما يقال - ورفض الباطل وغلبة الحق على خصمه المجادل مفخرة من المفاخر والمناقب ورحم الله من قال:

هذي المناقب لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

الزكاة والرد على ما قيل من أن الشيعة تهتم بالخمس أكثر منها

كرر القرآن ذكر الزكاة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ونحوها.. الخ.

وفي السنة الشريفة في كتب الطرفين من الأحاديث في الحث عليها. ما لا مزيد عليه بما في ذلك كون من لم يؤد زكاة ماله، ردت صلاته.

وقد فصل لنا رسول الله (ﷺ) أنصبتها وأحكامها. وأخذ ذلك عنه من أخذ من أهل بيته وصحابته والتابعين بإحسان بلا خلاف، ووقع الخلاف عند آخرين شأن المسائل الأخرى التي وقع في بعضها الخلاف.

وما قيل عن الشيعة بأنها تهتم بالخمس أكثر منها فهو اشتباه مردود قد يكون مرده إلى أن الزكاة مرتبطة بما تجب فيه فيما يلي:

١- إن ما تجب فيه الزكاة: الغلاة الأربع والأنعام الثلاث والنقدين الذهب والفضة. أصحابها في عصرنا هذا عصر الصناعات والشركات والأوراق النقدية والشيكات والسندات والمهن والمكاسب المختلفة.. والمؤسسات والأسهم والتكنولوجيا و.. الخ، أقل مما كانوا في الماضي من الاعتماد على الزراعة وتربية المواشي. في حين إن ما يجب فيه الخمس - حسب ما عند الشيعة بل وعند بعض الآخرين - هو أكثر حيث إطلاق الخمس على كل ما يعد أو يعتبر غنيمة سواء كان في حرب أو سلم. وقد مر عليك في موضوع الخمس مع الإشارة إلى التفصيل فراجعه إن شئت.

٢- ولأن الزكاة مقيدة بأنصبة محددة مختلفة، والخمس واحد من خمسة من أي مادة يجب فيها الخمس.

٣- ولأن الزكاة مقيدة بمرور الحول (السنة القمرية) على نصابها عدا ما كان خارجاً عن نطاق ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الآية ١٤١ سورة الأنعام.

والخمس غير مقيد بالحول، بل يؤدي في الحال. وأجاز بعض الفقهاء أخيراً لمن لا تسمح له أعماله بذلك أن يجعل له سنة تبتدئ بشهر معين وتنتهي في نهاية ما قبله فيحاسب نفسه ويؤدي ما عليه من الخمس.

وتلتقي الزكاة والخمس فيما يلتقي به في:

١- أدائها بعد إخراج المؤن.

٢- ضمان سلامتها من التلف؛ إذ يغرم ما تلف إن فرط في حفظه، إلا أن يكون قدر غير محتمل.

٣- ما زكي أو ما خمس لا يزكى ولا يخمس مرتين إلا إذا عمل بهما تجارة أو استثمار وربح بعد إخراج المؤن أيضاً؛ فيؤدى منه الخمس ولا تؤدى زكاة، لذلك ترى استحقاق الخمس أكثر وبه كان الاهتمام أكثر لبراءة الذمة وإلا فإن الزكاة مهمة في موضوعها عند الشيعة كذلك ولكل منهما تفصيلات في كتب الفقه، فراجعها إن شئت المزيد، إضافة إلى ما جاء في الحث على أدائهما.

ويكفي هنا أن أذكر مما جاء عن أحد الأئمة الإمام علي الرضا(عليه السلام) ثلاثة أشياء مقرونة بثلاثة أحدها وهو محل الاستشهاد هنا، وقرن الزكاة بالصلاة فقال: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن لم يؤد زكاة ماله لم تقبل صلاته و.. الخ.

الامتناع عن البيعة والهجوم بالنار على بيت فاطمة وضربها

إن عدة آيات في القرآن الكريم جاء فيها ذكر البيعة لم يأت في واحدة منها تقرير بالإجبار بل برفق واختيار ومنها مثلاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ آية ١٨ سورة الفتح. وقوله: ﴿إذا جاءكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً﴾ - إلى قوله - ﴿فَبايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ..﴾ الخ، آية ١٢ سورة الممتحنة.

ومما جاء في بيان صواب ما يكون على يده(ﷺ) من بيعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ..﴾ الخ، آية ١٠ سورة الفتح.

ولنطمين الحق جاءت البشارة بما يجري لله من بيعة على يد نبيه(ﷺ) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ..﴾ الخ، آية ١١١ سورة التوبة.

هكذا البيعة على ما قرره القرآن، فمتى كان الممتنع يجري عليه ما جرى بعد وفاة النبي مباشرة.. ؟ أعني الذي جرى على علي وفاطمة وسعد زعيم الأنصار ونحوهم من الاعتداء والتنكيل. وهذا علي نفسه لم يتخذ ولا بعض ذلك من الذين امتنعوا عن بيعته كابن عمر وابن أبي وقاص ونحوهما.

هاك أيها القارئ اللبيب مما جاء في كتب السنة مما لا مزيد عليه في كتب الشيعة وإن ما جاء بين ذلك من إجمال وتفصيل لا يعدو عن كونه تعدياً ذكره الجميع ولم ينفرد به هذا عن ذاك.

لا أذكر هنا كل ما جرى فذلك يطول ذكره بل أقتصر وأختصر على مما يخص ما حسبه بعضهم أنه مما ذكره الشيعة فقط وبالغوا في ذكر الهجوم على دار فاطمة الزهراء(عليها السلام) لأخذ البيعة ممن كان في تلك الدار - المحترمة عند

النبي(ﷺ) وجميع المسلمين في عصره - مما بعضه كاف عن التفصيل لما حدث مما لا يلام به شيعة أهل البيت من التحمس لهم ضد المعتدين، الذين ندموا بعدها ولات حين مندم. حتى لقد قال قائد حملتهم قولته المشهورة التي منها: ويا ليتني لم أكشف بيت فاطمة.. الخ.

مع كل الأسف، هاك عرض مما جرى حرفياً وبدون تعليق لا من كتب الشيعة بل من بعض كتب إخوانهم السنة وليس من كلها فذلك مما يطول ذكره أيضاً.

١ - جاء في تاريخ أبي الفداء، ج٣ ص١٦٥ قوله بعد ذكر عدد ممن تخلف عن بيعة أبي بكر (رض) ما نصه: «وكذلك تخلف عن أبي بكر أبو سفيان من بني أمية ثم أن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة وقال: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم به دار فلقيته فاطمة وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا، قال: نعم أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة» ويتبع ما تقدم بقوله: «فخرج علي حتى أتى أبا بكر فبايعه».

وهذا النص ذكره فيمن ذكره جمال الدين بن واصل فيما كتبه في هذا الخصوص.. في حين أن الأكثرين من المؤرخين ذكروا أن علياً رغم كونه لم يبايع إلا بعد ستة أشهر وذلك بعد وفاة فاطمة - على ما ذكروا من وفاتها - وقد روى هذا فيمن رواه الزهري عن عائشة (رض) قالت: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة وذلك بعد ستة أشهر.

٢ - جاء في كتاب العقد الفريد - وهو كتاب معتمد عندهم ومشهور - ومؤلفه أحد أعلام السنة إنه ابن عبد ربه، صاحب الاستيعاب أيضاً. جاء في ص٦٤ من العقد الفريد قوله: «الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس

من نار على الباب ليضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا. قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة وخرج علي حتى أتى إلى أبي بكر».

٣- جاء في كتاب تاريخ الخلفاء الإمامة والسياسة الذي تقدم ذكره قبل قليل بمناسبة ذكر وفاة فاطمة. فما يخص موضوع الاعتداءات عليها ذكر هذا في ص١٢ في كتابه المذكور بسنده أيضاً كما تقدم وبسنده عن ابن الأثير عن أبي عون عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، أن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة. قال: وإنْ. . !! وخرجوا وبايعوا إلا علياً. . إلى ذكره ذلك بعد وفاة فاطمة.

٤- جاء فيما جاء ديوان حافظ شاعر النيل لاحقاً فيما يؤيد ما سبق ويؤكده ويعده على حد تعبيره مفخرة مما دل على أن ذلك وقع فعلاً بدون شك فابن قتيبة مثلاً هو من مواليد ٢١٢هـ وحافظ من مواليد ١٢٩١هـ قال في قصيدته العمرية:

وقولة لعلي قالها عمر — أعظم بسامعها أنعم بملقيها

حرقت دارك لا أبقي على أحد — إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها — أمام فارس عدنان وحاميها

٥- جاء في نفس كتاب تاريخ الخلفاء المذكور فيما يخص الهجوم على دار فاطمة - بعدما تقدم ذكره تحت رقم ٣ من التهديد بإحراق الدار - فقالت - يقصد فاطمة(ﷺ) - «. . لا عهد لي بقوم أسوة محضراً منكم تركتم رسول الله(ﷺ) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا» فأتى عمر أبا بكر فقال: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً. قال:

فذهب قنفذ إلى علي فقال له : ما حاجتك؟ قال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال : لسريع ما كذبتم على رسول الله . فرجع فأبلغ الرسالة - إلى أن قال - قام عمر فمشى ومعه جماعة حتى أتوا باب فاطمة . فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا أبتاه يا رسول الله ماذا لقينا من بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة . . فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر فبقي عمر ومن معه فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له : بايع . فقال : وإن لم أفعل فماذا . . ؟ فقالوا : إذا والله والذي لا إله إلا هو نضرب عنقك . . قال : إذا تقتلون عبداً لله وأخاً لرسوله . . فقال عمر : أما عبداً لله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا . . وأبو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك . . ؟ فقال : لا أكرهه على شيء ما دامت فاطمة إلى جنبه . فلحق علي بقبر رسول الله(ﷺ) يصيح ويبكي وينادي : يا ابن العم «إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني . . » .

٦- جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص٣٨ بسنده عن النظام : (أن عمر ضرب بطن فاطمة حتى ألقت الجنين من بطنها . وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها . وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين . .) .

جواب: لماذا سكت الإمام علي(ع) أخيراً ومن إليه عن حقهم

لم يكن الإمام علي(ﷺ) أو من جرى مجراه من أهل البيت(ﷺ). سكتوا أخيراً عن حقهم منتظرين ساعة الفرج. وقد استضعف القوم علياً(ﷺ) ولم يكن بالضعيف حقيقة، ولكن اقتضت الحكمة ذلك ولم يكن علي وحده كذلك فقد سبق لهارون أخي موسى(ﷺ) أن استضعفوه وكادوا يقتلوه كما جاء في الآية ١٥٠ سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي..﴾ الخ. ثم أتاه الفرج بعودة موسى(ﷺ) من الميقات وما جرى.. الخ.

كما وقد مرت على النبي محمد(ﷺ) نفسه ظروف كذلك اقتضت أن يصبر حتى أتاه الفرج. وكان قد بلغ استضعافهم له وإيذاؤهم إلى ما لا يزيد عليه.

ونفس ما جاء في خطاب هارون لموسى كان علي(ﷺ) قد وجه خطابه إلى قبر رسول الله(ﷺ) أول أيام البلية التي طالت. كما وقال(ﷺ): فصبرت على طول المدى وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا. و.. الخ.

وكان المانع لعلي(ﷺ) من استخدام القوة نفس المانع الذي كان لرسول الله في تلك الظروف ضد من ناوأه خاصة من أظهروا الإيمان وبطنوا الكفر: (المنافقين الموصوفين في أكثر من سورة أو آية في القرآن). المانع هو حفظ سمعة الإسلام في الخارج لئلا يقال أن محمداً يقتل أصحابه ولئلا يقال بعده في علي والقوم. ما مات محمد حتى وثب أصحابه يتقاتلون على الرئاسة.

وبهذا وذاك تقويض للإسلام من أركانه بالكامل إذ بدلاً من يعتبر عن نبوة إلهية جامعة رئاسة دنيوية كغيرها من الرئاسات.

ولقد سبق لرسول الله(ﷺ) أن قال لأهل بيته: أنتم المستضعفون من بعدي، وأوصاهم فيما أوصاهم به بالصبر. كما أوصاه الله فيما أوصاه:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ آية ١٢٧-١٢٨ سورة النحل.

ولئن استضعف آل موسى وهارون من قبل فرعون ومن معه، فقد استضعف آل محمد وعلي ممن يدعون من أمة محمد(ﷺ) وقد لازم آل محمد من الصبر عندما لم تجد بياناتهم وحججهم القوية آذاناً أصمتها الأطماع الخاصة. وعيوناً أعمتها الأحقاد، ورغم ذلك فقد أخذ أمرهم بين فترة وأخرى بالظهور وما زال كذلك في ظهور ذلك لأنهم سكتوا بعد البيان وصبروا واتقوا؛ وإن الله مع المتقين ومع الصابرين فكان سكوتهم كلاماً، وبيانهم إعلاماً فنالوا بذلك ونحوه الشرف كل الشرف دنياً وأخرى. وشهد لهم بذلك الأباعد قبل الأقارب ومن ذلك مثلاً ما قاله الشبلنجي - وهو من السنة - في كتابه نور الأبصار في الحديث عن زين العابدين(ع) إن أهل البيت(ع) عوضهم الله عن الخلافة الظاهرية بالخلافة الباطنية.. الخ.

ومن معاني ذلك أن الله منحهم ما لم يمنح ولا بعضه لغيرهم ممن تولوا الخلافة من شرف الدنيا والآخرة ما لا مزيد عليه.

ذلك، لأن الصبر والسكوت على ثلاثة أقسام:

١- صبر وسكوت عن ضعف حقيقي وخور.

٢- وصبر وسكوت مع عمل وحذر.

٣- وصبر وسكوت عن قدرة وحكمة وبعد نظر.

وكان من النوع الثاني والثالث ما عليه صبر وسكوت أهل البيت(ع).

وصورة واحدة من تقاريرهم تكفيك عن سواها. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر - ما ذكره صاحب كتاب مقاتل الطالبيين - وهو ليس من الشيعة فيقال فيه ما قد يقال كالتماس الأعذار نحو ما يذكره بعض السنة، عمن إليه يرجعون. أصلحهم الله وإيانا جميعاً.

لقد جاء في ص٤٧٨ من الكتاب المذكور بسنده أن الإمام الحسن (عليه السلام) كتب إلى معاوية بن أبي سفيان ما نصه : «إن الله بعث محمداً رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين وكافة الناس أجمعين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . ولقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كانوا ذا فضل وسابقة في الإسلام فأمسكنا عن منازعتهم مخافة أن يجد المنافقون إليه سبيلاً والأحزاب بذلك مفخراً يثلمونه . أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من الفساد فاليوم فليعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ولا بفضل في الدين ، ولا سابقة في الإسلام . . » .

جواب عن التقية ومستعمليها والفرق بينها وبين النفاق

التقية رخصة في كتاب الله وسنة رسول الله(ﷺ) وقد استعملها بعض آله وصحابته والتابعين ومن إليهم بمن في ذلك رؤساء وأعلام المذاهب الإسلامية (ره). وسأذكر لك فيما سأذكر نماذج من ذلك، وكيف ومع من تستعمل التقية.. أتستعمل مع الكفار المتغلبين الشرسين فقط..؟ أم مع بعض المسلمين إن شاكل الحال.. الخ. فعندنا أولاً كتاب الله.

ففي كتاب الله مما هو مقرر فيما مضى وفيما حضر.

فمن الأول ما جاء في قصة موسى(ع) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ آية ١١ سورة القصص، وكانت متوقية من آل فرعون حذراً من أن يعرفونها. والتقية لغة من الوقاية ويراد بها هنا التحفظ والحذر ولها تفصيل سيأتي خلال هذا الموضوع..

وفي نفس قصة موسى(ع) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ..﴾ وكتمانه كان تقية منهم. قال تعالى ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾، آية ٤٥ سورة غافر أضف إلى ذلك ما جاء في تاريخ عيسى أي أن اليهود ومن مؤامراتهم ضده ما تخلص منها بالتقية ومنها أنه جاء إليه نفر منهم ومعهم جاسوس لقيصر فقالوا له: أنت المعلم والمنقذ وهذا قيصر يأخذ الجزية فما تقول في إعطائها. قال لهم: أروني ما تعطونه فأروه دنانير ذهبية على صفحة منها اسم الله وعلى الأخرى اسم قيصر. فقال لهم: ما هذا؟ قالوا: اسم الله. فقال: وما هذا؟ قالوا: اسم قيصر. قال(ع): أعطوا ما لله لله وأعطوا ما لقيصر لقيصر. وبذلك تخلص منهم، ومن الثاني - أقصد من القرآن فيما خص - ما جاء في قوله

تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانه إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ آية ١٠٦ سورة النحل، فقد اتفق على نزولها في جماعة أكرهوا على الكفر فعذب بعضهم وقتل وأعطاهم عمار بن ياسر (رض) ما أرادوا بلسانه فنجا.

فقال قول: كفر عمار. فقال رسول الله(ﷺ): كلا إن عمار مليءَ إيماناً من قرنه إلى قومه واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وجاء عمار وهو يبكي فقال له(ﷺ): ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. فجعل رسول الله(ﷺ) يمسح دموع عمار ويقول له: إن عادوا لك إليهم بما قلت. . فنزلت الآية المذكورة.

هذا مما في القرآن، وأما مما في السنة الشريفة وما جرى على عهده(ﷺ) فمن ذلك تكتمه ومن معه بالدعوة في دار الأرقم (رض) وتكتمه وأصحابه (رض) من مهاجرين وأنصار ليلة البيعة في العقبة حذراً من المشركين. . الخ. وأن مسيلمة لما قبض على رجلين من المسلمين واستجاب أحدهما إلى طلبه القول في أنه رسول الله: فنجا من القتل ولم يستجب له الآخر فقتله. وبلغ النبي(ﷺ) ذلك، فقال عن الأول أنه عمل برخصة الله له، وعن الثاني أنه شهيد وأجره على الله.

ومما جاء في سيرة المذاهب (ره) أن الربيع حاجب المنصور العباسي كان بينه وبين أبي حنيفة سوء تفاهم فكان يود قتله، فحضر أبو حنيفة يوماً مجلس المنصور فقال له الربيع: ما قولك في أن أمير المؤمنين المنصور يأمرني بقتل إنسان فأقتله عرفت السبب أم لم أعرفه فهل علي إثم. . ؟

قال أبو حنيفة: هل من يأمرك الخليفة بقتله فيه الله رضاً ولرسوله أم لا. . ؟

فأحرج الربيع ثم قال له: ما يأمر به الخليفة لرضا الله ورسوله؟

قال أبو حنيفة: اقتل من في قتله لله ورسوله رضاً ولا تقتل من ليس لله ورسوله فيه رضاً ولا عليك إثم في ذلك.

قال الربيع بعد ذلك: لقد تخلص أبو حنيفة فوالله ما قدرت عليه في مثلها أبداً.

هذه صورة مما قرره الإمام أبو حنيفة عملياً. ويؤيده فيمن يؤيده مثلاً الإمام الشافعي (ره) حيث قرر أن الحالة بين المسلمين أنفسهم إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكفار والمشركين حلت التقية محافظة على النفس.

وللتقية صور كثيرة وتاريخ طويل عند معظم أهل الأديان والمذاهب والمبادئ.. الخ. بما في ذلك كونها تحرم في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الجور فيهم أو ترويجاً للباطل أو ضربة على الأصحاب الملتزمين بالحق. ممن هم قدوة لغيرهم. ومن ذلك مثلاً أن بعض الخواص من أصحاب الإمام علي(ع) كميثم التمار وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي ورشيد الهجري لما دعوا إلى البراءة منه مدوا الأعناق وضحوا بالأرواح.. الخ.

ومن الحديث عن التقية، الفرق بينها وبين النفاق. فإن النفاق إظهار الإيمان وكتم الكفر. والتقية على العكس من ذلك - كما مر عليك منه فيما تقدم -.

كما أن الفرق بينها وبين المجاملة، هو أن التقية عند الحذر من الخطر، والمجاملة تكون تحاشياً من الكدر ومنها التورية.

ومن صور ذلك مثلاً أن ابن الجوزي الحنبلي (ره) العلامة الخطيب المؤلف الشهير كان يحضر منبره ألوف الناس إذا خطب، وكان محبوباً لديهم على مختلف طبقاتهم واتجاهاتهم.. لما يستفيدونه من علمه وأدبه ووعظه.. الخ. فقال له بعضهم يوماً أيهما أفضل بعد رسول الله، أبو بكر وعمر أم علي..؟ فقال: أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته. فرضي بذلك فريق القائلين بأفضلية أبي بكر وعمر (رض) قائلين إنه يعني عائشة وحفصة (رض) ابنتيهما تحت رسول الله. ورضي الفريق القائل بأفضلية علي(ع) قائلين أنه يعني فاطمة بنت رسول الله(ص) تحت علي(ع).

وكثر الجدل بما لا داعي له - كما هو الحال عند معظم المسلمين اليوم ويا للأسف - فقالوا: نسأله عن غير هذا.. فسألوه: كم عدد الخلفاء بعد رسول الله(ﷺ)؟ فقال: أربعة أربعة أربعة. فذهب أولئك إلى أنه يعني الخلفاء الأربعة. والتكرار إما تأكيداً وإما توبيخاً لمن لم يعرف العدد على بساطته.. وذهب هؤلاء إلى أنه يؤمي إلى الأئمة الاثني عشر علي وولده.. الخ.

ومن تلك الصور مثلاً: أن الحافظ الشعبي أرسل إليه الحجاج ورقة مع جلاده يسأله فيها: من هو أفضل عثمان أم علي؟ فلف الشعبي الورقة. وأدخلها في دبر حمار كان هناك.. وقال لرسول الحجاج هذا هو الجواب.. فانصرف الرسول من عنده وأبلغ الحجاج بذلك.. فغضب وقال عد إليه وطالبه بأن يكتب الجواب في ورقة كذلك وإذا لم يفعل لا تأتيني إلا برأسه.. فعاد الرسول على الشعبي وأعلمه بذلك وأبدى مودته للشعبي وفيما قاله أنت حافظ لكتاب الله وقد علمت معظم أولادنا القرآن وأن يدي لا تجرأ على قتلك. ولكن إذا لم أقتلك أقتل وتهدم داري.. فعند ذلك قال الشعبي: لا حول ولا قوة إلا بالله.. واستعمل التقية فكتب إليه: لو أن عثمان جاء يوم القيامة بمناقب جميع الخلق ما نفعك ذلك ولو جاء بمثالب جميع الخلق ما ضرك ذلك، وكذلك علي.. وإنك غير مسؤول عنهما يوم القيامة إنما أنت مسؤول عن نفسك ولا تنفع امرئ إلا بمناقبه، ولا تضره إلا مثالبه، والسلام.. فأمسك الحجاج عنه.

وفي هذا كفاية للعلم أن التقية مقررة في كتاب الله وسنة رسول الله استعملها النبي(ﷺ) بنفسه كما استعملها بعض الأنبياء ومن إليهم قبله، حسب الظروف والأحوال؛ فليس الشيعة وحدهم استعملوها، وإنما عرفوا بها أكثر لأن الظروف والأحوال في مختلف العصور قست عليهم وما زالت تقسو عليهم أكثر من غيرهم.. فهم لا يلامون على ذلك - مع كونها رخصة كما تقدم - إلا إذا خفت وطأة ظروفهم وأحوالهم الخاصة والعامة بحسن

التفاهم فيما بينهم وبين غيرهم، وهذا مما يأمله كل مسلم ذي تفكير صحيح. فـ «بحسن التفاهم يقضى على التخاصم وبحسن التدبير ينقلب الخصم إلى نصير»[1]. والحديث عن التقية وما إليها طويل، ولا يعدم منه القصير - كهذا - إعطاء ما يكفي عن الكثير.

.. بقي شيء قد يدعى إلى معرفته وهو: ما معنى قول بعضهم: هذا محمول على التقية؟

والجواب يكفي أن أورد لك قضية من ذلك كمثل، وهي ما ورد عن الإمام زين العابدين(ع) أنه قال لقرشي بأن هابيل وأختاً له، ولدا توأمان، وقابيل مع أخت له كذلك.. وكلهم أشقاء من أب وأم واحدة وكان زواج هابيل من أخت قابيل التوأم.. وقابيل من أخت هابيل التوأم أيضاً.. ثم حرم نكاح الأخوات بعد ذلك.. فقال القرشي: أفأولداهما..؟ قال: نعم، فقال القرشي: فهذا فعل المجوس.. قال(ع): إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله.. ثم قال له: لا تنكر هذا. أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها، فكانت شريعة من شرائعهم ثم أنزل التحريم بعد ذلك؟ أورد هذا فيمن أورده الجزائري صاحب كتاب قصص الأنبياء ص٥٥ ط ب وأتبعه بما نصها: أقول: «هذا الحديث وما روي بمعناه محمول على التقية ولأن المذهب المشهور بينهم - يقصد من ينتمي إليهم القرشي السائل..».

إن من ينظر إلى هذا الحديث وأمثاله - عزيزي القارئ - يجده غير مطابق لما عليه أئمة أهل البيت(ع) الذين هم على قول واحد. وما ذكر عن أحدهم من خلاف ذلك إما أن يكون غير صحيح وإما أن يكون محمولاً على التقية موافقاً لأقوال غيرهم؛ تجنباً عن الجدل فيما لا طائل تحته إضافة إلى كون ذلك مما لا نسأل عنه أمام الله تعالى، إنما نسأل عن تطبيق ما بين أيدينا مما جاء به محمد(ص) لا عما حدث أو لم يحدث فيما سبق لبعض أنبياء الله.

---

(١) من ١٤٤ حكمة للمؤلف طبع مرتين.

أذكر بالمناسبة – ومثله أكثر – أن رجلاً سألني عن اسم جدة علي بن أبي طالب(ع) لأمه، فذكرت له اسماً فقال: إن الذي عندنا هو غير هذا . . فقلت له: إذاً لنأخذه على ما عندكم . . فارتاح الرجل . . ومضى لشأنه . وإذا بأحد الحاضرين يستنكر علي قائلاً: ليس من عادتك الموافقة على شيء بدون تحقيق . . فقلت له: وهل مثل هذا ما يدعو إلى التحقيق للتدين به، أم نحن مسؤولون عن اسم أم فلانة كذا بدلاً من كذا . . ؟ قال الرجل: لا . . فقلت: إذا لا نشغل وقتنا بما غير مسؤولين عنه عما نحن عنه مسؤولون . . فسكت الرجل .

ونعود – إلى ذكر القضية – في مجمل ما ورد عن أهل البيت عامة فيها . فقد ورد عنهم أن الله أوجد حواء من نفس ما أوجد منه آدم وكان آدم نائماً فلما انتبه وجدها إلى جنبه، وأن هابيل زوج من حوراء بسبب إخلاصه لله وقابيل زوج من جنية بسبب ضعف إخلاصه . وورد ما ينفي زواج هذا بجنية وذاك بحوراء ما ملخصه أن الله كما هيأ لآدم زوجة كما أراد سبحانه هيأ لولديه كذلك . ثم صار التزوج من أبناء العمومة والخؤولة وما إلى ذلك ثم ما ابتعد قليلاً أو كثيراً عن هذا المجال كما قد شرع في الإسلام حتى اليوم ونحن مسؤولون عن تطبيقه . وغير مسؤولين عما قبله، صح أم لم يصح كما تقدم . واتقاء الجدل التافه فضيلة .

الجهاد والقتال وإعداد الجندي وتحين الوقت المناسب

كلمة الجهاد تشمل القتال أيضاً. إلا أنها قبل أن يؤذن المسلمون بالقتال - كما سيأتي - تعني بذل الجهد في ميدان العمل للإسلام باللسان والمال والنفس فتحمل الاضطهاد من الآخرين لقولهم ربنا الله لا إله إلا هو: جهاد اللسان. ويضم إليه ما من الجهاد بالنفس نحو ما تحمله بلال (رض) من الضرب لإصراره على كلمة أحد - وتعني التوحيد - ونحوه الذين عنتهم الآية ٤٠ سورة الحج: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ..﴾ الخ. وما زال يخرج أمثال أولئك أمثال هؤلاء من ديارهم إلا أن يقولوا نحن مستقلون عن هذا وذاك مسالمون ملتزمون بأعمالنا المشروعة الخاصة بأمر معاشنا وعوائلنا وأمر معادنا ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ آية ٨٨-٨٩ سورة الشعراء.

كما ويجمع الجهاد باللسان إلى الجهاد بالمال والنفس نحو ما قامت به خديجة الكبرى أول المؤمنات (رض). لقد دعا الرسول(ﷺ) إلى ما أمره الله به مما ينجي من عذاب أليم، والفوز بالنعيم المقيم وأوله الإيمان بالله وبرسوله، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ..﴾ الخ. لاحظ آية ١١ و١٢ من سورة الصف.

هذا مما كان في البداية، إلى أن أذن الله بالقتال لما بدأ واستمر به المشركون ضد المسلمين وتأهل جند وقادة من المسلمين للمقابلة - كما سيأتي - فكان ما أشارت إليه الآية ١٣ من سورة الصف: ﴿وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ..﴾ الخ، حيث

أنزلت آية الإذن بالقتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ آية ٣٩ سورة الحج.

كان هذا بعد أمرين:

١- بدء المشركين ومن إليهم بالقتال.

٢- نجاح ما بثه رسول الله(ﷺ) من وعي بين معظم أفراد المسلمين والمسلمات؛ ما أهلهم لقاتله أعدائهم المعتدين. ومن ذلك ما كان من فهم من الجند والقادة لمفاهيم ومصاديق وتطبيق ما ينبغي أن يكون من معنى إذابة الفرد في المجموع وإذابة المجموع في الفرد للصالح العام حيث تسحق الأنانية المقيتة تحت الأقدام - أعني الحال الموحد قولاً وعملاً - لا أن يجر هذا بالطول وذاك بالعرض كما يقول المثل، أو كما يقول المثل البغدادي الشعبي (كلمن اله).

فكان الإذن بالقتال ملاحظاً ذلك الوعي وكأنه في انتظار نضوج ما نضج من ذلك عند من كانت لهم تلك الأهلية كحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وجعفر أخيه وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وسعد وأبي دجانة الأنصاريين، ونحوهم.. الخ، بمن فيهم الذين جاؤوا من بعدهم من أمثالهم أو شبه أمثالهم في ذلك الوعي المطلوب لتحقيق النصر؛ فكان مما جاء فيهم تحقيق محبة الله لهم في كونهم قولاً وفعلاً كما وصفتهم به إحدى آيات سورة الصف آنفة الذكر بعد تحذيرهم كما ونحن الآن ومن يأتي من بعدنا أحوج ما نكون إليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ آية ٢ و٣ سورة الصف. وعلى أثرها الآية ٤ في تحقيق حبه ونصره وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ ونحوها من الآيات.. الخ.

وكان القتال - وبعبارة أخرى - الحرب في الإسلام، أو الجهد بتعريف أعم ذلك لأن كلمة جهاد جامعة للمعاني المطلوبة على أساسها ما يترتب من فعاليات. وأهم تلك المعاني كما في مجمع البحرين ونحوه.

١ – بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان.

٢– البلوغ إلى رتبة الإحسان في العبادة في قوله تعالى: ﴿وَجاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾ آية ٧٨ سورة الحج، وتعني عبادة الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك. وذلك قال: ﴿حَقَّ جِهادِهِ﴾ أي جهاداً حقاً كما ينبغي بجذب النفس وخلوصها من شوائب الرياء والسمعة على الطاعة المطلوبة مع الخشوع والخضوع.. الخ.

٣– وسع الطاقة: وهو المعنى الذي ترد إليه كل المعاني في التفصيلات بما فيها القتال.

ومما جاء في الحديث – مما في كتب الطرفين – قوله(ﷺ): ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، وقوله(ﷺ) – وقد رجع ومن معه من إحدى الوقائع متعبين –: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وسئل(ﷺ) عن الجهاد الأكبر فقال: هو جهاد النفس.

ويمكن تعريف الجهاد الأكبر بكلمة مختصرة جامعة هي: الاجتهاد في رد النفس عن الهوى والمهلك من جميع الوجود عاجلاً كان أم آجلاً وفي جميع المجالات وهي: اللسان والقلم والمال والنفس والسيف وما إلى ذلك.. الخ. وقد ألف وما زال يؤلف المعنيون بالجهاد مئات الكتب في الجهاد عدا ما جاء ضمن كتاب حديث كصحيح البخاري ونحوه. أو ضمن كتاب فقهي لهؤلاء أو لهؤلاء. وقد وفقت فيما وفقت إليه – والشكر لله – أن نظمت خلاصة ذلك وبما إليه في منظومتي الفقهية الألفين المهدية ج١ ص٦٦ في ١٤ بيتاً منها:

إلى دفاع وإلى غزو شطر	فرض الجهاد ومضيع حقر
والغزو والدفاع للاسلام	وليس كسب النهب والحطام
واشترطوا الغزو مع الخليفة	أو نائب خوله تكليفه
كذا الدفاع واضطراراً يجب	من غير إذن منهما يرتقب
وفي الجهاد فاللسان والقلم	والمال والنفس كما السيف ارتسم

فـادفع عـن الديـن مهاجمـاً قصـد تحطيمـه ومـا عليـه يعتمـد
وادفع عـن النفس كـذا الاعـراض والمـال إن لـم تكـف بـالأعـراض
فـإن قتلـت فهـو أمـر واجـب وإن قتلـت فشـهيداً تحسـب
وذا أسـاسـه جهـاد أصغـر ثـم جهـاد النفـس وهـو الأكـبر

إلى آخر الأبيات وفيما فيها مما عن المرأة والجهاد ومنها :

جهادهـا حسـن تبعـل جعـل وهي لتضميد على الحرب تصل . . الخ

وخير ختام لهذا الموضوع ما جاء في الآية ٦ سورة العنكبوت : ﴿وَمَن جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾ .

من جواب عن تزايد الشيعة رغم ما جرى ويجري ضدهم

كما أن الآية ٢٦ سورة الأنفال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ..﴾ الخ، جاءت في وصف عموم المسلمين فهي تنطبق كذلك على وصف المسلمين الشيعة. فقد كانوا أفراداً مستضعفين بين بعض الأقوياء. -ومثلاً من الأقوياء- من إخوانهم المسلمين الآخرين.

لقد كان في البدء أفراد منهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار وحذيفة وجابر وأبو سعيد ونحوهم.. الخ. ثم أخذوا يتكاثرون عبر العصور تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلى جانب إخوانهم الآخرين متعاونين معهم في دنيا الإسلام. وما فصل في المابين بعض الشيء إلا ما جاء في نفس كتب إخوانهم السنة مما يؤيدهم. ومثلاً من ذلك:

في صحيح البخاري باب مناقب الزهراء مسنداً حديث: فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني. وحديث غصب إرثها من أبيها(ﷺ) وغضبها على أبي بكر وعمر.

وفي باب مرض النبي(ﷺ)، حديث، ائتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. ومعارضة عمر واتهامه رسول الله بالهذيان لغلبة الوجع وطرد عمر ومن إليه. كما في باب قول المرض قوموا عني. أيضاً، ونحوه في صحيح مسلم.

وفيه - أعني صحيح البخاري - باب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ إن آية المتعة أنزلت في كتاب الله ففعلها الصحابة (رض) معه(ﷺ) ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنه حتى قال رجل: (برأيه ما شاء. يعني عمر..).

وفي باب (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً . . الخ ، أن عائشة وحفصة هما اللتان تظاهرتا عليه . .) .

وفي باب (الحوض) عن أبي هريرة وغيره قوله(ﷺ) : يا رب أصحابي . فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك . إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى .

وفيه في حديث آخر عن أبي هريرة (رض) أنهم إلى النار ، وقال ولم أر يخلص منهم إلا مثل همل النعم) .

ومما يذكر هنا ما ذكروا من أحاديث في مدح الصحابة (رض) وأنهم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . . الخ . ومع هذا ينقلون ما تقدم من أحاديث ارتدادهم .

وما جرى في عهود الخلفاء الثلاثة من تغييرات وتضارب وتسابب وفتن وظلم وغضب واضطهاد . . الخ ، اعتبروه اجتهاداً .

ومما جرى مثلاً ما ذكره من اضطهاد أبي ذر (رض) ونحوه ومن أن طلحة والزبير وعائشة (رض) كانوا من المؤلبين على قتل عثمان (رض) وقد اجتمع إليهم نفر من الصحابة وغيرهم حتى قتلوه . ومنعوا دفنه فبقي ثلاثة أيام على المزابل . ولما حمل ليلاً نصبوا له كميناً يرمون جنازته بالحجارة .

وما جرى بعد ذلك من بيعتهم علياً(ع) ونكث بعضهم البيعة وخروجهم لمحاربته وإلى آخر ما جرى من سوء تصرفات وتعديات ، مما هو مثبت في كتب السنة أنفسهم . وكل ما في الأمر أنهم استساغوه ولم تستسغه الشيعة . ومع ذلك سجل التاريخ فيما سجل للشيعة صوراً من التفاهم والتعاون مع السنة . في صالح المجموع . لاحظ موضوع صور من التعاون . . الخ .

وما دام الطرفان محتفظين بالشهادتين لا داعي إلى أن يكفر بعضهم بعضاً ويستبيح بعضهم دماء وأموال وأعراض بعض فيتسلط عليهم الأجانب الشرسون . لمجرد اختلاف رأي في مسألة أو أكثر .

إن الذي جعل الشيعة أقوى حجة وانمى عدداً رغم الظروف المعاكسة حتى وصل عددهم إلى نصف عدد السنة في العالم. كما جاء في إحصائيات منها ما صرح به أنور السادات.

وهو آخذ بالازدياد ويمكن ذكر أسباب ذلك بإجمال فيما يلي:

١- ما جاء في صحيح البخاري ونحوه مما تقدم.

٢- عدم إقناعهم بالدليل والبرهان.

٣- اعترافات الخلفاء الثلاثة ونحوهم للإمام علي بالأفضلية وما ذكروا مما ذكروا عن مظلوميته.

٤- اعترافات أعاظم من السنة في مناسبة وأكثر في كون الحق مع شيعة علي (ع) بما في أولئك الأعاظم من خلفاء بني أمية كعمر بن عبد العزيز، وبني العباس كالمأمون ونحوهما.. الخ، مما يطول الكلام بذكره.

٥- ولأن تفسير القرآن مأخوذ عندهم عمن أنزل القرآن في بيوتهم ولأن السنة الشريفة مسجلة عندهم من قبل.

٦- بروز أئمة وعلماء من الشيعة لا يشق لهم غبار في العلوم والآداب وما إلى ذلك.. الخ.

٧- لأن الشيعة لا يقبلون حديثاً سواء كان عن الآل أم الصحابة (رض) ما لم يوافق القرآن.

٨- لأنهم لا يمنعون مطالعة أي كتاب كان ولو كان ضدهم إلى ما لا مزيد عليه.

٩- منع انتشار كتبهم من قبل الآخرين - والإنسان حريص على ما منع - دفع بالكثيرين من السنة وغيرهم إلى طلبها والمقارنة بغيرها والاطلاع على الحقيقة فالالتحاق بهم حتى لقد ألفت كتب كثيرة في ذلك منها مثلاً نسمة السحر فيمن تشيع وشعر وكتاب في طريقي إلى التشيع ولماذا أنا شيعي وثم اهتديت ولأكون مع الصادقين، وكتب اعترفت ببيعة الغدير كالفتنة الكبرى لطه حسين وحياة محمد لحسين هيكل وكتابات العقاد وحفني وأبو

ريه وعبد الفتاح وكشك وشعبان كتانه وسلامة وجرداق ومعتوق وعاشور والعلائلي وعبد الحكيم محمد. وآخرين نشر عنهم. وما أفتى به شيخ الأزهر شلتوت ونحوه من صحة التدين بمذهبهم هذا فضلاً عما كتبه أعلام الشيعة أنفسهم في فترات مختلفة.

١٠ - دفع السيئة إذا صدرت من جهالهم بالحسنة فتحل المودة بعد الكراهة فالحسنات يذهبن السيئات.

١١ - اعتناؤهم بالآثار والمزارات والزيارات.

١٢ - ظهور كرامات حقيقية لأهل البيت(عليهم السلام) ومن إليهم.. الخ، مما دعا أعداداً من الآخرين إلى الالتحاق بهم.

١٣ - اهتمامهم بالمدارس والمؤسسات الخيرية.

١٤ - اهتمامهم بكثرة الزواج ونماء الذرية وعدم الحد من النسل أو عدم الحمل عند معظمهم.

١٥ - اجتهادهم بأن تكون شعاراتهم وما إليها ذات مقاصد عالية بما فيها مجالس الذكرى الحسينية والمواليد ونحو ذلك.. الخ.

١٦ - عدم غلق باب الاجتهاد عندهم، على أن لا يكون في مقابل النص.

١٧ - اعتناؤهم بالمساجد وصيانتها بالحسينيات عما قد يحدث من جدال ومشادات و.. الخ.

١٨ - لا يمتنعون من التعاون مع إخوانهم المسلمين الآخرين. وكل على مذهبه وتجمعهم الشهادتان والقرآن والسنة والقبلة و.. الخ، فهم سلم لمن سالموا بركة على من جاوروا - كما في تقرير أحد أئمتهم - ووصيته بذلك.

١٩ - لأنهم يرجون الشفاعة ممن يطمع في شفاعته حسب ما جاء في القرآن والسنة.

٢٠ - لأنهم يرجون قيام المهدي المنتظر الموعود على لسان جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) كما في كتب الطرفين. ليكونوا معه في دولة الحق.

٢١- لأنهم لا يهاجمون المذاهب الإسلامية الأخرى كما يهاجمهم بعضها.

بل يردون على من يهاجمهم أياً كان إذا لم يفد الصمت، يردون بما عندهم من وثائق وحجج قوية، على صحة ما عندهم، وغالباً ما يكون الرد بالتي هي أحسن، وهذا معروف عنهم.

أما ما يقال عن انحراف عند بعضهم فنحوه لم يسلم منه بعض المنتمين إلى المذاهب الأخرى. وما دام عقلاء فهماء في المابين أمكن تقويم ذلك ولا حاجة للهذيان والعدوان والله المستعان.

تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة

تذكرة مما جاء من تقدير رؤساء المذاهب ونحوهم للشيعة

مما في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ آية ٩٢ سورة الأنبياء. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ آية ١٢٢ سورة التوبة.

دلَّت الآية الأولى فيما دلَّت على أن هذه الأمة مهما تجزأت فإنها واحدة، والرب واحد والعبادة طاعته، وفيها سعادة الدنيا والآخرة.

ودلّت الثانية فيما دلَّت أن المقصود من تفقه طوائف الأمة الإنذار - وهو التبليغ - بهدف الإرشاد إلى تلك الطاعة.

ومن المعترف به أن فقه أهل البيت(ع) على رأس ما يتبع بعد جدهم المصطفى(ص). ومما يعطي صورة عن رجحانهم على غيرهم - مع أن لكل منهم مقام معلوم - أن الله سبحانه أوجب فيما أوجب، ذكرهم بعد ذكر جدهم(ص) في الصلاة وهي أفضل العبادات إن قبلت قبل ما سواها. وإن ردت رد ما سواها. كما هو متفق عليه.

وهذا مما جعل رؤساء المذاهب الإسلامية الأخرى (ره) لا يقولون لشيعة أهل البيت(ع) أن ما عندنا أرجح مما عندكم؛ كما يقول بعض أتباعهم على غير روية. فإليك الآن أمثلة من ذلك. وتليها أمثلة من بعض أتباعهم من ذوي الروية. فلنبدأ إذا بما يلي:

١ - هذا الإمام أبو حنيفة (ره) كان يأخذ بأقوال الإمام علي(ع) حتى جعل ذلك من مرجحات مذهبه على غيره لقول النبي(ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها، و.. الخ.

وقد ذكر المقدسي وهو من أعلام إخواننا السنة الأحناف في كتابه أحسن التقاسيم (وكان أبو حنيفة يفتخر بالأخذ عن الإمام جعفر الصادق(ع) ويقول: لولا السنتان لهلك النعمان. يقصد سنتين حضر فيهما عند الإمام الصادق(ع).

وجاء في كتاب مناقب أبي حنيفة للموفق الحنفي (ره) قول أبي حنيفة (ره) ج٢ ص١٧٣ ما نصه: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد». ثم يروي خبر تهيئته المسائل الشداد للصادق(ع) في مجلس المنصور العباسي الذي استقدمه فيمن استقدمه لإيقاف افتتان الناس وإعجابهم بالإمام الصادق(ع) فكانت النتيجة على العكس إذ أصبح أبو حنيفة أحد المفتتنين والمعجبين به والمكبرين له(ع). قال أبو حنيفة فجعلت ألقي عليه المسائل فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا. ونحن نقول كذا. فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفهم جميعاً حتى أتى على الأربعين مسألة. ثم قال: أبو حنيفة (ره) ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس وهذا الإمام أحمد بن حنبل (ره) مثبت في مسنده والكتاب الذي ألفوه في مناقبه وغيره، أنه كان يفضل علياً(ع) بعد رسول الله(ص) على الجميع. وقد سئل يوماً: من هو أفضل الصحابة بعد رسول الله(ص)؟ فقال أبو بكر ثم عمر ثم عثمان قيل له فعلي بن أبي طالب؟ فقال: سألتموني عن أصحابه(ص) وعلي هو نفس محمد(ص) يشير بذلك إلى آية المباهلة: ﴿وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وقد أجمعوا على أنها نزلت في علي.

وهذا الإمام مالك (ره) وإكباره لأستاذه الإمام الصادق(ع) أشهر من أن يذكر وعنه أخذ الإمام الشافعي (ره) فإنه لا يروي مطلقاً إلا عن علي(ع). كما في كتاب مناقب الشافعي للفخر الرازي (ره) ولذلك اتهموه بالتشيع فافتخر بذلك كما في الكتاب المذكور وقوله المشهور في ص٥١ منه:

أنا الشيعي في أصلي وفي ديني   بمكة ثم داري عسقلية
بأطيب مولد وأعز فخر   وأحسن مذهب يجد البرية

ويظهر من هذين البيتين أنه كان يفضل أن يدعى شيعياً على أن يدعى كمذهب على حده.

ومما يذكر أنه لما بلغه أن قوماً يتهمونه بالرفض. وهي كلمة ينبز بها الشيعة. كانت في أصلها لفرقة من الشيعة كما في مختار الصحاح للجوهري ص ٢٥٠ عن الأصمعي قال: سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي (ﷺ) ثم أطلقها بعضهم على من شعارهم حب أهل البيت (ﷺ) وتفضيلهم على غيرهم. فقال الإمام الشافعي في أبيات له:

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

وله أبيات أخرى في الرد على من اعتبر حب آل محمد ذنباً بالنسبة للبلاد التي صارت شيعية فيما بعد أو غالبيتها. قال أبو القاسم الطيب في نشوار المحاضرة بلغنا أن الإمام الشافعي قد أنشد. وذكر الأبيات التي منها:

لئن كان ذنباً حب آل محمد ... فذلك ذنب لست عنه أتوب

وبهذا كفاية هنا. فلننتقل، إلى ذكر من أيد مذهب الشيعة الجعفرية من أعلام عصرنا الحديث هذا وهم كثيرون أكتفي بذكر أربعة منهم هم في القمة كذلك.

ثلاثة منهم شغلوا منصب رئاسة الأزهر الشريف الذي يعتبر في عصرنا هذا المرجع الرئيسي لأتباع المذاهب الأربعة المذكورة. والرابع شغل منصب القاضي الشرعي في الشام.

١ - سماحة الشيخ محمد شلتوت (ره)، الشيخ الأكبر للأزهر الشريف فقد أصدر فتوى نشرت وأذيعت في وقتها وبعث بها نفسه إلى دار التقريب لتحفظ في سجلاتها أيضاً ونصها: «أن الإسلام لا وجب على أحد اتباع مذهب معين بل نقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره أي مذهب كان، ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب

يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب معين. فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ويجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد: تقليدهم والعمل بما يقررونه لا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.. التوقيع محمود شلتوت. وأذيع من راديو القاهرة بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٨هـ.

٢- الدكتور الفحام الشيخ الأكبر للأزهر أيضاً - كما اثبت في كتاب في سبيل الوحدة الإسلامية - للرضوي ص٨ ط٢ دار العلم في القاهرة عام ١٩٧٩ معلقاً على فتوى الشيخ شلتوت. وكانت قد نشرت أيضاً في مجلة رسالة الإسلام المصرية السنة ١١ العدد ٣ ص٢٢٧ ما نصه: «الشيخ محمود شلتوت أنا كنت من المعجبين به وبخلقه وعلمه وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة العربية وتفسير القرآن ومن دراسته لأصول الفقه وقد أفتى بذلك فلا شك أنه أفتى فتوى مبينة على أساس في اعتقادي..».

٣- سماحة الشيخ سليم البشري، الشيخ الأكبر للأزهر الشريف أيضاً. الذي كانت بينه وبين سماحة الإمام السيد شرف الدين مراجعات صدر بها كتاب طبع بضعة عشر طبعة وترجم إلى عدة لغات. كان آخرها مراجعة رقم ١١١ ونصها: «أشهد أنكم في الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول(ﷺ) وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً وأظهر من مكنونه ما كان خفياً فالشك فيه خبال والتشكيك فيه تضليل وقد استشفته فراقني للغاية وتمخرت ريحه الطيبة فأنعشني قدسي مهبها بشذاه الفياح. وكنت قبل أن أتصل بسببك لبس علي فيكم لما كنت أسمعه من ارجاف المرجفين ومصباح وحي وانصرفت ملفحاً منجما فما أعظم نعمة الله بك علي وما أحسن عائدتك لدي والحمد لله رب العالمين». التوقيع سليم البشري في ١ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ.

ومما يذكر بالمناسبة: تقديم الأستاذ الكبير محمد فكري عثمان أبو النصر من علماء الأزهر الشريف على كتاب المراجعات في طبعته الـ١٨ عام ١٣٩٨م وفيما جاء في التقديم المشار إليه ما نصه: «كتاب المراجعات بما تحويه من معتقدات وأحكام المذهب الشيعي الإسلامي الكبير، أصوله وفروعه وبما تلقيه من أضواء ساطعة تنير الطريق وتهدي الساري وتقود الباحث إلى حيث ضالته ويقف على بغيته إنما تؤدي خدمة كبرى لجمهور الباحثين وعلماء المذاهب الأخرى الذين يفتقرون إلى الغوص في ثنايا المذهب الإمامي والوقوف على حقائقه وأسانيده وما يتفق وما يختلف في مع المذهب السني وغيره من المذاهب ودراسته دراسة موضوعية علمية متأنية ومنصفة.. الخ».

ومما قاله أيضاً ما نصه: «يرى بعض العلماء من المذهبين - يقصد السني والشيعي - أن أفضل وسيلة يمكن بها تحقيق ذلك أو على الأقل الحد الأدنى منه وهو أن ينظر أهل السنة إلى المذهب الشيعي باعتباره مذهباً خامساً بجانب المذاهب الأربعة السنة سواء بسواء..».

وأورد فيما أورد فتوى لسماحة الشيخ شلتوت آنفة الذكر في تأييد الشيعة. ومما اتبع ذلك ما قاله أيضاً ما نصه: «لقد آن الأوان لأن نضع حداً لهذه الفرقة التي أوجدها أعداء الله أعداء الإسلام وأصحاب الأهواء والأغراض والأطماع طوال القرون الماضية وشغلونا بأنفسنا ومعاشنا في واجبنا المقدس نحو نصرة دين الله والتمكين له في الأرض وأدخلونا في جدل عقيم وتسلطوا على مقدراتنا. وشوهوا كل مقوماتها. ونحن عاجزون عن صدهم - إلى قوله - فليس لنا إلا سبيل الوحدة بكل أهدافها.. الخ».

ومما قاله أيضاً ما نصه: «إن جماعة مخلصة من كبار رجال الدين من كل المذاهب الإسلامية يؤمنون بهذه الرسالة ويتحررون من قيود حياتهم وأغلال منافعهم الذاتية. يخلصون النية لله وحده ولدينه القويم وتتحد أفكارهم وغاياتهم يستطيعون أن يحققوا هذا الأمل الكبير».

٤- فضيلة قاضي القضاة الشيخ الأنطاكي في كتابه في طريقي إلى التشيع، حيث انجلى له الأمر ولأخيه الشيخ أحمد وآخرين معهم. فلا أطيل عليك بل أحيلك إلى الكتاب المذكور وإلى كتاب المراجعات بين الإمامين شرف الدين والبشري وإلى أصل الشيعة وأصولها للإمام كاشف الغطاء والغدير للأميني والسقيفة للمظفري والفصول المهمة لشرف الدين وعقائد الشيعة الإمامية للمظفري وعقائد الشيعة الإمامية للزنجاني. وأصول الشيعة وفروعها للقزويني. ونحوهما مما لا يدع مجالاً للتردد عن تصحيح النظرة لمن يرغب أن تصحح نظرته مع من صححوا نظراتهم تحت هذه الأضواء بقبول الحق.

٥ و٦ و٧ و٨- أصحاب الفضيلة الشيخ أبو زهرة والمدني والغزالي والباقوري ونحوهم ممن أيد المذهب الجعفري.

وهذا الأخير - أعني الشيخ الباقوري - كان الشيخ الأكبر للأزهر الشريف كمن تقدم ذكرهم تحت الأرقام السابقة كما وأنه كان وزيراً للأوقاف المصرية.

وعلى هذا وذاك فقس من أرقى المستويات ممن لم يجحدوا مقام إخوانهم الشيعة بما في ذلك شرف السبق والتفوق.

ومما يذكر للشيخ الباقوري أنه زار الإمامين الكاظميين موسى والجواد(عليهما السلام) في زيارته العراق في أيام وزارته. فقال له أحد مرافقيه عندما خرج من مزار الكاظميين: تفضل إلى جانب من هذا المزار: مزار القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ومروج مذهبه.. فأجاب الباقوري على الفور قائلاً: أنا زرت من نصبهم الله قضاة على خلقه، أما أبو يوسف فكم نصبت مثله من القضاة في مصر، كما نصبه وينصبه أمثالي في معظم البلاد.

جواب عن نشأة الشيعة في زمن النبي وثناؤه والقرآن عليهم

لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ آية ١٤، سورة الشعراء جمعهم النبي(ﷺ) لهذا الغرض. وكانت:

١- إحدى معاجزه يومذاك أنه أطعم جمعهم الكبير وأشبعهم من طعام يسير، وتلتها:

٢- الثانية: أخباره أن علياً خليفته من بعده ودعوته إياهم بالسمع والطاعة له، فمن كان يعلم أنه يبقى بعد النبي(ﷺ) لولا أن أخبر الله نبيه(ﷺ) وأخبرهم فعلاً توفي النبي(ﷺ) قبله ومجمل القضية. كما نظمته في قصيدتي وحي البردة:

ومن يسير طعام أشبع الملأ الـ	كبير مذ أنزلت (أنذر) بشأنهم
ناداهم من يؤازرني يكن خلفي	في الحكم يأتي إليه كل محتكم
فلم يلب نداه من عشيرته	سوى علي علي القدر والشيم
من ذاك صار له حق الخلافة في	يوم الغدير بفضل الله والهمم..

ونص الحديث كما ذكره الدكتور محمد التيجاني السماوي في كتابه ثم اهتديت سنداً عن النبي(ﷺ) أنه قال مشيراً إلى علي(ؑ) (أن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا).

وذكر الدكتور المذكور عدداً من الكتب المعتمدة عند السنة من التفاسير إلى التواريخ إلى كتب الحديث.. الخ، ذكر منها تفسير الخازن لعلاء الدين الشافعي ج٣ ص١٧١ وشواهد التنزيل للإمام الحسكاني ج١ ص١٧١ أيضاً. وتاريخ الكبير ج٢ ص٣١٩ وتاريخ ابن الأثير ج٢ ص٦٢ وابن عساكر ج١ ص٨٥ والسيرة الحلبية ج١ ص٣١١ وكنز العمال للبيهقي ج٥ ص١٥ وحياة

محمد لمحمد حسين هيكل ط١ ص١٠٤ باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ومما قاله معقباً على ذلك ما نصه «وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي نقلها المؤرخون لبداية البعثة النبوية وعدوها من معجزات النبي(ﷺ) ولكن السياسة أبدلت وزيفت الحقائق والوقائع ولا عجب في ذلك لأن ما وقع في ذلك الزمان المظلم يتكرر اليوم في عصر النور فهذا محمد حسنين هيكل أخرج الحديث بكامله في كتابه حياة محمد(ﷺ) في صفحة ١٠٤ من الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤هـ وفي الطبعة الثانية وما بعدها حذف من الحديث قوله(ﷺ) وصيي وخليفتي من بعدي. كذلك حذفوا من تفسير الطبري ج١٩ ص١٢١ وصيي وخليفتي وأبدلوها أن هذا أخي كذا وكذا وغفلوا عن أن الطبري ذكر الحديث بكامله في تاريخه ج٢ ص٣١٩» واتبع هذا ما نصه (انظر كيف يحرفون الكلم عن مواضعه ويقلبون الأمور، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره..).

ومما يذكر هنا أن الدكتور المذكور كان من أشد السنة الوهابيين فعدل إلى الشيعة لاطلاعه على تأيدهم من كتب السنة أنفسهم في هذه وفي أمثالها. مما ذكره في كتابه المذكور ومما ذكره غيره واعترف به عبر العصور.. و.. الخ من ذلك مثلاً:

١ - في شواهد التنزيل للإمام الحسكاني الحنفي ج٢ ص٣٥٧ وفي صواعق بن حجر ص٩٣ وعنه رواه الطبراني وفي تفسير الطبري والسيوطي في تفسيره والمتقي الهندي والشلنجي في نور الأبصار والحنفي القندوري في ينابيع المودة ونحوهم الخ، بأسانيدهم ومنها عن أم سلمة وابن عباس أن النبي(ﷺ) قال لعلي لما نزلت الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هو أنت يا علي وشيعتك - وتتمة الحديث- يا علي ستقدم أنت وشيعتك على الله راضين مرضيين ويقدم أعداؤك غضاباً مقمحين. وكذلك ذكر في تاريخه الخطيب البغدادي - وهو سني أيضاً - عند ذكره نزول هذه الآية.

وفي ينابيع المودة للحنفي ومسند الإمام أحمد بن حنبل عن عائشة أن النبي(ﷺ) قال: علي خير البشر وشيعته خير البرية.

٢- في ينابيع المودة ص٤٤٣ وشواهد التنزيل للإمام الحسكاني ج١ ص٦٧ في الآية هدى للمتقين قال: يعني نوراً وبياناً للمتقين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي لم يشرك بالله طرفة عين - إلى قوله - وأخلص في العبادة يبعث إلى الجنة هو وشيعته بغير حساب.

٣- وفي الصفحة المذكورة من الينابيع للحنفي في ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ بسند عن النبي(ﷺ) أنه قال بعد ذكره الأئمة الأثني عشر من بعده علي ومن تلاه: أولئك وصلهم الله في كتابه وقال هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، وقال طوبى للمتقين على محبتهم.

وهذان الحافظان من أعلام السنة وكذلك من ذكرناهم فيما تقدم من الذين يحتج بهم الشيعة على صحة ما عندهم.

٤- وفيهما أعني الشواهد والينابيع مسنداً عن ابن عباس (رض) عن النبي(ﷺ) أنه قال: حدثني جبرئيل عن تفسير والسابقون السابقون أولئك المقربون. ذاك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة.

وفيه ج٢ ص٢٩٤ بسنده عن القاضي أبي بكر الجدي عن الإمام الباقر(ع) في الآية لأصحاب اليمين قال هم شيعتنا أهل البيت وفي كتاب مناقب أمير المؤمنين لابن المغابزلي الشافعي وعنه روى صاحب غاية المرام ص٥٧٩ وغيره في الآية إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، بسند عن القاضي محمد بن إسماعيل العلوي مسنداً عن أنس بن مالك (رض) قال: قال رسول الله(ﷺ) يدخل من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم. ثم التفت إلى علي وقال: هم من شيعتك وأنت إمامهم.

٥- في صحيح مسلم بهامش صحيح الترمذي وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣ ص١٠٢ وص٢٩٨ قول النبي(ﷺ) لعلي: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلى منافق.

٦- فيما في صحيح البخاري من أحاديث في علي(ع) ج٤ ص١٩٩ قول النبي(ﷺ) لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وعلى هذا يترتب فيما يترتب أن اتباع علي بمنزلة اتباع موسى وهم أهل الحق.

٧- فيما في كنوز الحقائق للديلمي - وهو من أعلام السنة والجماعة أيضاً - بسنده أن النبي(ﷺ) قال: حب علي براءة من النار حب علي براءة من النفاق. شيعة علي هم الفائزون.

وبعد فهذه عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية من آيات وأحاديث كثيرة تستند عليها الشيعة الإمامية عن كتب أعلام السنة إذ تفيد فيما تفيد أن أساس الشيعة كان في عهد النبي(ﷺ) وأن علياً وشيعته خير البرية وهم بمنزلة أتباع هارون من بعد موسى وأنهم المتقون والبراء من النار والفائزون بالجنة والراضون المرضيون و.. الخ.

خاتمة

في مجموع ما تقدم كفاية للمقصود من تأليفي هذا الكتاب على أساس ما ذكرته في مقدمته فها هو بين يديك - عزيزي القارئ - كما تراه سائراً تحت أضواء الكتاب والسنة وكتب السنة ومما إلى ذلك . . الخ . مما يؤلف بين المسلمين لخير المجموع دنيا ودين . لا سائراً باسم الكتاب والسنة فيما يباعد بين المسلمين ويجعلهم فريسة للآخرين .

وقد لاحظت فيما لاحظت أن الشيعة والسنة أخوة أبوهما القرآن وأمهما السنّة وتجمعهما لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأن ما اختلفوا فيه في بعض المسائل دون بعض لا يدعو ولا إلى بعض ما تجاوز بعضهم فيه الحدود فعادت تفرقة الجاهلية الأولى في لباس جاهلية القرن العشرين ، وعادة السيادة للغير على غرار ما كانت من قبل . كما فيما نظمت في قصيدتي وحي البردة :

من جانب كانت الرومان تحكمهم ... وجانب لبني الأحباش والعجم
كحالنا اليوم والدنيا تقول لنا ... في نهج هاديكم منجى لمعتصم
ليس النجا لأناني وذي بطر ... إن أرشدوه أتى بالإفك والشتم

لقد آن للذين لم يؤوبوا إلى الحق حتى الآن أن يؤوبوا إليه فهو خير لهم من الجدال العقيم والطريق المعوج غير المستقيم وأن نذكر الله في أنفسنا .

قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ آية ١٥٢ سورة البقرة . فالمسلمون لم يكفروا بالله ولكن بعضهم كفر بنعمته . مما ينطبق عليهم ما جاء في الآية ٥ سورة غافر : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ كما وقد ورد فيما ورد من التهديد لمن يجادل بالباطل ويصر عليه ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ آية ٨٩ سورة الأنعام . والنعمة التي كفر بها أو نسيها بعضنا ويا للأسف هي التي تشير إليها الآية

١٠٣ سورة آل عمران: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا..﴾ الخ.

فلنتذكر تلك النعمة ونشكر الله عليها ونسأله أن يعيدها إلينا كما كانت من قبل ولنرجع فيما اختلفنا فيه إلى الله عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ آية.

ولنقل فيمن اختلفوا ما قاله القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ آية ١٣٤ سورة البقرة. ولندع للجميع بما علمنا القرآن: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ والخ، آية ١٠ سورة الحشر.

وما دام - والشكر لله - القرآن واحداً والنبي واحداً والقبلة واحدة والعلم يتقدم. فكم من فاتت بالغلط ندم واستغفر وتنور وعانق بالمحبة أخاه وكانت خيراً عقباه. اللهم اهدنا لما اختلف فيه عن الحق وألف بين قلوبنا كما ألفت من قبل إنك سميع ودود مجيب.

مهدي السويج

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة مهمة مجملة	٣
١- جواب عن معنى كلمة شيعة وإطلاقها	٧
٢- جواب عن معنى كلمة سنة وإطلاقها	١٠
٣- القرآن واحد محفوظ لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل	١٣
٤- جواب عن وبال الدعاية الكاذبة بين السنة والشيعة وما يتخذ ضدها	١٥
٥- الشفاعة وتكذيب اتهام الشيعة فيها بالشرك وعدم المبالاة بالذنب	٢٣
٦- جواب عن النظرة إلى العلماء من الطرفين كيف ينبغي أن تكون..؟	٢٧
٧- تذكرة المتطرفين من السنة الوهابيين ومثلهم من الشيعة	٣١
٨- البداء الذي تقول به الشيعة تقول به السنة أم لا..؟	٣٨
٩- جواب عن المودة والكراهة (الحقد) وعلاج وإزالة الكراهة	٤٠
١٠- جواب هل عود ذلك الالتقاء والإخاء ممكن بين الطرفين؟	٤٤
١١- مسألة عدم جواز تكفير من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله	٤٩
١٢- جواب عن أحداث المذاهب وطعن بعضها ببعض وذكر الشيعة	٥٢
١٣- جواب عن شهادة بعض الصحابة (رض) على أنفسهم بالخطأ	٥٨
١٤- مسألة بخس بعض الطرفين كتب بعض	٦١
١٥- هل كان آل النبي(ص) قدوة كما ادعي في الصحابة (رض)	٦٦
١٦- هل كل الصحابة قدوة عند أهل السنة	٧٤
١٧- الأسماء ورد القائل أن الشيعة تكره أسماء الصحابة (رض)	٨١
١٨- اللعن والسب ما يجوز منهما وما لا يجوز وما إلى ذلك	٨٦
١٩- هل الشيعة تقول بعصمة النبي وبعض الآل والصحابة. أم السنة أيضاً	٩٢
٢٠- جواب عن كلمة رضي الله عنه ورحمه الله وما يجري بهذا المجرى	٩٩

الموضـــوع	الصفحة

٢١- كرم الله وجهه تارة ورضي الله عنه أخرى وعليه السلام ١٠٣

٢٢- هل صلى الله عليه وسلم أم وآله وسلم..؟ ١٠٧

٢٣- هل صدق الله العظيم أفضل أم العلي العظيم ١١٢

٢٤- جواب عن القيام لصدق الله العظيم ولذكر المهدي وقول عجل الله فرجه ... ١١٤

٢٥- جواب عن المهدي المنتظر وما قيل عن الرجعة ١١٦

٢٦- أصول الدين خمسة أم أقل والتركيز على المعاد وذكر فروع الدين ١٢٣

٢٧- جواب عن مسألة الاجتهاد والتقليد ومما إلى ذلك ١٢٦

٢٨- اسم سيد هل يجوز للملخوق، أم للخالق سبحانه فقط؟ ١٢٩

٢٩- معنى كلمة شرك وعبد وتسمية عبد الرسول ونحوه ١٣٣

٣٠- جواب عن الاستعانة والنخوة يا محمد أو يا علي ونحوهما ١٣٩

٣١- جواب عن القسم واليمين أو الحلف بالله. وهل يجوز بغيره..؟ ١٤٥

٣٢- عن معنى بدعة وصلاة التراويح وتطرق إلى المأتم الحسيني ١٥٠

٣٣- جواب عن أسس إقامة المأتم أو المجالس الحسينية ١٥٦

٣٤- لماذا بناء حسينيات مع وجود مساجد ١٦٠

٣٥- جواب عن إنشاد الشعر واتخاذ النوادي والرياطات ١٦٣

٣٦- جواب عن مجالس أو حفلات المواليد النبوية ١٦٥

٣٧- الغناء والطبل والرقص وعمن امتنعوا عنه ثم أجازوه بما في ذلك في الأعراس ١٧٠

٣٨- جواب عن جواز إقامة ولائم الأعراس في المساجد لا في المآتم ١٧٥

٣٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٧٨

٤٠- جواب عن الحزن ومشروعيته ودرجاته ١٨٠

٤١- جواب عن البكاء وأقسامه وما يتعلق بالحسين(ع) ١٨٧

٤٢- جواب عن لطم الصدور وما إلى ذلك في العزاليات الحسينية ١٩٣

٤٣- مسألة المقابلة بالمثل في التعديات مع مراعاة تقوى الله ١٩٨

٤٤- جواب: هل يجوز التوسل إلى الله بالأحياء والأموات أم لا؟ ٢٠١

الموضوع	الصفحة
٤٥- جواب هل يجوز التبرك بما للأنبياء والصالحين أم لا..؟	٢٠٦
٤٦- جواب عن شد الرحال أهو للمساجد الثلاثة؟	٢١٠
٤٧- معنى خليفة وخلافة هارون وعلي وعدد خلفاء النبي(ص)	٢١٤
٤٨- أن الخلاف في الخلافة لا يبرر المشادات بدلاً من المرونة	٢١٨
٤٩- جواب عن معنى إمام وإمامة علي وأئمة الهدى وأئمة الضلال	٢٢٢
٥٠- جواب عن بيعة الغدير ولماذا انصرفوا عنها مع الاعتراف بها	٢٢٤
٥١- جواب عن معنى وصية وكون علي وصي رسول الله(ص)	٢٢٧
٥٢- جواب عن معنى أمير وإمارة وأمير المؤمنين وما إلى ذلك	٢٣٠
٥٣- جواب عن الاختلاف في الوضوء وما عليه الشيعة	٢٣٥
٥٤- جواب عن أشهد أن عليا ولي الله في الأذان	٢٣٩
٥٥- جواب عن معنى ولي وعن أولياء الله	٢٤٣
٥٦- مسألة كرامات الأولياء والأكيد منها والمزيف	٢٤٦
٥٧- عودة إلى أشهد أن علياً ولي الله ونداء بعضهم حجه الله وما إلى ذلك	٢٤٩
٥٨- ما معنى حجة الإسلام وآية الله وآية الله العظمى	٢٥٣
٥٩- مسألة الصلاة خير من النوم في أذان الفجر	٢٥٦
٦٠- جواب عن قراءة البسملة كجزء من السورة أو عدم قراءتها	٢٥٩
٦١- جواب عن قول آمين بعد قراءة الفاتحة	٢٦٢
٦٢- جواب عن حي على خير العمل في الأذان	٢٦٥
٦٣- جواب عن التكفير في الصلاة (التكتيف)	٢٦٧
٦٤- عن الجمع بين الصلاتين	٢٦٩
٦٥- جواب عن التكبير نهاية الصلاة والرد على فرية خان الأمين	٢٧٥
٦٦- مسألة صلاة الجماعة والجمعة والإمام	٢٧٧
٦٧- جواب عن جواز زيارة القبول واتخاذ المساجد عندها أو عليها..؟	٢٨٠
٦٨- جواب حول ما ذكروا في زائرات القبور	٢٨٤

الموضوع	الصفحة
٦٩- مسألة الإسراج على القبور لإنارتها وما حولها	٢٨٩
٧٠- جواب عن الشكل الخارجي للقبور في الإسلام والرد على شبهة هدمها	٢٩٠
٧١- جواب عن حرمة القبر في الإسلام وجواز الكتابة عليه	٢٩٤
٧٢- جواب عن النذر والذبح عند القبور	٢٩٨
٧٣- جواب عن تشييد البنايات والضرائح والقباب على القبور	٣٠٠
٧٤- جواب عن تزيين مباني قبور الأنبياء والصالحين وتعيين الخدمة	٣٠٦
٧٥- جواب عن تفاضل بقاع الأرض والسجود لله على التربة الحسينية وغيرها	٣١١
٧٦- جواب عن الطواف والتقبيل وقبور الأنبياء والأئمة والصالحين	٣١٩
٧٧- جواب عن الزواج المؤقت المعروف بالمتعة	٣٢٦
٧٨- جواب عن وطء الزوجة في دبرها أيجوز أم لا..؟	٣٣٦
٧٩- جواب عن الطلاق وهل الثلاث واحدة أم ثلاث..؟	٣٣٨
٨٠- مسألة ما يحرم بالرضاع والأخذ بما عليه الشيعة في ذلك	٣٤٤
٨١- مسألة القوة البدنية الاعتيادية والقوة الخارقة	٣٤٦
٨٢- مسألة القيادة العسكرية والقائد الأعلى ومن دونه	٣٤٨
٨٣- في الرأيين لبعض الأنبياء وخلفائهم ورأي الحسن السلمي والحسين الثوري	٣٥٢
٨٤- جواب عن تعيين الفرقة الناجية في الإسلام	٣٥٧
٨٥- جواب عن معنى حزب وكيف ينبغي أن يكون..؟	٣٦١
٨٦- الإرهاب والرد على من وصم الشيعة به وذكر ما يجوز منه	٣٦٤
٨٧- مسألة التحريف والحذف والوضع للتضليل أو لطمس الحقائق	٣٦٦
٨٨- جواب عن انقلاب بعض النسا على بعض وثبات المؤمنين	٣٦٨
٨٩- الخمس والمذاهب الأخرى ومن سبقهم وما عند الشيعة	٣٧١
٩٠- مسألة الأنفال وكونها خاصة لله وللرسول	٣٧٤
٩١- جواب عن مسألة الفيء ومستحقيه	٣٧٥
٩٢- مسألة الجدل وقول: اترك الجدال ولو كان على حق	٣٧٨

٩٣- الزكاة والرد على ما قيل من أن الشيعة تهتم بالخمس اكثر منها ٣٨٢
٩٤- الامتناع عن البيعة والهجوم بالنار على بيت فاطمة وضربها ٣٨٤
٩٥- جواب: لماذا سكت الإمام علي(ع) أخيرا ومن إليه عن حقهم ٣٨٨
٩٦- جواب عن التقية ومستعمليها والفرق بينها وبين النفاق ٣٩١
٩٧- الجهاد والقتال وإعداد الجندي وتحين الوقت المناسب ٣٩٧
٩٨- من جواب عن تزايد الشيعة رغم ما جرى ويجري ضدهم ٤٠١
٩٩- تذكرة مما جاء في تقدير رؤساء المذاهب ونحوهم للشيعة ٤٠٦
١٠٠- جواب عن نشأة الشيعة في زمن النبي وثناؤه والقرآن عليهم ٤١٢
خاتمة ٤١٧
الفهرس ٤١٩